حديث الشهر مع مؤلف قصة الأيام د. طه حسين

يقدمه : محمد عبد الحليم عبدالله

كانت الليلة تميل الى الدفء وأنا أعبر الممشى المشجر المؤدى الى مسكن عميد الأدب . والبيوت على الجانبين ليس فيها الا النور الداخلى فلف الحى هدوء طارىء فوق هدوئه الطبيعى .

وعند منحدر الطريق لمحت على البعد مصباحا ساهرا على باب الدكتور طه كأنما ليرشد الضيوف . وكان وحده هو الذى يلقى النور على الطريق الذى ظللته الأشجار .

وكنت أحدث نفسى مقدما عما سأقوله له .. وكان فى النفس أشياء كثيرة يمكن أن تقال . عندما يرتفع الحجاب بين الأستاذ والتلميذ ويحس كل منهما أنه جزء فى (محيط الحقائق) .

وقبل أن أصل الى باب الدكتور طه عبرت الى ذهنى خاطرة من كتاب «الأيام» هى كلمات أعرفها .. فى نبرات لا أعرفها لكننى حاولت أن أجعل نبرة المتحدث بهذه الكلمات قريبة جدا من نبرات طه حسين . ولو أن ذلك كان فى خريف سنة ١٩٠٢ ، حين قال له أبوه وهو صبى لا يزال فى القرية بنبرة لا شك أنها قريبة من نبرة الدكتور طه :

« أما فى هذه المرة فستذهب الى القاهرة مع أخيك وستصبح مجاورا وستجتهد فى طلب العلم . وأنا أرجو أن أعيش حتى أرى أخاك قاضيا وأراك من علماء الأزهر قد جلست الى أحد أعمدته ومن حولك حلقة واسعة بعيدة المدة » .

وفى هذه اللحظة كنت قد وصلت الى باب الفيلا فابتسمت لخواطرى . وتصورت (الحلقة البعيدة المدى) التى تحققت لطه حسين .. والقاهرة مركزها والعالم محيطها . وأمنية أبيه له قد ترجمت الى كل لغات الدنيا .

وخطوت عدة خطوات الى الداخل بعد أن أخذت عينى لافتة على الباب الخارجى كتبت عليها كلمة « رامتان » اسم الفيلا التى يسكنها طه حسين .

ولم أدق الجرس ليفتح لى الباب الثانى بل وقفت برهة أتأمل الليل والأشجار الحانية على المبنى فى وداعة . والسكون « الحى » الذى هو فى الحقيقة مصدر الحركة بالنسبة لساكن الفيلا .

ولم يكن الدكتور طه فى قاعة المكتبة حين دخلت (كما تعودنا أن نلقاه) كان لا يزال مشغولا مع أحد الصحفيين الأجانب . وجلست مع سكرتيره الأستاذ فريد شحاته نتكلم فى شئون الأدب والتاريخ . وكنت أنا فى دائرة ضوء احدى «الأباجورات» الكبيرة التى توجد فى قاعة المكتبة وأمامى أوراق وقهوة . وفى الرفوف على الجدران الأربعة أفكار أجيال فى مجلدات مختلفة الاحجام كان سكرتير

الدكتور يشـــير الى بعضهـا كلما دعا الحديث ٠

ثم نهضت لأسلم على طه حسين-دخل مؤلف (الايام) وعلى فمه ابتســامة لم تستطع الايام أن تسلبها خصائصها٠ وكان بادى النشاط فى هذه الليلة فقلت له وأنا محرج بعض الشيء :

ـ أرجوك يا سيدى ٠٠ عندما تضيق بوجودى أن تسمح لى بالانصراف ٠ فضحك فى سماحة وقال لى :

ـ تأكد أننى لن أضيق بوجودك مهما يطل ٠ ولكننى قد أضيق بالأسئلة٠ هذا كل مافى الأمر ٠

عندئذ سألته السؤال الأول ٠ قلت:

ـان قصة الايام من القصص التى استولت على قلبى ٠ قرأتهـا وأنا فى مقتبل شبابى تحت مصباح الجاز فى حى وطنى ٠ وأنا أعتبرها من أهم أعمالك الأدبية ٠ فهل من الممكن أن تحدث قراء مجلة القصة عن الارهاصات التى سبقت هذا العمل ؟ ٠

كان القلم فى يدى مستعدا للكتابة ٠ وكنت أرقب الدكتور طه الذى ظننته سيصمت طـــويلا قبل الاجابة ٠ لأن استعادة الماضى أحيانا تتطلب تجمعــا ووثوبا ٠ لكن اشارة بدء الحديث لمعتعلى فمه ٠٠ وكانت ابتسامة صغـيرة ٠ قال بعدها :

ـ لعل أخص خصائص كتاب (الايام) أنه كتب للهرب من الحياة الواقعــة ٠ تصور أننى كتبته هربا من الحياة الواقعة.

كنت حينئذ فى فرنســا ٠ وكنت ضائقا أشد الضيق بالحياة العقليــة فى مصر لأن أزمة كتاب (الشعر الجاهلى) المشهورة كانت قائمة على قدم وســاق ودخلت أزمته الى البرلمان وهــدد عدلى بالاستقالة ٠

كل هذا أصابنى بضيق شديد جعلنى أفزع الى الماضى ٠ فأخذت فى املاء الجزء الأول من الكتاب وأنا فى الخارج ٠ وانتهى العمل وانتهت اقامتى فى فرنسا وعدت الى وطنى الى مصر ٠ فوجدت شيئا هاما بانتظارى هو أننى محال الى النيــــابة للتحقيق معى فى أمر كتاب (الشـــعر الجاهلى) ٠

وذهبت الى غرفة رئيس النيابة ٠ اننى لا ازال أذكر لقبـــه فهو من عائلة نور المشهورة ووجدت فى القاعة عددا ضخما من علماء الأزهر جاءوا ليناقشونى فى الموضوع امام رئيس النيــابة بناء على دعوته اياهم وأذكر أن النقاش امتـد بيننا طويلا حتى تعبوا ٠ عندئذ قال احد العلماء لرئيس النيـــابة : ياصاحب السعادة : ليس عندى ما أقوله فى هذا المقام الا ما قاله ابن حزم فى الأشعرى : « الأشعرى كافر حلال الدم » ٠ وقال آخر : « وهذا دم ضيعه أهله ٠

غير أن الجدل استمر بعد ذلك طـويلا حتى صاح الشيخ الابيارى فجأة من شدة الصداع وهو يضع كفيه على صـدغيه : ياصاحب السعادة ٠٠ اطلب لى فنجـالا من القهوة ٠

وسكت طه حسين قليلا ورجع برأسه الى الوراء كأنما ليتذكر شيئا جديدا ثم قال لى :

ومن الغريب أننى أمليت الجزء الثانى فى فرنسا وأنا فى أزمة كذلك كنت وقتئذ عميدا لكلية الآداب وحدث نزاع بينى وبين الحكومة بسبب كتاب لبرناردشو كان يدرس فى الكلية رأت الحكومة فيـه

نميتها لا يرضيها . وكان وزير المعارف في ذلك الوقت هو المرحوم الدكتور هيكل في وزارة محمد محمود . وفوجئت بمظاهرة تعبر الى حجرتى كانت مؤلفة من طلبة كلية الحقوق كلفوا بالهجوم على عندئذ رأيت أنه لامفر من الاستقالة . ثم سافرت الى فرنسا فامليت الجزء الثانى من كتاب الأيام .

قلت للدكتور طه :

أليس من الغريب أن يكون الهروب من الحياة الواقعية سببًا في أن تكتب للأدب العربى قصة واقعية ؟ .

قال :

نعم .. هذا غريب ..

قلت في نفسى : ان الأزمة قد تخلق البطل وتمنح المعجزة .

وكانت خواطرى أو جزء منها مع فنان بعيد منح الأدب العالمى كثيرا مما منح نتيجة لأزماته . دستويفسكى الذى قال لدائنيه وهم يطرقون عليه الباب وهو يكتب : « اننى مدين لكم بأكثر من المال » لأنهم كانوا يدفعونه الى الكتابة .

ثم قلت لعميد الأدب وأنا أنظر اليه وكأنى أنظر الى أحد المحاربين القدامى الذين لم يلقوا السلاح . وجهت اليه السؤال التالى :

ـ لاتزال المعركة بين القديم والجديد قائمة وان تغيرت الأرض والأسلحة والاغراض .

وقد رفعتم لواء هذه المعركة في أوائل هذا القرن . فهل من ذكريات عنها ؟

قال الدكتور طه :

ـ كنت مشرفا على صفحة الأدب في جريدة السياسة . وكانت الأمور تمشى عادية جدا حتى جاء مقال بعنوان : «رسالة عتاب الى صديق » وكانت من المرحوم مصطفى صادق الرافعى .

وأقول لك الحق : اننى قرأت الرسالة بامعان شديد فضقت بها أشد الضيق . ثم عدت فقرأتها فاشتد ضيقى . لأنها كانت مكتوبة بأسلوب لا يطاق . عندئذ نشرتها مع تعليق عليها . أذكر أننى قلت فيه : ان الأسلوب الذى كتبت به هذه الرسالة أصبح لا يلائم روح العصر . ولابد أن تتحرر الكتابة من جديد من الأغلال التى يفرضها عليها الرافعى .

وكان الرافعى سريع الغضب فرد ردا عنيفًا ورددت ردا أعنف ومن هنا قامت المشكلة بين القدامى والمحدثين . واشترك في هذه المعركة العقاد والمازنى . وكان من أثر ذلك أن ألف الرافعى كتاب «على السفود » ضد العقاد . ثم ألف كتاب « تحت راية القرآن » ردا على كتاب « الشعر الجاهلى » الذى سبق الحديث عنه وكانت مقالات الرافعى عنى أقرب الى الشتم بل ربما كانت شتما صريحا جارحا وكانت تنشر في احدى الصحف اليومية وأظن أنها (كوكب الشرق) .

وضحك الدكتور طه كأنما ليمهد لاعتراف قبل أن يقول :

وهكذا اشتدت الخصومة .. اشتدت الى حد أننى كنت أهاجم كل كتاب يظهر لمصطفى صادق الرافعى . لكنى لا أزال أقرر أن أحسن كتاب له هو « الرواية والرواة » والمعركة لا تزال قائمة حتى اليوم كما قلت .

والشبان يفهمون أننى أنا والعقاد من أنصار القديم . لكننى مثلا أستطيع أن أقرر أننى لست ضد الشعر الجديد على طول الخط مثل موقف العقاد منه . اننى أبيح الشعر الجديد وأقبله على شرط أن

يكون « شـــعرا » بمعنى أن تتوفر له الموسيقى والمعانى والأخيلة ويكون ملائما للذوق مرضيا له معبرا عن الطموح الى أمام ٠

لكن هناك فرقا بين المعركتين٠ فالذين كتبوا بين الحرب الأولى والثانية كانوا مثقفين ثقافة واسعة متنوعة عميقـة ٠ وكانوا يكثرون من القراءة ٠ أما الذين يكتبون الآن فأقل مايوصفون به أن ثقافتهم محدودة وقلما يقرأون ٠

ثم عرض الدكتور طه لعدة صـور للموضوع :

صورة المعـاداة للآداب العـالمية ٠ وصورة اللغة التى يكتب بها أدبنـــا أو يترجم :

قال :

أما معاداة الآداب العالمية فليس لهـا معنى الا أن نعيش على (نفســنا) حتى نزوى ونموت ٠ وأما لغة الادب كتابة وترجمة فقد كثر فيها الحديث ٠ لـكنه يحضرنى عنوان كتبه فى الجمهورية نعمان عاشور هو « لغة المسرح من تانى) وهذا يذكرنى بترجمة شكسبير للعامية التى كان نعمان عاشور ينوى تنفيذها ٠ وعلى رأى الدكتور مندور فى هذا : « وعندما تنادى « ديدمونة » (عطيل) فانها ستقول له : « ياعطول » ٠

وضحك الدكتور طه ثم استطرد :

صدقنى أنهم يظلمون الشعب ٠ ان هذا الشـــعب يحب كل الحب أن يقرأ العربية الفصحى وأن يسمع العربيـــة الفصحى ٠ صـــدقنى أنه شعب عميق التذوق،والتحدث اليهم بالفصحى يرفعهم فى أنفسهم ٠ واذكر أننى عنـدما كنت أتحدث فى الراديو بالفصـــحى كانت رسائل الاستحسان والاستزادة لاتنقطع عنى ٠ والمسألة بعد ذلك ليست محتاجة الى توضيح ٠

قلت لعميد الأدب :

ـ المدارس الأدبية التى تتتابع عـلى أدبنا كلها من بلاد أجنبية تصل الينا بعد ازدهارها فى مواطنها ٠

فأكمل قائلا : أو زوالها ٠

قلت :

نعم أو زوالها ٠٠وبعد ، فهل ترفضون قصة عربية ما لا تتبع أحدث المدارس القصصية ؟ ٠

فقال الدكتور طه :

ـ لا ، مطلقا ، لا ترفض القصة من أى مدرسة أدبية ٠ لكن هناك شيئا هاما يجب أن نعرفه . هو أن الذين يتكلمون عن الواقعية يفهمون خطأ أن الواقع هو التعبير بالعامية لأن أبطال القصة هم فى الواقع ناس يتكلمون العامية ٠ والحرص على هذا الواقع منقول الينا من روسيا بلا اتهام ٠

واتجه الى الدكتور طه يؤكد أنه لايحب أن يتهم أحدا وانما هو يقصد وجه الحق بل هو لا يستسيغ الاتهام ٠ واستطرد :

وهناك دليل آخر على ما أقول : هو أن كل الكتب فى روسيا تكتب باللغـة الروسية العالية ٠ وفى فرنسا أيضا٠٠ كان هناك كاتب واحد أو اثنان أرادوا أن يكتبوا الأدب باللغة الدارجة وبذلوا محاولة بعد أخرى لكنهم فشلوا ولم تنجح محاولاتهم ٠

وجرنا ذكر المدارس الأدبية الى سؤال أكثر أهمية كنت أكتم فى نفسى بعض الحرج من التوجه به الى طه حسين لكننى قلت :

ـ هل الشخصية الادبية العربية لم تصل بعد الى حد النضج الذى يمكنها

من ارساء مدرسة أدبية عربية مستقلة كالرومانسية والواقعية التى وردت من الخارج ؟! •

فقال عميد الأدب :

ـ السر فى ذلك هو أننا نتعلم الفصحى ولا نتكلمها • خذ مثلا لذلك •• الشعر •• نحن نعرف الجاهليين فى شعرهم ونعرف أوزانه كذلك لكن من المؤكد أنه فى صدر الاسلام والعصر الاموى دخلت الحضارة الى الحجاز ودخل الاسرى الاجانب والموسيقى والغناء • فنشأت فى الشعر العربى أشياء جديدة • فقد ابتكر الشعر بحورا أخف من بحور الشعر الجاهلى أوزانها قصيرة تتواءم مع التوقيع الموسيقى وعرفت (المجزوءات) وقس على ذلك ما حدث فى العصر العباسى • ولما اشتد الخلاف بين العرب وغيرهم تأثر الشعر بهذا فاندفعوا فى التجديد • مال كل شيء الى الخفة • والتجديد فى المعانى أمره مشهور عند أبى نواس • والتجديد فى الاوزان أمره مشهور عند مسلم بن الوليد • بيت الشعر العربى أخذ عنده هذه الصورة :

محمد بن منصور الفتى الجواد

وضحك طه حسين قبل أن يقول :

تصور أننا لانتكلم الفصحى حتى لو جلست أنا والعقاد •

ثم بدا عليه الارتياح وقال :

لكن •• مع ذلك يخيل الى أننا وصلنا الى جديد وهو تبرئة الاسلوب العربى من السجع والبديع حتى أصبحنا نكتب بسهولة • ببساطة يفهمها الشعب • كم تظن عدد الطبعات التى طبعها كتاب الايام •

قلت : أظنها عشرين طبعة •

فقال : لا •• أكثر •• كم عدد الطبعات يافريد •• نعم •• تمام •• ثمان وعشرون طبعة طبعها كتاب الايام للبساطة التى يفهمها الشعب •

قلت : هل يأمل الدكتور طه أن تولد عندنا مدرسة أدبية عربية يوما ما؟

فقال : أرجو أن يكون ذلك قريبا بشرط أن تدرس اللغة العربية درسا منتجا • وأنا أراهن أن الطالب عندنا يعرف اللغة الأجنبية التى يتعلمها أكثر مما يعرف الفصيح من العربية • وأذكر أن ابنى كان يدفع فى المدرسة التى يتعلم فيها عشرة قروش للكتبة وكان المدرس يكلفه قراءة كتب أدبية هامة ثم يسأله عما قرأ وكان يسهر ليقرأ • وكانت الأنوار تطفأ فى حجرات المسكن الا فى حجرته حتى كانت أمه تضطر فى بعض الليالى لمغادرة حجرتها لتطفىء عليه النور لكى ينام • وأذكر أننى قلت لمدير المدرسة التى يتعلم فيها : أرجوكم أن تخففوا عنه من القراءة شيئا ما •

ثم أحضرت لابنى مؤنس مدرس لغة عربية وسار معه المدرس شوطا طويلا • حتى فوجئت ذات يوم بدخول ابنى على وهو فى أشد حالات الغيظ وقال لى :

هل تستطيع يا أبى أن تتحمل هذا ؟

فسألته : ماذا ؟

فقال : فى الصباح أقرأ فى المدرسة كورنى وراسين • وبعد الظهر فى البيت أكتب موضوع انشاء عربى عن مناقشة بين الحجر والمسمار ؟! •

وابتسمنا معا ـ الدكتور طه وأنا ـ ونحن واثقان أن كل شيء يتغير الى أحسن وأفضل • ثم سألت الدكتور طه :

ـ الى أى حد تغيرت مسئوليات الاديب العربى اليوم عنها قبل ذلك ؟

فقال :

ـ انها لم تتغير بل انها تتطور •

ثم استطرد يؤكد كل كلمة ينطق بها كأنما يخاف على أن أنسى :

ـ الأديب مسئول عما يكتب من جهة ومسئول عن أن يكون ما يكتبه هادفا الى أن يرقى بالجماعة من جهة أخرى . ومسئول أمام القـــانون وتلك أخف مسئولياته لأن المسئولية الكبرى هى أن يعرف أنه يجب أن يكتب ليرفع الجماعة لا لينحط بها . هذه هى مســـئوليات الاديب .

ـ هل أدى النـــاقد العربى دوره المطلوب منه ؟

فأجاب الدكتور طه :

ـ هل تريد الجواب ؟

قلت :

ـ بلا شك .

قال :

ـ لم يؤد النقد العربى دوره حتى الآن ..

ـ لماذا يا سيدى ؟!

ـ الجواب ليس عندى . بل الجواب فى الكتب والصحف والمجلات التى وجدت بين الحربين . فان شـئت فارجع الى ما كان يكتب فيهـا . واقرأ ما يكتب الآن وأنا لا أشك فى أنك ستجد الفرق هائلا . وأقل ما يوصف به النقـد فى الفترة التى أعنيها .

أنه كان فوق الاعتبارات الشخصية وأذكر ان كتابا ظهر للعقاد فى تلك الفترة وكان العقاد يكتب فى صـحف الوفد فأثنيت عليه أنا فى الصـحيفة التى اكتب فيها ولم تكن صحيفة وفدية . وغضبوا منى يومئذ لكننى لم أبال . لان النقد الادبى فى رأيى يجب أن يكون فوق كل اعتبار . ومن النقـاد الذين شاركوا فى النقد الاصيل فى هذه الفترة العقاد والمازنى .

قلت : وعلى ذكر النقد والنقاد أحب أن اسأل سيادتكم :

ـ هل تفضل أن يســتقل الاديب العربى بنوع أدبى واحد فيكون قصاصا أو شاعرا أو ناقدا أو تفضل العكس ؟

ـ أنا أفضـــل أن تقولوا : « كاتب وقصاص » أو « كاتب وشـــاعر » وسأذكر لك شيئا من القديم وشيئا من الجديد فى الاجابة عن هذا السؤال .

أما القديم ، فقد قال المبرد مـؤلف الكامل فى كتابه : « باب نذكر فيه من كل شىء شـــيئا » ثم عرض المؤلف لتعريف الاديب .

فقال : انه من يأخذ بطرف من كل الوان المعرفة .

أما الجديد : فالـكتب القليلة التى ظهرت فى النقـد فى الادب الانجليزى كلها لا تعجبنى . فالكاتب أديب والاديب من يأخذ بطرف من كل ألوان المعرفة . أما احتكار النقد او احتكار أى لون من ألوان الفنون فلا أصفه الا بأنه تعصب وليس هناك شىء يدعـو الى التعصب الا الجهل .

ان قواعد النقد عندى كلام فارغ . فهناك جانبان لكل نقد مقرران معروفان عند الامم .

خذ القصـــة مثـــلا . فنحن عندما نقرؤها نسأل أول ما نسأل : ما أثر هذه القصة بالقيـــاس الى الذوق ؟ ثم .. ما العيوب التى يمكن أن توجد فيها من جهة الواقع أو من جهة اللغــة أو غير ذلك ؟

وهذا هو الواقع عنـــد كبار النقاد الفرنسيين . فهم لا يعرفون قواعـــد النقد . والنقد عندهم ملائمة العمل الفنى

للقواعد العامة من جهة ثم للقواعد الخاصة من جهة أخرى .

أما ما يسمى بقواعد النقد فسيكون مصيره مصير كتاب الخطابة وكتاب الشعر لارسطاليس .. كتاب الخطابة .. راح .. وكتاب الشعر .. راح

فالكاتب يكون قصاصا وشاعرا وناقدا .

هذا ما أعرفه .

وسكت طه حسين وعلى محياه دلائل انتظار لسؤال آخر . لكنني أدركت أنني قضيت ساعتين كاملتين وأنا استمتع بحديثه . وكانت نوازع الاستزادة تملأ نفسي . لكن وهج المدفأة الكهربائية القريبة من المكتب ذكرني أننا في الشتاء . وأن من حق الذين لا يبخلون بأوقاتهم وجهودهم على الناس ألا نثقل عليهم .

وخرجت وأنا أذكر قوله عن الادب والأديب :

« ان الادب حاجة تضطر الاديب الى الحركة فيتحرك . وتدفعه الى العمل فيعمل أما عواقب هذه الحركة ونتائج هذا العمل فأشياء قد يتاح الوقت للتفكير فيها في يوم من الايام حين تصبح أمرا مقضيا لا منصرف عنه ولا سبيل الى التخلص منه » .

وتوقفت وأنا لا أزال على مقربة من الباب حتى خيل الى أن أرجع لأسأل الدكتور طه عن معنى هذا . لكنني تذكرت أنه قال لى :

« ان مسئولية الاديب الكبرى هي أن يعرف أنه يجب أن يكتب ليرفع الجماعة لا لينحط بها » .

مصير الإنسان

من الأدب الروسي المعاصر

بقلم : زيكيو
ترجمة : حسين القباني

وتلاشت هذه النوبه العابرة من اليأس فى لحظات قليلة جلس يعيدها كثيرى وراح يرنو فى اتجاه المحله ، ترى ماذا يفعل بعد ذلك ٠



وضعت هذه القصة في بادئ الامر باللغة التشوكشية . وهى لغة لم يكن لها حروف كتابة الا في أواخر عام ١٩٣٣ . والتشوكشيين هم قوم من سكان سيبريا انحدروا من هؤلاء السكان المقيمين في الاسكا والمعروفين باسم الاسكيمو . وقد ولد المؤلف الشاب لهذه القصة في عام ١٩٣١ ، ودرس الادب عن طريق البرنامج السوفيتي الخاص بتدريس اللغات الروسية . وقد تأثر الى حد كبير بالادب الروائي الانجليزي والامريكى الذى كان يقرأه مترجما . وان مواهب ريكيو في فن الكتابة القصصية ، لتبدو واضحة في قصته هذه .

كانت الثلوج تتساقط.. وتحول الثلج من اللون الابيض الناصع ، الى الأصفر القاتم وهو يكسو الارض الا من الرقع الطينية التى تتخلله هنا وهناك وكانت السماء ، زرقاء ، داكنة ، والطقس دافئا . الا إنه في خلال الليل القصير ، برد قليلا ، وازدادت السماء قتامة حتى أشرقت شمس الربيع مرة أخرى . وبعد ثلاثة أو أربعة أيام أخرى ، أو أسبوع على الأكثر ، كانت الشمس ستبقى بلا غروب ، الا اذا كان الغروب مجرد لمسة من الشمس لحافة الأفق ، ثم تعود للشروق مرة أخرى لكى تذيب اشعتها بقايا الثلوج . وهذا يعنى أن الصباح سيبقى دائما ، فى النهار وفى المساء ، بلا ليل ، حتى نهاية الصيف ، وانه لشىء رائع . ففى خلال الربيع ، يستيقظ سكان المحلة مع البكور . اذ لم يكن هناك من يريد النوم ، لأن الواضح أنهم نالوا كفايتهم من النوم خلال أشهر الشتاء . ثم كيف يستطيع الصياد الأصيل أن يرقد فى الفراش بينما تمرق أسراب البط فوق المحلة رأسا ؟ ولكن ما قيمة البط حينما يقول آنيينير أنه سمع زئير الفقمات ، ولم يكن آنيينير من الذين يتخيلون الأشياء ، فاذا قال انه سمعها ، فهذا يعنى أنه سمعها حقا وأيا كان الأمر ، فليس فى هذا ما يثير العجب ، فاذا لم تزأر الفقمات فى الربيع ، فمتى تزأر . اذن لقد آن وقت الاستعداد لأولى رحلات صيد الفقمات ، وأولى الرحلات الى البحر .

وبدأت الثلوج فى الذوبان ، الا أن الشريط العريض من الجليد على الشاطىء ظل صلبا ، ورغم كثرة الشروخ التى تخللته ، الا أنه ظل كما هو ، وكان البحر فى كل يوم يقرض منه أجزاء تحملها الامواج المتتابعة الى الشمال . ولكن المسافة ظلت على أية حال ، طويلة تبلغ خمسة كيلومترات على الأقل ، وربما ستة ، من الشاطىء الى البحر .

ان كنيرى الصياد ليجلس الآن على حافة الجليد ،

والبندقية على ركبتيه . يحملق أمامه فى انتظار فقمة متهورة وكان وجهه ينم عن الرضى ، لأنه كان بجانبه على الجليد فقمتان قد صادهما فعلا باصابتين فى الرأس . أوه .. ان كنيرى صياد بارع . اذ يكفيه أن تبرز احـــدى الفقمـــات رأسها المستدير بين الأمواج

ان كنيرى ليســـتدفىء بعض الشىء فى الشمس المشرقة بصفاء على حزام الجليد والمحسنة بالدفء الرقيق ومن ثم كان الطقس دافئا ، لطيفا ، شديد الاختلاف عن الشتاء الذى كان على الانسان أن يكمن فيه ــ رغم صقيعه القارس ــ فى انتظار أن تطل احدى الفقمات برأسها من فجوة التهوية . أما الآن ، فانك لتؤثر البقاء على الانصراف .

وكان الوقت قد حان ــ بطبيعة الحال ــ لانصرافه . ذلك لأن رئيس المعســـكر كان قد أخبر كل فرد بأن يكون فى البيدر « القارب » فى الساعة الثامنة صباحا لاصلاح قارب الصيد . ولا شك أن الساعة قد بلغت الثامنة الآن ، أو لعلها قاربتها .

وكان كنيرى قد نهض فى وقت مبكر جدا هذا الصباح ، ولم يره أحد من ثم وهو فى طريقه الى حزام الجليد . وكان قد أزمع أن يمارس الصـــيد قليلا ثم يعود فى الثامنة ، حسنا .. انه لن يعود قبل التاسعة على أية حال والقارب يمكن أن ينتظر . والساعة التاســـعة مناسبة على كل حال للقيام بعمليات اصلاحه .

وانه لمن العسير على الانسان أن يرد نفسه عن مثل هذا النوع من الصيد ، لاسيما اذا كان موفقا فى يومه كما هو شأنه فى هذا اليوم . وقد شعر كنيرى ، على نحو ما ، أنه واثق من صيد الفقمة الثالثة بسرعة . وبعدها يستطيع أن يعود الى المحلة فورا .

ولكن الفقمة الثالثة ، مع هـــذا ، تأخرت فى الظهور . حسنا .. لينتظر قليلا . ان كنيرى جالس على حقيبة الصيد المصنوعة من جلد الفقمة الناعم ، مستندا بظهره الى جلمود من الجليد القديم . لقد عرف كيف يختار مكانا مريحـــا بحيث يستطيع الجلوس فيه طيلة اليوم دون أن يتململ . ان عليه ألا يتململ ، وألا يكشف عن نفسه بأقل حركة .. ذلك هو أول بند فى قانون الصيد .

وكان كنيرى ينفذ هذا القـــانون بدقة بالغـة .. بدقة أفضت به فى النهـــاية الى الوسن بعـد أن دغدغت حواسه

الشمس المحسنة ، والنسيم الرقيق ، وخرير الأمواج وانسياب الأفكار المتراخية في ذهنه • ولكن رأسه حين سقط على صدره ، جعله يصحو ويقول لنفسه « لقد حان موعد عودتي ، والا فسوف يتحول نعاسي فورا الى استغراق في النوم » •

وتصور نفسه عائدا الى البيت ، ساحبا وراءه غنيمته ، ناعما باستقبال أبنائه له ، لسوف يعطي لكل واحد من أبنائه الأربعة هؤلاء ، عين فقمة ــ المنحة الأثيرة لديهم ــ ولو أن فقمة أخرى أظهرت رأسها لكان لديه من العيون ما يكفي لأفراد الاسرة جميعا •

ولمح على المدى البعيد من البحر ، باخرتين • فقال لنفسه « اذن لقد بدأ موسم الابحار فعلا » وراح يتساءل عن عدد الايام التي تستغرقها البواخر في رحلاتها ، والى أين هي ماضية ، ومن أين هي آتية ، ثم قرر أن ينتظر فترة أخرى حتى يغدو الدخان المتصاعد في مواجهته تماما • وبناء على هذا التقدير فان انتظاره لن يطول أكثر من نصف ساعة أخرى • لسوف يبدأ في العودة الى البيت عندما يستطيع أن يرى الدخان دون أن يدير رأسه • فاذا ظهرت فقمة ثالثة في خلال هذه الفترة ، فعلى الرحب والسعة ، والا فلن يكون الأمر على جانب كبير من السوء ، لأن فقمتين ليستا بالصيد الهين •

وبعد أن استقر رأى كنيرى على هذا ، أخذته سنة من النوم • وفي هذه المرة مال رأسه برفق على كتفه ، بدلا من السقوط على صدره • ورأى في المنام أنه يسير بغنيمته في شارع المحلة • وقد جاء عدد كبير من سكانها ــ وبينهم العجوز ماميل ــ لاستقباله • وبعد أن نظر العجوز الى الفقمتين ، الواحدة بعد الأخرى ، قال « ما هو ذا معنى البراعة في الصيد •• لقد أصاب كلا منهما في رأسها دون أن يتلف عينيها » وابتسم كنيرى في نومه ، فالمديح دائما شيء جميل ، لاسيما اذا صدر من العجوز ماميل الذي طالما انتقده في الاجتماعات ، وفي صحيفة الحائط باعتباره متلافا كسولا •

أما الآن ، فانه يثني عليه كبطل ، وأن عليه أن يعترف في النهاية بأن ماميل رجل منصف حقا ، ولكن كنيرى ، من قبيل التواضع ، يغير الموضوع ويسأل عن الوقت •

وقال كنيرى وهو لا يزال يحلم « حسنا •• يجب أن أمضي ، لابد أن أحمل هاتين الفقمتين الى البيت ، لأنهم ينتظرونني بالمعسكر في الثامنة •

ويستمر حلمه ٠٠ لقد وصل الى البيت ، وراح يعطى عين فقمة للصغير كول – كا ٠ ويأخذها أصغر أبنائه ، ويلصقها على وجنته ٠ وتنتفخ وجنته ٠٠ وتغدو كبيرة الى حد غير معقول ٠ وتلتمع عين الفقمـــة فى وسـط الانتفاخ وتزداد وضوحا بالتدريج ٠ لا ٠٠ ليست هذه عين فقمة ٠٠ انها عين ماميل ان العجوز يرفع عينه اليه ويقول له بحزم : « اذن فقد هربت من الطابور مرة أخرى أثنـــاء انتظارهم لك فى المعسكر ، لكى تمضى الى الجليد » ويشعر كنيرى بالخجل ، ويرتعد تحت وطأة نظرات ماميس انه يريد أن يجرى ، ولكنه لا يستطيع ٠ يريد أن يقول أنه لايزال فى الوقت متسع للوصول الى المعسكر ولكن لسانه معقود ٠

واختفت عين ماميل لحسن الحظ ٠ وان كنيرى الآن فى قارب بالبحـــر ، لقد أوقف المحـرك وتركه يتأرجح على الأمواج برفق ،

ولما استيقظ ، بدا له ، كما حدث فى المرة الأولى ، أنه لم ينم غير لحظة واحدة ٠ وتطلع الى الدخان ، ولكنه لم يجد له أثرا ، ترى أين ذهب ، انه يقينا لم ينم حتى مرت الباخرتان واختفى الدخان وراء الافق ٠ وتثـاءب كنيرى بعمـق وهو ينهض واقفا ، ثم تمطأ وفرك يديه فى جنبيه ، وشعر بالجو قد برد وكأنما تلاشى الدفء من الشمس ، وانحنى ليربط الفقمتين ، ثم اذا يحس بهذه الأرجحة الخفيفة التى أحس فى حلمه ٠ ولما انتصب واقفا ونظر الى الشاطىء ، أنكمش فى نفسه فزعا ٠ وسقطت الفقمتان من يديه ، لقد وجد نفسه طافيا فى البحر على سطح قطعة جليد ضخمة انفصلت عن الحزام الجليدى وهكذا وجد نفســـه فى وسط مساحات هائلة من الميـــاه ، ومن بعيد جدا بدت الحـــافة المتعرجة للشاطىء الجليدى ، أما المحلة فلم يكن لهـــا أثر على مرمى البصر ٠

واندفع كنيرى الى حافة الطوف الجليدى وراح يستغيث بأعلى صوته ٠ وبلا كلمات ، وبلا أمل أخذ يلوح بذراعيه فوق رأسه ، ويضرب الجليد بقدميه وهو يزأر كحيوان جريح ٠ ولما أنهكه التعب ، سقط على الجليد والحشرجة الصوتية تند عن حلقه ٠

وتلاشت هذه النوبة العابرة من اليأس فى لحظات قليلة جلس بعدها كنيرى وراح يرنو فى اتجاه المحلة ، ترى ماذا يفعل بعد ذلك ؟

ولم يستطع رغم كل محاولاته أن يفكر فى شىء ٠ وهكذا

لم يبق أمامه الا الانتظار ، الانتظار حتى يتم انقاذه ، وما عليه الا أن يتجلد أطول مدة ممكنة • ان معه فقمتين وكمية من الطلقات النارية يمكنه بها ان يصيد اثنتي عشرة فقمة أخرى ، أو عشر على الاقل • وهذا يعني ان لديه طعاما لمدة طويلة أطول مما يستطيع أن يقدر ، لأن طوف الجليد لن يستمر كل هذه المدة •

لا •• انه بالتأكيد لن يموت جوعا ، ولكن الخطر الأكبر يكمن في أن الطوف الجليدي يتناقص يوما بعد يوم ، ويغدو أرق وأضيق من أن يصلح للبقاء عليه ، وأخيرا سوف يذوب تماما ويختفي ، فاذا لم يتم انقاذ كنبري قبل ذلك اليوم ، فانه لن يرى زوجته وأبناءه وأصدقاءه • اذا لم ينقذه أحد لطوف الجليد المتماسك ، فسوف يهلك حتما •

وبدأ كنبري يفكر في الصيادين الذين حملتهم الى عرض البحر أطواف الجليد • اترين بن جيموج النقاش ، حمله طوف وهو لا يزال غلاما في الخامسة عشرة من عمره ، وان كنبري ليستطيع ان يذكر هذا الحادث بوضوح لأنه اشترك في عمليات البحث • ولما يئس الجميع من العثور عليه ، اذا به يعود بعد عشرة أيام • لقد أعاده الى أهله جماعة من الصيادين في محلة مجاورة كانوا قد عثروا عليه في حالة ارهاق شديد فوق الجليد •

ويقال أيضا ان ماميل حمله طوف جليدي ذات مرة ، ولكن ذلك كان منذ أمد بعيد ، قبل أن يولد كنبري • وكان ماميل قد حمل مسافة بعيدة الى شاطيء غريب • ويقال أنه ظل يهيم في مناطق غريبة مدة سبع سنوات ، ولكنه عاد في النهاية الى محلته •• نعم •• عاد •

ولكن ماميل كان قد حمل في الشتاء ، ومن ثم فلا وجه للمقارنة ، ذلك ان طوف الجليد في الشتاء لا يقل صلاحية عن الطوف الخشبي ، أي أن في مقدورك أن تطفو عليه شهرا ، وربما شهرين قبل أن يذوب • أما في الربيع ؟• لقد قالوا ان صيادا حمله جليدي من آنجويما في ربيع العام قبل السابق ، وانقطعت أخباره بعد ذلك • ولا شك ان الطوف الجليدي كان صغيرا ودب بسرعة • وفي مثل هذه الظروف لا يستطيع الانسان أن يبقى طويلا على قيد الحياة فوق طوف جليدي • ان الشمس تسخنه ، والأمواج تؤرجحه فيذوب الى قطع صغيرة كما يحدث للسكر في قدح شاي •

وان كنيرى ليتمنى أن يدفع أى ثمن لكى يغدو فى تلك اللحظة جالسا فى بيته الى مائدة الطعام وأمامه ابريق ساخن من الشاى ليدفىء يديه بوضعهما عليه ، وليرتشف منه قليلا قليلا مستمتعا باستنشاق شذاه العاطر ٠

وكان عليه أن يدرك خطورة موقفه منذ الدقيقة الأولى ٠٠ منذ اللحظة التى وجد نفسه فوق الطوف الجليدى ٠ وكان كلما فكر فى هذا ، ازداد ادراكا بأن الأمل فى انقاذه ضعيف ــ بل يكاد يبلغ حد المستحيل ٠ وتذكر أبناءه ، وسرعان ما قال لنفسه « اننى س أراهم مرة أخرى ، وأضيفت الى المشاعر الغامضة عما سوف ينتظره ، فكرة الموت ٠ وكان فى اللحظة الاولى قد شعر بخوف وحشى أما الآن فقد انتابه الحزن الذى بلغ أعماق نفسه

ونهض كنيرى ببطء وذهب الى حقيبة الصيد ٠ وكان عليه أن يسير بحذر وببطء حتى يحافظ على كيان هذه القطعة الجليدية التى تتوقف عليها حياته ٠ وعاد يجلس على حقيبة الصيد وبدأ يفكر ٠ وكانت الشمس قد مالت كثيرا نحو الغروب ٠

ولمست الشمس الأفق وصنعت طريقا ذهبيا لامعا يمتد من الطوف الجليدى عبر المياه الى حيث يغوص قرصها وراء البحر ٠ وكان النصف الأسفل منها قد غاب وراء الأفق ، ولم تلبث أن اختفت بأكملها وكأنها غربت ، وانطفأ الطريق الذهبى ، وازدادت السماء قتامة ٠ ولكن كنيرى كان يعلم أن الشمس لن تلبث أن تشرق بعد قليل ، وتبدأ فى اذابة الثلوج خلال نصف ساعة ٠٠ ولسوف تعود للظهور مرة أخرى الى اليمين قليلا ــ من حيث اختفت ٠

ولم يكن كنيرى من نوع الرجال الذين يستسلمون للاكتئاب مدة طويلة ٠ انه لم يهمه كثيرا لأن الاحوال بالنسبة اليه لم تتحسن ، وانه لم يشعر بأنه أسعد حالا من الامس٠ كل ما فى مقدوره أنه لا يستطيع أن يكتئب طويلا٠ أن أخطر المواقف وأدعاها لليأس لا يمكنها أن تثير فى نفسه الاكتئاب الا لمدة قصيرة جدا ٠ ان الاحوال قد تبقى كما هى ٠ ولكن الاكتئاب لا يبقى ٠

والتمس شيئا من العزاء حين وجد الصباح مقيما بعض الشىء ٠ فهذا يعنى أن الخطر فى سرعة ذوبان الطوف الجليدى سيكون أقل مما لو كان الصباح مشرقا ٠

كان التيار يحمله تدريجيا نحو الشمال .. فيقترب به شيئا شيئا نحو بحر تشيكوتسك . ولكنك لو نظرت بامعان لوجدت أن من الممكن رؤية الشـــاطيء الذى لم يكن سوى خط ضيق باهت اللون يكاد يمتزج بالضباب . وهذا يعنى أن المسافة ليست بعيدة على جماعة الانقاذ ، اذ أن فى مقدورهم قطعها بسرعة فى زوزقهم البخارى ومعهم مناظيرهم المقربة .

والشيء التالى الذى فعله كنيرى ، هو قيامه بجولة فحص وتفتيش فى جوانب الجزء الباقى معه من الطوف الجليدى ، وبعد أن فحص بدقة كل شرخ ، وجد أنها شروخ بسيطة عند الاطراف . وفى أثناء الليل لم ينفصل عن الطوف غير قطعة جليدية لا تزيد فى الحجم عن رأس فقمة . وقد ابتعدت الآن نحو ثلاثين كيلومترا .

وكانت مساحة الطوف الجليدى لا تقل عن مساحة بيت كبـــير . وكانت به نتوءات مرتفعـــة فى خطوط مستقيمة تقريبا ، يبلغ ارتفاع بعضها قامة رجل ، وبعضها الآخر أقل ارتفاعا . وكان ثمة بركة صغيرة قد تكونت من الماء العذب المذاب من الجليد بين النتوئين الأوســـطين . وكان ثمـــة أطواف جليدية كثيرة قد انفصلت عن الشـــاطيء الجليدى وأخذت تطفو على ســطح البحر وعلى مســافات بعيدة من بعضها البعض .

ونقل كنيرى متاعه الى وسط الطوف على سبيل المزيد من الحـــذر والاحتيـــاط . وكان المتـــاع يتكون من بندقيته والفقمتين وحقيبة الصيد ، وهراوة الصياد والخطاف الذى يلقى به الى الماء ليسحب الفقمة المصابة . وبعد ذلك سلخ الفقمتين وقطعهما ووضع لحمهما فى أسفل أحد النتوءات . وتناول افطاره من كبد الفقمة ورغم أنه أكلها نيئة ، الا ان هذا لم يضـــايقه كثيرا . لقد كانت أسنانه قوية من نوع الاســـنان التى تنفذ فى جلد الفقمة . فما بالك بلحمها ؟ ورغم أن مذاقها كان غريبا بعض الشيء الا أن جوعه الشديد عندئذ جعل كل شيء يأكله يبدو لذيذا .

واختتم طعامه بعـين الفقمة ، باردة ملحـة ، بعد أن غسلهـــا فى ماء البركة وجمع كل الثـــلوج المتبقية وصنع منها جدارا فى الجانب الجنوبى من البركة . وبذلك اطمأن الى الماء لن ينحدر حتى لو صفت السماء ، لانه سيكون فى ظل الجدار . وأهم من هذا فانه يضمن بذلك ألا يضيع الثلج فى

البحر عند الذوبان ، بل سيجتمع فى البركة ويزيد مؤونته من الماء العذب ، ولفرط سروره بهذه الفكرة جمع كنيرى المزيد من الثلوج الصفراء المتناثرة هنا وهناك ليزيد من ارتفاع هذا الجدار الاوسط .

وماذا عليه أن يفعل بعد ذلك ؟ ان كنيرى يجلس على حقيبة الصيد الجلدية ويشغل نفسه بتنظيف بندقيته . ألم يكن من الافضل لو أنه أطلق بضع رصاصات بالامس عندما اكتشف الكارثة . لا .. ما كان ثمة أحد ليلاحظ ما حدث . فقد كان هناك صيادون كثيرون يطلقون البنادق بالقرب من المحلة ، وما كان اطلاق الرصاص على الفقمات ليثير انتباه أحد . وعلى أية حال ، هل يفيد الندم على شيء لم يفعله بالامس ! ليس هناك مايستطيع أن يفعله الآن . بل ان كنيرى ليبتسم قليلا الآن وهو يذكر كيف زار وضرب الجليد بقدميه . ومن حسن حظه أن أحدا لم يره .

وما الفرق ، فى المدى الطويل ، بين قيام أحد بالبحث عنه بالامس أو اليوم . ان الامر لا يعنى أكثر من البقاء بضع ساعات أطول على الطوف الجليدى . وان لديه اللحم والماء العذب ، ومن المحتمل أن يظل الطوف متماسكا أسبوعا . ومن ثم فسوف يكون لديه ، على الاقل ، شيء يتحدث عنه عندما يعود الى المحلة .

ان البحث عنه لا بد قد بدأ الآن ، ومن ثم فليس هناك ما يثير قلقه الى حد كبير . ولكن ماذا لو ان البحث لم يبدأ ، ماذا لو أنهم لن يقوموا بأى بحث عنه ؟ ان زوجته سوف تهرع بطبيعة الحال الى قاميش رئيس مجلس ادارة المزرعة الجماعية . ولكن ماذا لو أن قاميش رفض أن يرسل أى فريق من الرجال للبحث عنه ؟ هل فقدت زوجك كنيرى ، أتظنين أنه قد يكون حمل الى البحر على طوف جليدى ، حسنا ، وماذا لو حدث هذا ؟ أنه يستحق ما يجرى عليه . وأنه لخير لنا ولك أن نعيش بدونه . مافائدة هذا الكسول ؟ اننى ما كنت لاخذ رجالا عاملين من أعمالهم لاجعلهم يغامرون بحياتهم من أجله . بل ما كنت لأغامر بالقارب أيضا . انه لا يزال فى البحر كثير من الثلوج العائمة ، فماذا أفعل لو اصطدم القارب بها وتحطم ؟ لا ، اننى فى حاجة الى جميع رجالى هنا فى المزرعة الجماعية .

ولو كان ماميل ـ عضو مجلس الادارة ـ بجانب قاميش

فى تلك اللحظة لاضاف الى هـذا قوله «اننى لم اتوقع نفعاً منه فى يوم ما • انه رجل كسول تافه مدع • ولشد ماصبرنا عليه ، واقتدناه وحفزناه ونقلناه من معسكر عمل الى آخر وانك لتظن ، برهة ، انه آب الى رشده وبدأ يعمـــل جادا ولكنك لا تلبث بعد ذلك أن تراه متسكعا مرة أخرى ولاشك أنه سيكون هو المسئول اذا جلب على نفسه المتاعب • ومن ثم عليه أن يخلص نفسه منها بقدر ما يستطيع » •

وأرسل كنيرى ضحكة قصيرة وهو ينظف بندقيته •فلا قاميش ، ولا ماميل يمكن ان يقول شيئا كهذا بل لعـــل قاميش نفسه يشترك فى حملة البحث ، وكذلك ما ميـــل اذا قبلوا أن يأخذوا معهم رجلا عجوزا ولا شك أن البحث عنه قد بدأ الآن •

ولكن كنيرى ، مع هذا شعر ببعض القلق بسبب الكلمات التى وضعها على لسان جيرانه ، لانها لم تكن فى الواقع بعيدة عن الصواب • ذلك أنه تعرض للنقد أكثر من مرة بسبب كسله ، وادعاءاته وعدم اقباله على العمل بحماس ، ومن ثم كان للنقد ما يبرره •

ماذا كان هو ، اذا شـــئنا الحقيقة ؟ ماذا كانت فائدته للمزرعة الجماعية ، لقد كان بارعا فى اصابة الهدف ، ولكن هذا لم يعن أنه بارع فى الصيد ، لان صفات الجلد والحرص لم تكن متوافرة لديه حقا لم يكن أقل براعة فى تمرينـــات اطلاق النار من آنبنير أو رنتوئيجى ولعلهما كانا ــ على أكثر تقدير ــ أبرع منه قليلا • ولكنهما كانا صيادين مشهورين، تمتلىء حقيبة صيد كل منهما فى كل مرة بعشرة أمثال مافى حقيبته هو • وان صــــورهما كانت تنشر دائما على لوحة الشرف ، فأى صفات أو مميزات يتمتعان بها ، ولا تتـــوافر لديه ؟

لقد كان كنيرى بارعا فى الاعمال اليدوية ، وفى ذات مرة صنع زحافة ليقدمها هدية لحماه ، فنالت اعجاب ســـكان المحلة جميعا ، ولما عهد اليه قاميش بصنع زحافة مماثلة لصيد غزال الرنة للمعسكر ، بدأ العمل فيها ولكنه لم يتمها •

كم مرة تعرض للنقد بسبب تهربه من العمل فى المزرعة الجماعية ؟ فمرة كان يذهب الى منطقة التندرا ببندقيته ، ومرة أخرى يذهب ، فى أوقات انشغالهم الشديد بالعمل الى المحلة المجاورة لانه سمع أن فى متجرها بضائع جديدة،

وفى مرات أخـــرى كان يذهب الى المخفر القطبى ليلعب الشطرنج مع مندوب الاسعاف فيه ٠

وبمنـــاسبة الشطرنج ان كنيرى هو أحسن لاعب فى مزرعة مورننج الجماعية ٠ وحتى فى مبـــاريات المنطقة كان دائما بين الفائزين الاول ، وفى ذات مرة أرســل الى أنادير ليشترك فى مباراة اقليمية ولكن رجال المزرعة الجماعية ، ولاسيما أعضاء مجلس ادارتها لم يكونوا ، على نحـــو ما ، يهتمون كثيرا بهذا الامر ٠

صحيح أن كنيرى أخطأ فى مباريات أنادير وجاء ترتيبــه الأخير ، من ثم لم يرسل مرة أخرى للاشتراك فى مباريات الشطرنج التى أقيمت بين لاعبى المزارع الجماعية فى مدينة خاباروفسك وقد قال له ايجنتو الفـــائز ـ الذى كان راعى غزلان فى منطقة آفوى الكبرى ، قبل سفره الى خاباروفسك « انك تستطيع أن تلعب جيدا يا كنيرى ٠ ولكنك لا تعرف شيئا عن منهج اللعب ، ولابد للاعب أن يجيد دراسة المنهج»

ووضع كنيرى البندقية جانبا، ونهض وراح يتلفت حوله: ولاح له أنه غدا الساكن الوحيد على سطح الارض ٠ ولكنه ليس على الارض الآن ، بل على سـطح الماء ٠ لاشـــك أنه سيحمل معه قصة ممتعة ليسردها على عائلته ٠

ومرة أخرى التقط بندقيته ، وسرعان ما اســتغرق فى تفكير عميق ٠

ها هو ، حقا ، ذو نفع كبير لعـــائلته ؟ ان زوجته تيون تكسب فى اليـــوم ضعف ما يكسبه أى عامـل فى المزرعة الجماعية ٠ وان العائلة كلها تعتمد عليها فى معاشها ٠انها واحدة من أبرع الخياطات فى المعسكر ٠ ولا تفـــوقها فى عملها الا العجوز رالتين ٠

وحـــول كنيرى ـ بتفاؤله الطبيعى ـ أفـكاره الى زوجته وأبنائه، وبهذا مسح كل آثار اكتئابه الناتج من نقده لنفسه٠ وشرع يفكر فى زوجته مزهوا وكأنمـا كان هو ـ وليســت رالتين العجوز ـ الذى علمها فن التطريز على الملابس المصنوعة من جلود الرنة ٠

وتذكر أبناء التوائم بحنـــان خاص ٠ أنهم زوجان من التوائم ، وتلك سعادة لم تكن ميسورة لغيره ٠ حقا ان ما حدث كان شيئا تلقائيا ، فلا يحــق له أو لينتون أن يزهو

بذلك • ومع ذلك فعندما رزق بالتـــوأمين الثانيين نشرت نشرت صحيفة المعسكر الخبر ، واستبقى الاطباء تيون فى مستشفى الولادة شهرا كاملا ، لانهم كانوا شديدى القلق على التوأمين ، كما خشوا أن يصابا بنزلة برد عند عودتهما الى البيت • ولما أحضرت الباخرة الأكواخ الخشبية الجاهزة بعد ذلك ، منح كنيرى واحدا منها • وكان توزيع الأكواخ يخضع لنظام دقيق تطبقه لجنة التوزيع بالمنطقة • وكانت المحلة يومذاك مكونة ، فى جملتها ، من المخيمات ولم يكن فيها غير خمس عائلات تتمتع بسكنى المنازل • وكان كنيرى وأبطاله الأربعة من بين هؤلاء المحظوظين •

ترى ماذا يفعل هؤلاء العفاريت الصغـار الآن !! ان ايلجيلى وأمريل ـ كوت صارا فى السن التى تجعلهما يفهمان الحزن الذى سيبدو على وجه أمهما ، ويدركان أن شيئا ما قد حدث لأبيهمـــا بل ان الاصغرين قد صارا فى السن التى تؤهلهما لفهم أشياء كثيرة ، اذ بلغا الثالثة من العمر وكانت تبون هى التى أرادت أن تطلق عليهما أسماء روسية تكريما للأطبـــاء الذين أحاطوها بكل رعاية ممكنة ومن ثم سـمى أحدهما كوليان « نيكولاى » والآخر ساشا « السكندر » • وكان بين الاطباء واحد يدعى نيكولاى بتروفيتش وهو جراح أول ، وآخر يدعى الكسندر ايفانوفا •

ووافق كنيرى فورا زوجته على أن من الواجب تســمية الطفلين نيكولاى والكسندر ، وقـــد خطر له الآن ، للمرة الاولى ، أنه ما داما يحملان أسماء روسية ، فلا بد لهما من اسم ثان « لقب » عندما يكبران وعندما ينتهيان من دراستهما الثانوية ليدخلا أحد المعاهد العليا •

لقد كان كنيرى يريد ، بكل تأكيد ، أن يواصل أطفاله تعليمهم • واذا كان ابن آتيك يدرس فى جامعة لننجراد ، فلا بد أن يذهب أطفاله الى لننجراد أيضا يسجلون أسماءهم فى سجلاتها الجامعية السميكة • لقد كتب كنيرى اسمه فى سجل ســـميك عندما ذهب الى مبـــاريات أنادير ، ولكنهم لم يسالوه عن لقبه ، لان كل فرد من الاهالى فى تشوكتكا له اسم واحد فقط • ولكن الامر فى لننجراد يختلف • فهناك سيحتاج كل ابن من أبنائه الى اسم ثان • فكيف سيكون هذا الاسم ؟ نيكولاى كنيريفتش ، ما أعذب رنين هذا الاسم ؟ والكسندر كنيريفتش •

ولكن ماذا لو أن كوليا بن يرى أباه مرة أخرى ؟ وعندما يكبر سيقولون له ان أباه كان شخصا تافها كسولا • انك لا تستطيع أن تتأكد مما سيقوله النـــاس عن شخص ما ، لا سيما اذا كان ميتا •

ولم يعد كنيرى يشعر بأى جزع ، لقد كان يفكر على هذا النحو عامدا ، لكى يعبث بنفسه • ذلك أنه كان واثقا ، لسبب ما ، أن زوروفابخاريا سوف يظهر سريعا ، بل سريعا جدا •• وما عليه الا أن ينتظر فقط •

ولم ييأس كنيرى أن ينتزع نفسه من هذه الخـــواطر اللطيفة ، ولكن كان عليه أن ينهض ، ويتناول هراوته ويمضى الى طرف الطوف الجليدى • ذلك أن كتلة جليد ضخمة كانت تقترب ، فاذا اصطدمت بطوفه ، فقد تسوء الامور معه الى حد خطير • فان الصدمة قد تحطم الطوف ، ومن ثم عليه أن يقف فى الطرف ويبعد الطوف بهراوته عن الكتلة الجليدية الطافية •

ولم يشعر بسرعة اندفاع الكتلة الجليدية نحـــوه الا عندما وصل الى طرف الطوف الجليدى ، ومن ثم وقف بعد ان أفسح ما بين قدميه ، وأمسك بهراوته مصوبة الى جرم الكتلة الجليدية • ولكن الهراوة انزلقت على الجرم ، وقبل أن يسترد توازنه ، سقط على الجليد ، ثم اذا هو يسمع صوت ارتطام خفيف •

ووثب كنيرى واقفـــا وتلفت حوله ، وحدث ما كان يتوقعه ، فقد رأى الطوف الجليدى قـد انقسم الى نصفين ، وكانت بندقيته وحقيبة صيده فى النصف الآخر • ولما وثب ليقطع الفتحة بينهما ، سقط ، ولكنه تمالك نفسه ، وأمسك بالاثنتين : البندقية والحقيبة ، الا أنه لم يستطـع أن يقرر الوثب عائدا الى حيث ترك الهراوة ولحم الفقمتين ، وأسوأ من هذا أنه وجد النصف الذى تركه أكبر ، ومع مرور كل لحظة كانت الفجوة تتسع ، وأصبح أمام كنيرى الآن ممر مائى قاتم اللون • ولو أنه رأى هذه الفتحة فى أول الامر ، لما وجد فى نفسه الشجاعة للقفزة الاولى ، رغم أنها لم تكن عندئذ على مثل هذا الاتساع • اذن لقد أحسن صنعا حين قفز دون أن ينظر الى أسفل • وأسرع كنيرى وفك الحبل المنتهى بخطاف والقى به عفوا • وتعلق الخطاف بأحد النتوءات على النصف الآخر ، وتوتر الحبل الى حد شديد •

لو أنه انقطع الآن ، لضاع كنيرى ، لانه ماكان ليستطيع

أن يفعل شيئا بدون خطاطيفه • وان بندقيته ستكون بلا جدوى ، لانه حتى لو أصاب فقمة فى مقتل ، لعجز عن سحبها بدون خطاف •

وأخذ الحبل المشدود يحز فى يديه ، وجف حلقه من فرط التوتر وسرت الرعدة فى كل جسمه ولكن الفتحة المائية القائمة توقفت عن الاتساع ، وتوقف نصف الطوف الجليدى عن الابتعاد • نعم •• توقف هذا النصف كأنما يفكر فى الخطوة التالية ، ثم بدأ فى الاقتراب تدريجيا ، وهكذا خف ضغط الحبل على يديه فى النهاية •

ولما ضاقت الفتحة بين النصفين ، اجتازها كنيرى بسهولة ، وبعد أن تأكد من وجود لحم الفقمتين فى مكانه ، حمل بندقيته وقذف بحقيبة الصيد ، ثم سقط من فرط الارهاق • ولما شعر بجفاف فمه ، استدار الى بركة الماء العذب ليلاحظ أن الجليد انقسم عندها تماما ، وهكذا ضاعت بركته العذبة الحبيبة •• جرى ماؤها العذب الى البحر ، واختفى أيضا رصيد الثلج الذى جمعه للطوارىء •

ولم يبق من مملكة ـ كنيرى الجليدية الا قطعة صغيرة •• قطعة صغيرة لا تزيد عن نصف ما كان يمتلكه قبل ساعة واحدة ، ولا يمكن أن تقاوم الذوبان أكثر من يومين مشمسين •

وفى اليوم الثالث دخل كنيرى بحر تشوكتسك ، ولم يعد للشاطىء أثر على مرمى النظر • وكان يخيل اليه أحيانا أن الحقول الثلجية البعيدة عند الافق ، هى خط الشاطىء ، ولكنه لا يلبث أن يتبين أنها أطواف جليدية حملها التيار القوى الى عرض البحر •

وكانت السماء أكثر صفاء من اليوم السابق ، وكانت تلك علامة سيئة جعلت كنيرى يقول لنفسه « يجب أن أغير معسكرى ، وفى أسرع وقت ممكن » •

وقرر أن ينتقل الى طوف جليدى أحسن فى أول فرصة ممكنة ، وذلك بعد أن جرب عملية الانتقال ولكنه ظل طيلة النهار ، وكأنما أراد القدر أن يسخر منه ، دون أن يرى فيما حوله طوفا جليديا صالحا للانتقال اليه •

وتناول كنيرى وجبة كبيرة من الطعام ، ولكنه لم يلبث أن ندم عليها بعد ذلك • لأنه ما كاد أن يملأ معدته باسراف حتى بدأ يشعر بالظمأ الشديد

وفى ذات مرة سمع من بعيد زئير فقمة ، فقال لنفسه

« لقد كان انبنير على حق ·· لقد بدأت الفقمات فى الزئير حقا ·· ترى كيف أمكنه أن يسمعها قبل أى فرد آخر ! انه دائما يسمعها قبل الجميع فى الربيع ، ولهذا كان معسكره يستعد لرحلات الصيد قبل غيره من المعسكرات ·

وتحولت أفكار كنيرى مرة أخرى الى المحلة ، ولكنها . أى أفكاره ، كانت أقل تفاؤلا منها فى الليلة الماضية · انه لم يعد واثقا من نهاية سعيدة · وعاد مرة أخرى يفكر فى سمعته السيئة ، وفى المخاوف التى بدت بالامس لا أساس لها ومن ثم تحرر منها بسرعة · انهم طبعا سيبحثون عنه ولكن المشكلة هى : كيف سيبحثون ، لو أن انبنير ترأس فريق الباحثين ، أو نتوفجى ، أو قاميش نفسه لكان العثور عليه قد تم منذ مدة طويلة · انهم ما كانوا ليراسلون قاربا بخاريا واحدا ، وانما جميع القوارب البخارية وغيرها من الاطواف التى تمتلكها المزرعة الجماعية ·

وللمرة الاولى منذ انفصلت القطعة الجليدية به عن الشاطىء ، خامر كنيرى بقوة عارمة الاحساس بالعزلة التامة ، ولعلها أول مرة فى حياته يشعر فيها بمثل هذا الاحساس ·

وعند الظهيرة ، اقتربت منه قطعة جليدية لا بأس بها ، محاطة بمجموعة صغيرة من القطع الجليدية الاخرى ، حتى غدت على بعد عشرين مترا منه · وقذف خطافه الى الطوف الجليدى الكبير وشد الحبل بقوة ، ولكن القطع الجليدية المحيطة به ، منعته من الاقتراب من طوفه الصغير بما فيه الكفاية · وعبثا حاول أن يبعدها بهراوته · اذ كان كلما أبعد قطعة منها ، اندفعت الى مكانها قطعتان أو ثلاث ·

ولكن كنيرى لم يرغب فى التخلى عن هذه الفكرة ، اذا كان هناك بعض الثلوج فوق الطوف الجليدى الآخر ، وهذا يعنى توافر الماء العذب الذى أصبح من أهم ضروريات حياته فى تلك اللحظة ، بل انه صار أكثر ضرورة من رغبته الملحة فى الانتقال الى طوف أكبر مما يقف عليه الآن ـ هذا الطوف البائس الذى لن يلبث أن يذوب فى خلال يوم آخر تنم شمسه على أنها ستظل ساطعة ·

وكان هناك قطعة أو اثنتان بين القطع الصغيرة ، يبدو أنهما تصلحان للوقوف عليهما واتخاذهما جسرا الى الطوف الكبير ، ورغم ما فى هذا الاجراء من خطر ، فقد قرر كنيرى أن يجازف بالعبور عليهما اذ لم يكن هناك طريق آخر ،

وبحركة عارمة من ذراعه ، قذف بحقيبة الصيد الى الطوف الجديد ، ثم علق بندقيته الى كتفه ، وربط الحبل حول وسطه ، قائلا لنفسه « لسوف أترك لحم الفقمتين هنا فى الوقت الحاضر ويمكنني احضاره وأنا هناك » .

وبعد أن اختبر بهراوته أقرب القطع الثلجية اليه ، خطا فوقها ، ومنها الى قطعة أخرى ، ثم الى ثالثة ، حتى اذا أصبح قريبا من بغيته انزلقت قدمه وسقط على ركبتيه ، ومالت قطعة الثلج بعنف ، واذا هو يسقط فى الماء . واضطرب فى الماء البارد ، وحاول أن يتشبث بقطعة الثلج الكبيرة ، ولكن بندقيته وملابسه الثقيلة المبللة أخذت تغوص به ، واختفى رأسه تحت الماء بضع مرات . وفى مرة منها ظل مختفيا مدة طويلة بحيث لاح كأن الامواج أطبقت عليه الى الابد . الا أنه طفا مرة أخرى وهو يبصق الماء الاجاج ، وراح يبذل ما تبقى من قواه ليبقى سابحا .

واحتكت يده مصادفة بحبل الخطاف الذى كان لا يزال مربوطا حول خصره ، وكان قد نسى أمره الا أنه سحب يده فى أول الامر خوفا من أن تشتبك فيه ، ثم اذا هو يدرك عندئذ فقط أن الحبل يمكن أن ينقذه ، ومن ثم راح يشق على نفسه بالسباحة ليقترب من الطوف الجليدى الجديد ، ولكنه غاص مرة أخرى تحت سطح الماء ، ومع ذلك فقد ظل يدفع نفسه نحو الحافة .

وأخيرا زحف عليها ورقد فوق الجليد يلهث . وشرعت المياه تنساب من فمه وأنفه وأذنيه ، كما شعر هو بصداع رهيب . وكانت الخدوش الناشئة من الثلج المكسر قد ملأت يديه ووجهه ، فأخذت الدماء تنساب منها بلا توقف .

ولما استرد أنفاسه بعض الشىء ، زحف بضعة أقدام وراح يلعق بنهم الثلج الملقى على أرضية الجليد ، ثم استدار ورقد على ظهره التماسا للقليل من الراحة ، ولكن بلل ملابسه جاله يشعر بالبرد الشديد ، فنهض وخلعها عنه .

وراح يدلك جسمه المتجمد بالثلج ، وسرعان ما شعر بالدفء يسرى فيه . ثم فك الحبل من الخطاف الغائص فى الجليد ، وشده بين نتوئين ، ونشر عليه ملابسه ، ولكن ثقلها جعل الحبل يتراخى ويسقط .

وتلفت حوله باحثا عن الهراوة ، فوجدها ملقاة على

احدى قطع الثـــلج الطافية حـــول الطوف الجليدى ولكنه استطاع ، لقربها ، أن يستردها وأن يتخذها مدقا لعصر المياه من ملابسه • وليت زوجته تيون ترى كيف يجيد عمل كل شيء ، وكأنه ربة بيت مدربة •

وفى تلك اللحظة فقـط تذكر لحم الفقمتين الملقى على الطوف الجليدى المهجور • وفيما هو يهم بفك حبال الخطاف، راى أن أطولها لن يصل الى الطوف القديم الذى كان قـــد ابتعد بسبب التيار حتى أصبح على مســـافة تزيد عن مائة متر •

ولم يهتم كثيرى بما حدث الى حد كبـــير • لقد كانت لديه ذخيرة من الرصاص ، وفى مقدوره ، من ثم ، أن يحصل على الطعام • وقد لاحظ مرات عديدة فى اليوم السابق بعض الفقمات تبرز بحيازيمها المستديرة فوق الماء • ولم يشأ فى ذلك الحين أن يصيدها ، لانه كان يمتلك لحم الفقمتين •

وجلس كثيرى على حقيبة الصيد ، وطوى ركبتيه بشدة تحته ، وراح ينظف بندقيتـه باهتمـــام كبـــير • ودفأته الشمس ، ولكن عندما غابت وراء كتلة سحاب ، ازداد الهواء برودة ، فراح يقوم ببعض ألعاب القوى التى لم يكن لها مثيل فى أى كتاب خاص بهذه الالعاب •

وسرعان ما جففت الشمس ونسائم البحر ملابسه • فلما ارتداها جلس على حافة الطرف والبندقية فى يده وراح ينتظر الفقمات

وما أشد الفرق بينه الآن ، وبينه عندما كان لا يحمل للدنيا هما ، ان ملابسه الآن ممزقة ومكمشة ، ووجهه الذى غدا نحيلا ، ملىء بالخدوش والكدمات •

انه يجلس على حافة الطوف الجليدى ، تماما كما جلس قبل يومين على حافة الشاطىء الجليدى وأخذ يمد عينيه على سطح الماء بحثا عن أثار للفقمات • وقد لمحها مرتين ، ولكنها كانت بعيدة وكان هو قد قرر ألا يطلق بندقيته الا اذا تأكد من اصابة الهدف •

ولما رفع عينيه الى السحاب الخفيف ، شعر كأن طوفه الجليدى يسبح أيضا فى الجو ، ويتأرجح خفيفا على أجنحة النسيم •

وكان السكون العميق مخيما بحيث يمكن للانسان أن

يسمع من بعيد أية همهمة خفيفة وبين الحين والآخر كانت قطعة من الجليد تنفصل من أحد الاطواف الجليدية وتسقط فى المـاء محدثة صوتا كالطشيش ثم يخيم السكون مرة أخرى .

وفجأة سمع كنيرى زفيفا خافتا رتيبا . ترى هل هو يحلم ؟ ان الزفيف البعيد يزداد ارتفاعا ووضوحا ، ومن ثم قال لنفسه « انه قارب بخارى » ثم وثب واقفـا وراح يمد البصر الى سطح البحر آملا أن يرى قاربا بين الامواج .

ورغم أن كنيرى لم ير أثرا لقارب ، الا أنه كان واثقا من سماعه زفيف محرك ما . ولما رفع عينيه الى السماء فى لهفة ، لم يلبث أن رأى طائرة فى الافق البعيد . ترى أيمكن ان تمر فوقه دون أن يرى قائدها رجلا واقفا فـوق طوف جليدى ؟

وامسك بندقيته وأطلقها مرتين . وابتعدت الطـائرة قليلا ، ثم استدارت نحوه ، ومن ثم هتف كنيرى مبتهجا :

ـ لقد سمعنى .. سمعنى

ولكن الطائرة ، مع هذا ، لم تزدد اقترابا . لقد طارت مسـافة قصيرة ، ثم استدارت مرة أخرى واخذت تحوم وتدور على ارتفاع قليل ، وادرك كنيرى أنها أرسلت للبحث عنه .

وعاد يطلق بندقيته مرة أخرى ، لا للاستغاثة ، وانما تحية للطائرة . وشعر أنه لم يعـد قادرا على انتظار رؤية الطيـار له ، فقد كان يتوفز بالفرحة وكانت اللهفة تستبد بيده التى تعيد حشو البندقية ، ودفعه الخوف من أن يخطىء الطيار رؤيته ، الى اطلاق البندقية المرة بعـد الاخرى حتى نفدت ذخيرته .

والقى بالبندقية من يده ، وشرع يجرى حول الجليد ، وكان يبدو للرائى أنه رجل فقد عقله ، ولكنه كان مدفوعا الى هذا بحافز ينم عن الذكاء وحسن التقدير . لقد هداه التفكير الى أنه من العسير رؤية رجل من بعيد وهو واقف لايتحرك ، بينما تسهل رؤيته اذا ظل متحركا .

الا أنه ، مع هذا ، سرعان ما توقف حين رأى الطائرة تبتعد ، وظل يشيعها بنظراته مدة طويلة .

انه الآن يستطيع أن يحـدد موقفه .. لقـد أخطأته

الطائرة ، ولم يعد لديه رصاصات للبندقية كما لم يعد لديه طعام ، ولا وسائل الحصول عليه .

ومع هذا فان موقفه لم يبد ميئوسا منه تماما ذلك أنه كان لا يزال يشعر منذ الصباح بلذة النصر لنجاحه فى الخروج من الماء الى هذا الطوف الجليدى الجديد يضاف الى هذا يقينه بأنهم بدأوا البحث عنه بمعونة الطائرات . ومادام الامر كذلك فلا بد أن يعثروا عليه .

ما الداعى اذن لليأس ؟ ان الطوف الجليدى كبير ، أكبر كثيرا من هذه الكسرة الجليدية التى كان عليها فى ذلك الصباح ، وان لديه الكثير من قطع الثلج فضلا عن ثلاث برك صغيرة من الماء العذب . وما دام قادرا على اطفاء ظمأه ، فانه يستطيع أن يعيش بلا طعام فترة لا بأس بها وان الصبر من أهم صفات الصياد البارع .

وهناك احتمال فى عودة كسرة الجليد التى تحمل لحم الفقمتين اليه مرة أخرى . وان هذا الامل ليداعب أعمـــاق نفس كنيرى . وان كسرة الجليد لا تزال طافيا على المـاء ، ولا يزال هو قادرا على رؤية لحم الفقمتين فوقها . ان التيار الذى حملها بعيدا قـــد يردها اليه ، فاذا اقتربت فى نطاق خطافه ، فانه لن يخطىء الهدف .

ولم يكن هناك ما يدعو بطبيعة الحال ـ الى أن يترك لحم الفقمتين على كسرة الجليـــد اذ ادرك الآن أنه كان فى مقدوره أن يقطع اللحم ويقذف به الى هذا الطوف الجليدى الجديد كما فعل بحقيبة الصيد . وأيا كان الامر فقد كان من الواجب عليه أن يضع بعض اللحم فى الحقيبة ، ولكن مثل هذا الاحتياط البسيط لم يخطر بباله عندئذ . ولكن لاعجب، فقد كانت لديه اثنتا عشرة رصاصة فى ذلك الحين . . .

وحاول كنيرى ألا يفكر فى الطعام ، بل رأى أن عليه أن يقنع نفسه بألا يشعر بالجوع ، لقد تناول فعـــلا وجبة فى ذلك الصباح . وجبة كبيرة أيضا . ولو كان لحم الفقمتين بجانبه الآن لما فكر فى تناول شىء منه فورا .

ولما رأى كنيرى أن هذه الخواطر لا تؤثر على معدته ، قرر أن يلجأ الى وسائل أخرى ومن ثم شرب بعض الماء من البركة وشد الحزام على بطنه .

وحين اقترب اليوم من نهـــايته ، تكاثفت السحب ،

واضطرب الجو ، وشرعت هبـــات من الرياح تعبث بسطح الماء .

ولم يغتبط كنيري بسوء الجو عندئذ . لان هذا قد يعني أن يتخلى الطيار عن البحث بل لعله يخشى القيام بجولة أخرى بسبب سوء الاحوال الجوية .

وراح كنيري يحملق في سطح المـاء بلا رضى . وقال لنفسه باكتئاب : انه يشــبه بطن رجل عجـــوز ، وكانت الغضون والتموجات على سطح المـاء تتحول طيلة الوقت ، تدريجيـــا ، الى أمواج غاضبة هادرة يعلوها الزبد . حتى امست أبعد ما تكون شبهـــا بتلك التموجات الرقيقة التى كانت تلعق أطراف الطوف الجليدى طيلة اليوم .

ومزقت الرياح جانبا من السحب ، وأبانت أن الشمس لم تكن قد غربت بعد . ورأى كنيرى عند الافق خيطا رفيعا من الدخان المتصاعد من باخرة . وكان الدخان يتحرك ببطء من الشرق الى الغرب . ولكنه كان على مسافة بعيدة ، أبعد من أن يصل اليها أقوى طلق نارى . بل ان أقوى المنـــاظير المقربة ما كانت لتكشف عنه من هناك . ذلك أن معـــارج البحر كانت واسعة ، بحيث يمكن لعشرات من البواخر أن تمر بمحر تشوكتسك دون أن تقترب احداها من كنيرى .

وازداد المـــوج اضـــطرابا بحيث راح يقلب الاطواف الجليدية الصغيرة ويضرب بعضها بالبعض ويحطمها الى قطع صغيرة . ولم يستطع كنيرى أن يحرك عينيه عن كسرة الطوف الجليدى الذى تحمل لحم الفقمتين . وكان يراها لحظة طافية بميل شديد ، وفى اللحظةالتالية رآها وهى تصطدم بأطواف جليدية أخرى وتتحطم الى قطع صغيرة . وارتعد بشدة وهو يتخيل مصيره لو أنه ظل واقفا فوقها .

وبلغ من تعبه الشديد . ومما عاناه طيلة اليوم بحيث لم يعد قادرا على التحرك بسرعة ، أو راغبـــا فى مزيد من التفكير . ورغم أنه لا يكاد يقـــوى على الوقـــوف من فرط الارهاق ، فقد أصر على أن ينصب علما قبل أن يرقد . ذلك أن العلم سيميز الطوف الجليدى ، وربما جعله مرئيا حتى اذا استغرق هو فى النوم .

وخلع قميصه وربطه فى الهراوة التى ثبتهـــا فى أحد النتوءات بالخطاف والحبل وبهذا سيكون العلم مرئيـــا من بعيد ، وفى ذلك عزاؤه عن الشعور بالبرد وهو بلا قميص .

وكانت الامواج حتى ذلك الوقت أضعف من الطـوف الجليدى الذى كان أكبر منها ، فضلا عن تدعيمه بالقطـع الثلجيـة الكثيرة المحيطة باطرافه ، والتى كانت تخفف من ارتطام الامواج بها • ولكن الطوف كان ، مع هذا كله، يتأرجح بأشد مما كان يفعل طوال اليوم •

وربط كنيرى نفسه بالحبل الى النتوء الذى قرر أن ينام بجواره حتى لا يتدحرج ويسقط فى الماء وكان يفعل هذا بطريقة لا شعورية ، وبيدين ضعيفتين متخاذلتين • وشعر بنفسه يروح فى سبات النوم حتى قبـل أن يفرغ من شد العقدة • ولكنه قاوم النوم وشد العقدة وهو يهمهم لنفسه « الآن أستطيع أن أنام » وسرعان ما استغرق فى نوم عميق•• عميق كالبحر نفسه •

ولم تعد الاصوات تنفذ الى مشاعره ، ولم يكن صوت ارتطام الامواج بالطوف الجليدى يصل الى سمعيه أكثر مما لو كان راقدا فى أعماق البحر • وبدا كأنما لا يوجد شىء يمكن أن يوقظه •

لاشيء الا الطنين الرتيب الذى سمعه فى اليوم السابق•

وظن كنيرى فى أول الامر أنه حلم ، ولم يشأ أن يفتح عينيه خوفا من أن يختفى الطنين •

وبدات الشمس الساطعة ترتفع من الأفق ، وأدرك هو أنه لم يكن قد نام أكثر من نصف ساعة ، الا أنه شعر بقواه ارتدت اليه ، ولعل أن يكون الفضل فى هــذا لا يرجع الى النوم ، وانمــا الى ذلك الطنين الرتيب الذى كان وقعه فى سمعيه أعذب من النغم •

ورأى طائرة تحوم فوق الطوف الجليدى بعــد أن لمح قائدها العلم من مسافة بعيدة ، وأدرك ـ من ثم ـ أن هناك رجلا يرقد تحت النتوء • ونهض كنيرى وبدأ يفك الحبل عن وسطه ، ثم وثب واقفا ولوح بيديه •

واستدارت الطائرة واندفعت رأسا فى اتجـاه الطوف الجليدى ، وكانت تطير على انخفاض بحيث يظن الناظر أنها قد تحاول الهبوط •

وقال كنيرى لنفسه متعجبا « ان الطيار لا يزمع قطعا أن يهبط» وخيل اليه أن الطائرة تنطلق رأسا نحوه ، فأخفض رأسه لا اراديا • ورغم أنه لم يكن يعرف الكثير عن الطيران ،

الا انه أدرك استحالة هبوط طائرة على طوف جليدى كهذا ٠ وكان من حسن الحظ أن العاصفة لم تنطلق من عقالها ، ومن ثم هدأت ثورة البحر الى حد كبير ، ولكن الطرف الجليدى كان يتارجح بانتظام ولكنه على أية حال لم يكن يصلح - لصغر مساحته - مهبطا للطائرة ، كما أن سطحه لم يكن مستويا ٠

وأيا كان الامر ، فقد كانت الطائرة تزداد اقترابا ، ولم يعد الصوت الصادر منها مجرد طنين رتيب ، وانما هدير يزداد عنفا فى كل ثانية ٠ ولما عجز كنيرى عن احتماله ، سقط على الارض وطمر رأسه بيديه ، وفيما هو يسقط ، لاحظ شيئا يتدلى من الطائرة ٠

وابتعد الهدير بنفس السرعة التى اقترب بها ٠ ولما رفع كنيرى رأسه رأى لفافة محكمة ملقاة بين نتوئين ٠ وما كاد يبدأ فى فض اللفافة حتى لاحظ أن الطائرة عادت تقترب مرة أخرى من الطوف الجليدى ٠ وكان فى مقدوره أن يرى الطيار بوضوح ، ومن ثم راح يلوح له باسما ، بيده اليمنى ، دون أن يرفع يده اليسرى عن اللفافة ٠

ومرة أخرى سقط شيء من الطائرة ٠ وكانت لفافة ثانية ، الا أنها لم تلق بالدقة اللازمة لانها توانبت عدة مرات ثم سقطت فى الماء ٠ وأسرع كنيرى الى حبل الخطاف ، الذى كان وسيلته الوحيدة لاسترداد اللفافة ، ولكن العقدة كانت محكمة ، فلم يستطع أن يفكها فورا ٠

وفى خلال هذا كله ، كانت الطائرة تحوم حول الطوف الجليدى دون أن تبدأ فى الارتفاع الا بعد أن استطاع كنيرى أن يسترد اللفافة الثانية من الماء ٠

وقبل أن تبتعد ، مالت بجناحيها ثلاث مرات ، فأدرك كنيرى أن الطيار يحييه ، وقال لنفسه « لا شك أن هذه تحية الطيارين للغير » وللرد عليها رفع ذراعيه وانحنى بجسمه ثلاث مرات ٠

وكانت اللفافتان مليئتين بالاشياء التى يحلم بها الرجل المنعزل عن الدنيا ، فوق طوف جليدى ٠ كان فيهما طعام وملابس صوفية وحقيبة للاسعافات الأولية ، وخيمة صغيرة ، ومشعل كهربائى وبطاريتان احتياطيتان ٠ وأخذ كنيرى يفحص كل شيء من هذا كله على حدة ، وبلغ من فرط سروره أن راح يصفر ابتهاجا ٠٠

وسرعان ما كان موقد بريمــوس يئز فى مرح داخل الخيمة ، بينما رقد كنيرى داخل كيس النوم يدخن وينتظر غليان الماء للشاى • انه لم يعد راغبا فى الطعام بعد أن التهم كميــة من البسكويت وقطعتين من الشيكولاته أثنـــاء فض اللفافتين •

وكان بين جميع الاشياء فى اللفافتين ، شيء واحد أثار انتباهه الى حد كبير لانه لم يستطع أن يعرف الغرض منه • وكان عبارة عن عصا قصيرة من مادة صلبة وخفيفة فى ذات الوقت لم يكن رآها من قبل • وكانت مجوفة وتبدو كالأنبوبة الا أنه لم يستطع أن يفتحها رغم كل ما بذل من محاولات • وبعد أن شرب كفايته من الشــاى ، وداعب مرة أخرى تلك الانبوبة العجيبة ، اندس فى كيس النــوم واستغرق فيه فورا • وللمرة الاولى ، نام بضع ساعات متتالية

ولما استيقظ ، غادر الخيمة وتفحص سطح البــحر بنظراته ، ثم رنا الى السماء ، والى الافق • وكانت الشمس مرتفعة فى سماء صافية ، والبحر ساجيا • ورأى طائرا رمادى اللون يتواثب على الطوف الجليدى وينقر كسرات البسكويت، ولكنه لم يلبث أن طار عند رؤيته لكنيرى • ثم حط فوق الماء على مسافة غير بعيــدة • وتمشى كنيرى فى جوانب الطوف الجليدى فترة ما ، ينظر الى الشروخ والنقر ، ويفحص أطراف الطوف • وأخيرا إطمأن الى نتيجة هذه الجولة التفتيشية ، وأيقن أن الطــوف متماسك تمــاما • ورغم اطمئنانه الى ما سيحدث بعد ذلك وادراكه بأنه لم ينس ، فانه لم يعرف كيف يقتل وقت الفراغ الطويل • وظل يدخل الخيمة ويخرج منهــا ويتفحص الاوراق الملونة الملصقة على علب الطعــام المحفوظ ، ويغير بطاريات المشعل الكهربائى • وراح يضـع المحلول المطهر على خدوشه وكدماته ، بل وضمد يده اليسرى لا لأنها كانت أسوأ حالا من اليمنى ، وانما لان الضمادة عليها لن تعوق حركته فى شيء • ومرة أخرى عاد يرنو الى السماء وينصت •• ولكن لا • ان كل شيء ساكن •

لماذا لا يلعب الشــطرنج ؟ ان وجود لاعب آخر ليس ضروريا جدا • لسوف يضع قطع الشطرنج على اللوحة تماما كما كانت قبل أن يخسر الدور فى آخر مبارياته مع ايجنتو ، وكانت معظم القطع عندئذ خارج اللوحة ، أى لم يكن عليه الا أن يضع قطعا قليلة • لسوف يعيد وضعها ويحاول أن يلعب بالطريقة التى أوصاه بها ايجنتو •

واعد لوحة شطرنج ذات مربعات صفراء وبيضاء من الارضية الثلجية وقطع البسكويت المربعة ثم دخل خيمته وصنع قطع الشطرنج بسكينة من صندوق موقد بريموس الكرتونى • ولكنه حين خرج من الخيمة وجد سربا من الطيور تلتهم قطع البسكويت وتفسد بذلك لوحة الشطرنج •

وكان مزاجه رائقا الى حد جعله لا يشعر بالغضب مما حدث • ولا شك أن أطفاله سوف يضحكون حين يخبرهم أن الطيور غلبته فى لعبة الشطرنج •

وكان الجو خارج الخيمة فى الشمس أدفأ منه داخلها• والقى كنيرى سترته على الجليد، واذا بالعصا المعدنية الغامضة تسقط من أحد جيوبها • والتقطها كنيرى ، وعندئذ كشفت عن سرها فورا فى هذه المرة • وكانت الانبوبة تحتوى على رسالة ، ويبدو أن وقوعها على الارضية الجليدية هز غطاءها الحلزونى وجعله يدور بسهولة فى يد كنيرى •

وفى لهفة عارمة فض الرسالة التى كانت مكتوبة بسرعة ، ولكن الكلمات كانت مقروءة :

الرفيق كنيرى : كنا نبحث عنك منذ ثلاثة أيام لاتفقد الامل ، لسوف ننقذك • كان أهم شيء أن نعثر عليك • وما دمنا قد فعلنا ، فسوف ننقذك • لسوف تجد كل شيء تحتاج اليه فى اللفتين ، فاذا لم تسوء الاحوال الجوية ، فسوف نراك غدا • باكشييف

اذن فهكذا الامر • رسالة من الطيار • ولا شك أن الانبوبة سقطت مع اللفافة الاولى عندما كان منبطحا على الارض ، طامرا رأسه بيديه • « ولسوف تجد كل شيء تحتاج اليه فى اللفافتين •• نعم •• لقد كان فيهما كل ما يحتاج اليه ، وأكثر جدا مما يحتاج • اذا لم تسوء الاحوال الجوية» ومع ان الاحوال الجوية لم تكن حسنة تماما ، ومع ذلك فقد غامر باكشييف بالحضور •

وازداد كنيرى ادراكا بأن هناك الكثيرين ممن اهتموا بانقاذه ومرة أخرى فكر فى زوجته تيون وهى تهرع حزينة

الى قاميش وانه فى هـــذه المرة ليتخيـل الموقف من زاوية أخرى ٠٠ فلا شـــك أن قاميش قد اشتد به الجزع وبادر بارسال برقية لاسلكية الى الجهة المسئولة ، فارسلت هذه طائرة للبحث عنه ٠ ولا شك أن أعضاء المزرعة الجماعية قد أعدوا فى نفس الوقت زورقا بخاريا عند حافة الجليد ليكونوا على أهبة الاستعداد ٠ ولعل باكشييف قـــد أخبرهم الآن بموقعه ، ولعلهم فى هذه اللحظـــة ينطلقون عبر الامواج لينقذوه ٠

اشخاص كثـــيرون جدا ٠٠ عامل اللاسلكى ، ومدير المطار ، والطيار ، كل النـــاس الذين لا يعرفونه اطلاقا ـ اصبحوا شديدى القلق عليه ٠ وليس هؤلاء فقط ، اذ لاشك أن الانباء قد وصلت الى أنادير ٠ ومن المحتمل أن تكون فرقة للانقاذ قد انتشرت على طول الشاطىء ٠

وشعر كنيرى بالضيق ٠ اهو ، مع هذا كله ، بطل ، أم شـــخصية هامة ، انه مجرد عامل تشيوكشى فى مزرعة جماعية ٠٠ صياد ٠٠ بل ان شئت الحقيقة كان عاملا خاملا ، وان المأزق الذى وقع فيه من صنع يديه ٠ لقـــد استسلم للنوم عند حافة الماء ، ولم يشعر بالطوف الثلجى عنـــدما تحرك به ٠

ولكن انظر الى كثرة الاشياء الثمينة التى أسقطوها له من الطائرة ، ترى هل الامر كله خطأ ؟ هل هو حقا المقصود بكل هذه الاشياء ؟ نعم ٠٠ لقد بدئت الرسالة بهذه الجملة الرفيق كنيرى ٠٠ نعم ٠٠ لا يمكن أن يكون هناك خطأ ٠ لقد كتب الطيار باكشييف اسمه بخط يده ٠

وأعاد كنيرى قراءة الرسالة ٠ وشعر بالبهجة مع كل كلمة ، وبالرغبة فى أن يعمل شيئا خاصا للطيار باكشييف لقد كتب الطيار الاسم بنفسه ٠ انه اسم جميل ٠ واذا كان فى الامكان أن يختار الانسان اسما ثانيا لاسمه ، فيجب أن أختار هذا الاسم لأحد أبنائى ٠٠ وربما كوليا ٠٠ نيكولاى كينيرفيتش باكشيف ولسوف يكون لهذا الاسم رنين جميل٠

وعند مساء اليوم الرابع، تمانقاذ كنيرىبواسطة الباخرة

ويلين • وكان ما حدث شيئا يختلف تماما عما تصوره كنيرى • لقد كان يتوقع أن يرى زورق الانقاذ من بعيد ، فيلوح له بالعلم تحية لمنقذيه ، ثم يصافح بحرارة فاميش ، وانبينر ، ورنتوفيجى • وكان يتوقع لاسباب خاصة ، أن يكون هؤلاء من بين منقذيه • وكان قد قرر ألا يتحدث عن مغامراته الا اذا سألوه لسوف يجعلهم يرون أنه ليس مدعيا متفاخرا كما كانوا يظنون •

ولكن الذى حدث كان شيئا مختلفا تماما ، فبدلا من زورق المزرعة الجماعية البخارى ، ظهرت باخرة كبيرة • ولم يلوح كنيرى بعلمه ، لانه كان نائما داخل الخيمة من فرط شعوره بالارهاق من طول الانتظار وأنزلت الباخرة زورقا حمل اثنين من البحارة الى الطوف الجليدى ، ومع ذلك لم يستيقظ كنيرى • وشعر البحاران بشىء من القلق ، ولكن عند اقترابهما من الخيمة سمعا غطيطه الذى طرد عنهما كل احساس بالخوف •



الدنيا بخير

قصة : « محمد القرش »

مقدمة
بقلم محمود تيمور

كان طبيعيا ، وقد انفسح الميدان لكل راغب فى الثقافة ، وتوافرت الفرص أمام حملة الاقلام على اختلاف المستويات ، ان يزدحم على كتابة القصة عامة والقصيرة خاصة ، واردون كثير ، فهى منهل عذب ، وفيها طواعية ومرونة ، ومن ثم يستلين ناشئة الكتاب جانبها فى التعبير والتصوير .

وفى مثل هذه الحال ، التى يتزايد فيها الكم ، يتنـاقض الكيف ، فبينما يغزر الانتاج ، يندر منه الجيد المستطاب .

وايا كان الامر ، فليس من شك فى ان هذا الانبعاث الى معالجة القصة فى نطاق واسع ، سبيل الى اماطة اللثام عن مواهب كامنة . فيارب صوت ضاع خلف الأبواب الموصدة ، ويارب جمرات متقدة ان لم يدركها الترويح خبت نارها تحت الرماد !

ولشد ما يشوق المرء أن تومض له بارقة عمل فنى جيد ، فيما تطالعنا به الصحف ودور النشر من قصص ، فان فى هذه البارقة تعويضا كريما عما نحسه من الفضاضة حين يتبين لنا ما فى الغمر القصصى الزاخر من غث هزيل ، وان فيها لتجديدا للتفاؤل بمستقبل القصة بين فنون الأدب العربى ، والاطمئنان الى انها ماضية الى أمام ، وان لم تسلم خطاها على الطريق السوى من عثرات .

ولقد أتاح لى الاستاذ « محمد القرش » ان اقرأ قصتـه القصيرة : « الدنيا بخير » ، فأشاع فى نفسى الفرحة بلقاء قاص جديد ، أسعفته الملكة ، ولم تعوزه الادوات .

ولئن كانت قصته تلك هى باكورة ما يقدم للنشر ، انها

بقيمتها الفنية قد سلمت مما عسى ان يكون فى البواكير من ضآلة وضعف . فهى باكورة توافر لها من عناصر النضج والابداع ما يعز توافره على غير الموهوبين من القصاص .

ومما زادنى اعجابا أن الاستاذ « محمد القرش » ثمرة طيبة للثقافة العصامية الحرة ، طالع ما طالع فى الادب العربى القديم ، وألم الماما غير قليل بالادب العالمى الحديث ، ودبت فيه نزعة الكتابة، ولكنه ضن بقلمه أن يظهر به على الملأ ، عند أول القطر . فآثر التريث ، وصبر نفسه على التجربة ، وهو اليوم يقدم باكورته القصصية وقد جاوز الأربعين من عمره ، اذ أحس أنه قد أصبح صاحب حق فى أن ينشر مايكتب ، كشأن من آنس فى نفسه المقدرة على السباحة ، فدفع بساعديه فى الخضم المواج ، على رءوس الأشهاد .

وأنت تطالع قصة « الدنيا بخير » فيسترعى انتباهك ، بادىء بدء ، أن كاتبها الاستاذ « محمد » — واسمه يكشف بوضوح عن ديانته — يصور لك الحياة فى بيئة مسيحية ، فيحسن تصوير الطابع الخاص لتلك البيئة فى طوايا القصة حتى ليجعلك تستشعر ذلك الطابع استشعارا لاخفاء به فيدلك على ان الكاتب بفطنته ودقة ملاحظته لا يعجز أن يستخلص بالتعرف والمخالطة مختلف المعالم التى تعين على ابراز الطابع المميز .

وعظمة الموضوع الذى عالجه الاستاذ « محمد القرش » ، تتمثل فى أنه استطاع أن يجلو لنا صورة هادئة دقيقة لحياة رجل من ذوى الحرف ، فى أثناء قيامه بعمله ، وفى علاقته بصاحب المحل الذى يعمل فيه . فهذا الرجل اسكاف أو — كما نسميه فى لهجتنا الدارجة — « عتقى » ، ينكفىء طول يومه على السندان ، وفى يده مطرقة ، ولسانه مشغول بنقل المسامير الصغيرة من تحته الى شفتيه ، ولا عزاء له أخيرا الا فى نظرته الراضية الى الحذاء اللامع، وقد انبعث بين يديه حيا . وبجانب الرجل رئيسه ، يشترك معه فى العمل ، وكلاهما صامت ، لا لانهما عزوفان عن الكلام ، بل لأن فم كل منهما محشو بالمسامير .

واستطاع الكاتب كذلك ان يقفنا على معيشة الرجل المنزلية ، بين زوجه وأطفاله ، وكاننا معهم نرى ماذا يطعمون ، وعلى أى نحو يأوون الى المضاجع ، وكيف يصرفون شئونهم فى صبر واحتمال لما يعانون من جهد وشظف .

ومع أن القصة عامرة بجوانب كثيرة ، تأخذ على الكاتب

سبيله ، لم تخل شرائحها من تحليل نفسى ، يتبين به تطور الشخصية ، وتنازع التفكير . ففيها عند الاقدام على الامر المستنكر ابانة عما يعتلج فى النفس من تردد ومحاذرة ، وفيها ما يجرى عليه الطبع البشرى من ممارسة التصرفات من محاولة التعليل وارادة التبرير . فلا قفز فى المواقف ، ولا فرض للسلوك ، ولا جمود فى الشخوص .

وبالرغم من تعاون الظروف والملابسات على أن يخلد الزوجات الى فكرة جريئة ، وبالرغم من عزمهما على تحقيقها ، وشروعهما فى انفاذها ، لم تلبث الفكرة الجريئة ان انهارت على صوت العاطفة . وقد أطلق الكاتب هذا الصوت العاطفى فى تدبير محكم ، ومنحى غير متكلف ، فان الصيحة التى انطلقت من فم الطفل الغريب هزت نفسية الرجل ، اذ بدا له مصير طفله أمام عينيه ، فوهن عزمه ، ونكص عن فكرته ، بل لم يطق أن يترك الطفل الغريب لمصيره الأليم . وهذه الاستجابة العاطفية لها اصالتها فى نفس الانسان ، مهما يكن من وطأة الظروف والملابسات ، ومهما يكن من أمر العزم والاصرار .

ولكن الكاتب — فى حرصه على أن يجعل لهذا التطور باعثه الطبيعى ، وسنده المنطقى — كان موفقا كل التوفيق حين هيأ لنا أن ندرك السر فى اقبال الزوجين على شئ ، على حين انهما خرجا يتخلصان من مثله ، فقد كان فى الطفل الغريب ما يغريهما بقبوله ، اذ لم يعش لهما من ذريتهما غير الذكور ، وما اشوقهما — مهما تكن الحال — الى اخت للبنين !

وفى القصة، خلال تصوير شخصياتها ، وحكاية احداثها ، تتراءى لنا جملة من مشكلاتنا الاجتماعية ، وفيها مع هذا كشف عن سماتنا الشائعة ، وعلى راسها الاستسلام للواقع ، وقد تألف من خيوط الخاتمة على قلتها نسيج متأصل فى كياننا ، وهو الاريحية المفاجئة عند الشدائد لاغاثة الملهوف ، وبذل المعروف .
وأروع ما انطوت عليه هذه الاريحية هو اللمح الخفيف الى ان العاطفة الانسانية تلتقى على تعدد الاديان ، بل لعل جوهر الايمان من أقوى البواعث على أن تتوهج تلك العاطفة توهجها العظيم .

وانى لمعتز بأن أقدم الآن هذا الزميل الجديد ، الأستاذ « محمد القرش» فهو قرش « أبيض » نافع ، كما يقول المثل العامى السائر .

وأرجو أن يكون عنوان قصته الاولى « الدنيا بخير » ، بشيرا بأن « القصة بخير » !

المرأة والأسد

متولى

بقلم : أمين يوسف غراب

منذ عام او يزيد كنت ازور السودان . وكنت انزل ضيفا على صديق لى هناك تربطنى به صلة حب وود منذ عهد بعيد يرجع الى أيام أن كان هو يدرس فى القاهرة ويقطن معى فى بيت واحد فى شارع المردنلى بالجيزة . وكنت أحبه كثيرا وكان هو يحبنى ايضا . ولذلك لما ذهبت اليه فى بلدته التى تجاور الخرطوم كانت فرحته بالغة وسعادته لا حد لها. وكذلك ايضا كانت السيدة الفاضلة والدته . ورغم أننى كنت ارى والدته لاول مرة الا اننى احسست اننى انما أعرفها من زمن بعيد . فقد كانت رغم تقدمها فى السن مرحة ودودا لا تفارق الابتسامة ثغرها . وكانت على ثقافة واسعة وكانت ثقافتها فطرية فهى لا تجيد القراءة والكتابة . ورغم سنها المتقدمة التى أشرت اليها كانت تتمتع بصحة ونشاط قد لا تظفر بهما شابة فى سن العشرين . فقد كانت تجلس تتحدث الينا احاديثها المرحة حتى وقت متأخر من الليل دون ملل أو تعب . ومع ذلك كانت تستيقظ فى وقت مبكر لتصلى الفجر . وكما قال لى ابنها ان هذه العادة لم تفتها طيلة عشر سنوات مضت . وكان اميز مافيها رغم هذه الصفات جميعا حديثها العذب . الذى كان ينسيك حتى الزمن اذا ماجلست تتحدث اليك .

وذات ليلة وكانت من ليالى الصيف هناك . وللصيف فى السودان صفات فيها الكثير من الأذى للنفس وللجسم . ولذلك خرجنا الى السهل وجلسنا فوق العشب نستروح بعض نسمات الليل التى كانت تجىء مضمخة بضوء القمر فتزيل عنا بعض المتاعب . ورحت أنظر الى القمر وهو ينبثق فوق السهل فى الليل فيحيله الى صرح من المرمر . وأعجبنى

المنظر وأعجبنى المكان وأعجبنى الليل . واعجبنى فوق هـذا كله حديث الخالة «فاروز» فقد كان هذا هو اسمها . وامتد بنا الحديث . تحدثنا عن القاهرة وتحدثنا عن الخرطوم . وتحدثنا عن المرأة . وتحدثنا عن الرجل . وتحدثنا عن الحب وتحدثنا عن الزواج . وتحدثنا أيضا عن السحر والخرافات التى تنتشر بكثرة فى السودان وما زال البعض يصدقها الى الآن . وكانت الخالة فاروز من المؤمنات بهذا الحديث الاخير حديث السحر والسحرة . ولذلك حـدثتنا عنه كثيرا . ثم فجأة تركتنا وسرحت ببصرها الى بعيد وراحت تنظـر الى السـهل المنبسط أمامنا والى القمر الذى ينشر بسـاطه السحرى عليه . ومن ثم قصت على هذه القصة التى مازلت اذكرها الى الآن . . قالت :

كنت اذ ذاك اقطن فى حضن الجبل وكنت حديثة العهد بالزواج ، وكنت أحسن الظن كثيرا بكل زوج فقد كنت سعيدة فى زواجى سـعادة مازلت أحمد الله عليهـا . وكانت تقطن بجوارى صـديقة عزيزة ، بجاور خباءها خبـائى تماما . وكانت متزوجة هى أيضا . وكانت موفقـة فى زواجها كل التوفيق فقد كانت تحب زوجها حبا ملك عليها كل شيء حتى حياتها . وكان زوجها كذلك لا يرى بهجة الحياة الا اذا تطلع الى عينيها الجميلتين ، ولا يستشعر سعادة الدنيا الا اذا لفها بذراعيه . ولا يعرف نعيم الحيـاة الا اذا ذاقها من بين مراشفها . وظل حالهما كذلك الى ان انتقلنا الى المدينة نحن جميعا الذين كانوا يقطنون حضن الجبل وذلك بعد السـيل العارم الذى جاء عام ١٩٢٠ واكتسح السهل والجبل وشردنا جميعا .

بعد هذا التاريخ انقلبت حياتهما الزوجية شقاء مابعده شقاء ابدا . فقد أحب الزوج امرأة تعرف عليها فى المدينة . والانسان يستطيع أن يخفى ما يريد الا عواطفه فهى الشيء الوحيد الذى لا يسـتطيع أن يخفيه ولو اهال عليـه تراب وحجارة هذا الجبـل الأشم الذى تراه امامك . وذلك لان العاطفة مصدرها القلب والقلب لا يعرف المداراة لانه لايعرف المشاركة فى الحب انه اشبه ما يكون بالقفل الذى ليس له غير مفتاح واحد . فاذا ظفر بهـذا المفتاح احد أصبح هـو المالك الوحيد لهذه الخزانة ولكل ماتحتوى عليه من احاسيس ومشاعر وعواطف وحتى نبضات . ومن سوء الحظ ، حظ

الزوجة . أن تلك المرأة هى التى عثرت على المفتاح وسرقته من الزوجة وفتحت به القفل وسرقت كل مافيه من عواطف ومشاعر وأحاسيس وفعلت هذا وهى مطمئنة كل الاطمئنان لانها تعلم جيدا ان هذا الباب باب الخزانة لا يتسع لاكثر من واحدة ولذلك دخلته .

وبدات الزوجة المسكينة تدرك ذلك تماما بان المفتاح فقد منها . فراحت تبحث عنه فى كل مكان فى قبلات الزوج فتجدها باردة ، فى ذراعيه فتستشعر قوتهما وهنا وضعفا وهزالا . فى عبارات الغزل التى كانت تترامى الى اذنيها جافة خشنة كاوراق الخريف فتتجمد لها احاسيسها وتتشنج مشاعرها وتحس عباراتها كالنار تكاد لفحات الجفاف تحرقها وتمزق جسدها تمزيقا .

وظلت المسكينة كذلك تاخذها الدهشة لهذا التغير المفاجىء الى ان تاكدت ذات يوم بان غيرها سرقت منها المفتاح واستولت على الخزانة وما فيها . فجن جنونها وبدا حجيم حياتها يستعر نارا تاكلها كلما امست وتاكلها كلما أصبحت وبدا الشقاق بينهما . وبدا يغلظ لها فى القول دون ان يدرى وبدات هى تكون كذلك أيضا ولكنها كانت اكثر منه عنفا . كانت ماتزال تحبه واشقى مافى الوجود أن يرى المحب بعينيه اليقظتين حبيبه بين يديه بعيدا عنه . وساءت حال الزوجة الى حد كبير وضاقت بها الدنيا على رحابتها . وغدت فى عينها اشبه ما تكون بثقب فى تنور يتلظى يرسل عليها وابلا من ناره . وابأس ما فى هذه النار نار العاشق انها لا تميته وانما تحرقه فقط وابأس مافى حرقتها أن جراحها لا تلتئم . وعاشت عاجزة عن أن تفعل شيئا ولا حتى ان تبعد عنها السنة هذه النار . الى ان ترامى اليها ذات يوم بأن رجلا فى اقصى المدينة يشتغل بالسحر . وان فى استطاعته ان يرد اليه المفتاح الذى فقدته ويعيد اليها سعادتها بأن يعيد اليها من تحب وهو زوجها . فراحت المسكينة تحث الخطى اليه وهى غير مصدقة لما سمعت ، وكان الساحر الكبير يعيش فى صومعته خارج المدينة وعلى مسافة عدة أميال منها وكان لا يسمح لأحد بالدخول عليه الا اذا اذن هو له . وكثيرة كثيرة من الناس كانت ترتد خائبة لانه كان لا يأذن لها بالدخول ؛ غير انه من حسن حظها كانت الوحيدة التى اذن لها بالدخول فى ذلك اليوم ، ولما مثلت امامه كادت تسقط هلعا من هول

ما رات فقد رات الصومعة ممتلئة بجماجم عدة لآدميين وبرءوس متعددة لحيوانات كثيرة في عدة احجام واجناس. ثم رات ما أفزعها فزعا كبيرا حتى كادت تسقط مغمى عليها فقد رات عديدا من الثعابين الحية الكبيرة تروح وتجيء حول الشيخ منها ما يلتف حول خصره ومنها ما يسبح فوق كتفيه ومنها ما يلتف حول عنقه ومنها ما يروح ويجيء تحت اقدامه كل ذلك والشيخ الذى تكاد لحيته الطويلة تبلغ اقدامه يداعب هذا الثعبان ويغازل هذه الحية ويغرس اظافره الطويلة المدببة السوداء في لحمها فتروح تتلوى بين اصابعه وهو ينظر اليها ويبتسم ضاحكا .

واستردت المراة المسكينة انفاسها بعض الشيء ولما قصت عليه قصتها أشفق عليها الشيخ كثيرا ولا سيما من نار الجراح التى شاهدها بعينه وحدثته هي عنها . ولذلك سالها عدة اسئلة ولما اجابته عليها جميعا . وعرف كل ما يريد ان يعرف طلب منها أن تنصرف وان تعود اليه في اليوم التالى حتى يستشير ذلك الخادم - هكذا كان يسمى الشيخ الجان الذين يستخدمهم - حتى يستشيره في أمر اصلاح حال هذا الزوج الشارد والحبيب المتجنى ، ويسأله عما يريد من اشياء تكون نافعة له في مهمته .

وانصرفت المراة وقضت ليلها تحسب النجوم وتحصى عددها في السماء وهى تدعو ربها بقلب يملاه الألم ويملاه ايضا الامل في ان يوفق هذا الشيخ ويوفق خدمه واعوانه في أمر اصلاح حالها وشفاء وجيعتها . . وما أن جاء صباح اليوم التالى وحل الموعد الذى حدده لها الشيخ حتى كانت ماثلة أمامه . تنظر اليه وكل جوارحها آذان وعيون تريد ان ترى وتريد أن تسمع . وصمت الشيخ قليلا وأمسك بأظافره الطويلة المعوجة بعض خصلات من لحيته الطويلة فراحت ترتعش وتهتز عند قدميه . ثم بعد صمت طويل همهم بشفتيه المرتعشتين وتلى بعض الفاظ لم تفهم هي منها شيئا . ثم نظر اليها وقال :

- ان ما يطلبه الخادم هو ان تنتزعى بيديك هاتين ثلاث شعرات من شارب اسد هصور يتربع على عرشه في الجبل وهو حي .

فشهقت المرأة خوفا وفزعا وأرادت أن تقول شيئا

ولكن الشيخ سبقها يقول وهو يتوارى عن عينيها ويغيب فى قلب صومعته التى يكتنفها الظلام ومعه ثعابينه .

ـ هكذا طلب العفريت فان جئت له بما يريد جاء هو لك بما تريدين . وجعل زوجك يخر ساجدا عند قدميك .

وانصرفت المسكينة تجرجر أذيال الخيبة الابدية اذ ان ما يطلبه منها الشيخ دونه النجوم . دونه الموت والا كيف ستستطيع ان تأتى بثلاث شعرات تنتزعها انتزاعا من بين أو من فوق أنياب الاسد ، وباتت ليلتها أو باتت لياليها تندب هذا الحظ الاسود الذى قرر مصيرها الى الابد . وكانت كلما رات أو سمعت عن السعادة التى يعيش فيها الزوجعلى حساب تعاستها هى احست بحرقة النار . واحستبلذعتها اكثر حرقة كلما استعادت كلمات الشيخ لها وطلبه هذا المطلب الذى لا سبيل اليه . كانت كلما ذكرت هذا نزفت عيناها الدموع واحست بحرقة النار وهى تتزايد يوما عن يوم .

وصمتت الخالة فاروق والدة صديقى التى تروى لى هذه القصة قليلا ثم قالت :

وكان الذى يزيد فى آلام هذه السيدة هو انها كانت تتذكر حضن الجبل وكانت تتردد هذا المكان الذى كان يحلو أن تجتر فيه ذكريات أيامها السعيدة التى ولت . وكانيوجد فى قلب الجبل نفسه أسد مفترس قطع طريق الجبل كله واغلقه على نفسه وما كان من احد صغر أم كبر يجرؤ على ان يمر من ناحية الجبل لا فى الليل ولا فى النهار من هول بشاعة هذا الاسد الذى كان يتربع على عرشه فوق هذا الجبل . وكان هذا الاسد كلما جاء الليل زار زئيرا مرعبا ترتجف له القلوب وكانت صاحبتى كلما كان حالها يستقر بعض الشيء او كادت النار تخبو رويدا ويكحل النوم عينها لساعة أو لبعض ساعة . سمعت فى الليل زئير الاسد فتقوم مفجوعة تتذكر حالها من جديد واستحالة اصلاح هذهالحال وهذا هو الشقاء اذ ليس فى الوجود أتعس من انسان قد تقرر مصيره وعاشت زمنا فى غمار هذا المصير الذى تقرر حتى صارت شبحا لامرأة وظلا لفرع جاف يلهبه القيظ فيتقلب على الارض فوق النار . وراحت ذات ليلة تفكر ، ان الموت أحب اليها من هذه الحياة التى تعيشها فهى ميتة

ميتة . فلماذا لاتجرب حظها مع هذا الاسد وهى الرابحة فى الحالتين رابحة ان ظفرت منه بتلك الشعرات الثلاث ففى هذا عودة الحياة اليها ورابحة ان افترسها الاسد اذ أن الموت الحقيقى أحب اليها من هـذا الموت الذى تعيشه . ولكن ماتعمل لكى تموت أو تحيى ان الحياة شاقة والموت شاق . فماذا هى صانعة حتى تستريح . وواتتها فكرة . وسألت نفسها . لماذا يفترس الاسد كل من يظفر به ؟؟ لانه كأى كائن حى يريد ان ياكل .. ترى لو قدمت له طعاما شهيا هل يفترسها ؟! ربما . وربما لا . . انه قد يفترسها ان كان الطعام الذى تقدمه له قلة لا يملأ جوفه هذا الضخم وهو جائع ويريد ان يشبع . وقد لايفترسها ان كان ماتقدمه له من طعام كثرة تشبعه وتفيض عليه . ولكن ماهى هـذه الكثرة التى تشبع هـذا الحيوان الكبير المفترس الضخم الذى اذا زئر اهتزت الارض لزئيره ؟! وان هى وجدت هذه الكثرة فما هو السبيل الى تقديمها اليه ؟! وما هو الضمان لياكل ماتقدمه قبل أن ياكلها هى ؟؟ وخافت وارتعدت لمجرد تخيلها أنها ستقترب من الاسد أو حتى تسير فى طريقه ، ونفضت عن تفكيرها هـذا وعادت الى حالها وتذكر القلب من يحب وتذكر المحب الحبيب الذى هجر والخل الذى غدر . وتذكرت الاسد مرة اخرى . ودوى زئيره فى أذنيها فى تلك الليلة دويا مرعبا . فقد كان من عادة الاسد فى بعض الليالى أن يخرج من حصنه فوق الجبل ويقترب من السهل ويرسل زئيره المرعب المخيف . ونظرت الى أمام فرأت عند الخباء شاة سمينة من غنمها التى كانت ترعاها فى ذلك الحين . فنهضت اليهـا دون أن تفكر ماذا ستعمل وذبحتها وغسلتها غسلا جيدا ثم حملتها على كتفيها وهى تتصبب عرقا وهلعا وفـزعا وهى تسير بها فى الظـلام مغمضة العينين حتى لاترى الطريق الذى تسير فيه ويسير فيه الاسـد أحيانا وسارت وكأن قوة فوق ارادتها تدفعهـا الى التهلكة وفجاة خرج عليها من قلب الظلام صراخ كأنه النار وزأر الاسد وما كان بينه وبينها سوى خطوات ولكنها من شدة الهلع والخوف ألقت اليه بالشاة وانصرفت تركض على غير وعى وتعثرت فى الطريق وسقطت على الارض ونظرت سريعا الى الاسد تخشى ان يكون فى أذيالها لينشب انيابه فى جسدها فيمزقه تمزيقا ولكنها لم تره فى اذيالها كما ظنت ولم تره يقطع لحمها قطعا قطعا . وانما رأته فى مكانه من الشاة يلقى بصدره الضخم فوقها ناشبا أنيابه فى قلبها هى . ويقطعها قطعة قطعة

وهو سعيد سعادة كادت تراها فى عينه التى كان بريقها يلتمع فى عينها فى قلب الظلام ولاتدرى كيف ذهبت الى بيتها بعد ذلك وانما الذى تدريه حقيقة لانها تعرفه جيدا ولمسته بيدها . انها فى الليلة التالية وفى نفس اللحظة التى سمعت زئير الاسد فيها كما سمعته تماما فى الليلة الماضية . فعلت كما فعلت فى شاة أخرى ثم حملتها سريعا وراحت تسير بها فى جنح الظلام وكل أملها فى هذه الليلة أن يكتب الله لها فيها النجاة كما كتبها لها بالامس . وفجأة دوى زئيره فى اذنيها كما دوى فى الليلة الماضية تماما . فألقت اليه بما تحمل وارتدت سريعا تماما كما فعلت بالامس ايضا . ولكنها لم تتعثر هذه الليلة فى خطواتها وتسقط على الارض وانما ارتدت ببصرها الى الخلف فرأت الاسد مكبا بصدره فوق الشاه يفعل بها كما فعل بالامس وسعادته هى نفس السعاده بل تزيد عليها شيئا .

وطمأنها هذا بعض الشىء وظلت كل ليله تذبح شاه وتنتظر حتى تسمع زئيره فتهرع وتلقى اليه بالشاه سريعا. وتنصرف سريعا ايضا .... وفكرت ذات ليله وفكرت طويلا على غير العادة . هل لو كان الاسد يريد ان يفترسها هى او حتى كانت تراوده هذه الفكرة فلماذا لم ينفذها فى الليله الاولى التى رآها فيها رؤيا العين لاول مرة او لماذا لم ينفذها فى الليلة التى تلتها او الليالى التى جاءت بعد ذلك ؟؟ ... ان الاسد من غير شك له فكر وله عقل .. وهو لايريد غير ان يأكل وأن يمتلىء جوفه ولاسيما بهذا النوع الشهى من الطعام . وهى تطعمه كل ليلة وتقدم له فى كل ليلة حملاشهيا لذيذ المذاق . فهو ليس بالمجنون حتى يفترسها . لانه ان فعل فسوف يحرم من غير شك من هذه النعمة التى تقدمها اليه فى كل ليلة .

وكأنها اطمأنت الى هذا ووثقت منه . ولذلك عندما حملت اليه طعامه فى الليلة التالية . حملته اليه وهى مطمئنة ولما سارت فى الطريق اليها ولفها الظلام كانت أكثر اطمئنانا . وايضا لما دوى زئيره فى الليل فجأة وكاد يصم آذانها لم تهلع ولم ترتعد ولم تتصبب عرقا كما كانت تفعل فى كل ليلة وانما تقدمت منه فيما يشبه الثبات والثقة والقت اليه بالحمل الطازج الشهى ووقفت فلم ينشب انيابه فى جسدها ويقطعها قطعا قطعا . وحتى لم يزئر فى وجهها كما كان يفعل كل ليلة

وانما وقف يبصبص لها بذنبه وكأنه يشكر لها هذا الصنيع ،
ولما تركته وانصرفت فى هدوء نظر اليها وهى تنصرف نظرات
كأنها تنم عن الشكر أيضا والشكر الجزيل . وطمأنها هذا
كثيرا وجعلها فى الليلة التالية اكثر اطمئنانا لانها لما ذهبت اليه
والقت أمامه بالشاة لم تنصرف ولا حتى بعد أن بدأ يأكل
وانما جلست واقفة تنظر الى عينه ولما رأت فيها السلام
حقيقة جلست بجواره وهو يلتهم طعامه فى نهم ممزوج
بسعادة لاحد لها . ولما أكل طعامه نهض وهو يلعق شاربه
الطويل المدبب الشعرات بلسانه . فنهضت هى أيضا وسارت
فى الطريق وهالها أو أسعدها أن رأته يسير بجوارها . وكأنه
حارس أمين يتبع سيده الى أن بلغت مشارف السهل فتركها
وعاد الى حصنه فى الجبل ولكن بعد أن مسح على طرف ثوبها
برأسه وكأنه يودعها الى لقاء ثان وثالث . وسرها هذا كثيرا
واثلج صدرها وفتح أبواب السعادة والآمال العراض على
مصراعيها أمام عينيها لانها مدت يدها ومسحت بها على
رأسه وهى تودعه أيضا ولمست أناملها مصادفة وهى تفعل
أطراف شاربه المدبب وكأنها لمست شغاف قلبها . وواتتها
فكرة سريعة وسريعة جدا لماذا هى لا تنتهز هذه الفرصة
وتنتزع من هذا الشارب الشعرات الثلاث التى فى حياتها
ودنياها بل ووجودها كله . ولكنها كانت أكثر فطنة من أن
تفعل . انها ان انتزعتها الآن عنوة ربما آلمه ذلك وظن بها
السوء فيفترسها فجأة . وله العذر فى ذلك هل هو يدرى
انها لاتريد منه غير هذه الشعرات فقط ؟! لا لن تفعل وانما
ستفعل شيئا آخر سوف لايؤلمه ابدا . وسوف لايجعله يفطن
الى مافعلت حتى ولو انتزعت شاربه كله .

وذهبت اليه فى الليلة التالية وقدمت له طعامه فى نفس
الموعد . وحين تم جلست بجواره وهو يأكل تلاطفه وتداعبه
وتربت بيدها حينا على ظهره وتمسح بها حينا على رأسه
وهو يأكل سعيدا جدا بمداعبتها وبلذة اللحم الشهى الذى
يلوكه بين شدقيه ويمزقه تمزيقا بأنيابه . وانتهزت هى هذه
الفرصة التى مابعدها فرصة وامسكت بمقص صغير كانت
قد أحضرته معها لهذا الغرض ودون أن يراه حتى لايفطن اليه
فيظن أن هذا سلاح تريد أن تقتله به فيقتلها هو . وقصت
بعض شعرات كثيرة من شاربه وهو يبصبص لها بذنبه حينا
ويلوك قطعة كبيرة من اللحم بين أنيابه التى كانت تراها تلتمع

في الظلام كما تلتمع في الليل اسنة الحراب تماما . وتركته وانصرفت وسعادة الوجود كله تسير في ركابها في هذه الليلة .

ولم تدر بعد ذلك ما الذي حدث على وجه التحديد هل اطبقت عليها الفرحة حتى انستها وجودها . أم ظلت طوال الليل لم يغفل لها جفن لكي تكون أول من يرى ضوء النهار فتهرع بالشعرات الثلاث الى الشيخ . أم هي نامت واستغرقت في ثبات عميق حتى اشرق الصبح . واسرعت تسبق خطوها الى صومعة الشيخ والشعرات الثلاث في يدها لم تدعها منها لا في النوم ولا في اليقظة . لم تدر شيئا من هذا كله . وانما الذي تدريه هو أنها رأت نفسها فجأة واقفة أمام الشيخ في صومعته والشعرات الثلاث في يدها وتقص عليه قصتها مع الاسد . والشعرات التي انتزعتها بيديها من شاربه .

ونظر الشيخ اليها بعد أن قصت عليه مافعلت وقصته بدقة .

ومد الشيخ أظافره السوداء المدببة الطويلة وامسك بلحيته المسترسلة التي راحت تهتز عند قدميه فوق الارض ومن ثم راح يضحك ويغرق في ضحك طويل .

ونظرت هي اليه في دهشة بالغة وسألته ذاهلة عما يضحكه الى هذا الحد .

فقال الشيخ وهو مازال يضحك ولحيته تهتز فوق الارض .

ـ انني أضحك منكن أيتها النساء . تقدرن على أن تروضن الاسود وتجئن الي لكي أروض لكن الرجال .

صرت ملاكا

للروائي الجواتيمالي
كارلوس وايلد أوزنبيا
ترجمة
خيري حماد

وقف الرجل أمام السياج ، ورفع رأسه ، وجمع يده على شكل منظار وضعها امام عينه اليمنى ، وأخذ يمعن النظر فى الغرفة التى تطل نافذتها عليه ..

كان الرجل أعشى البصر ، لا يكاد يرى . ولذا لجا الى حاسة الشم القوية عنده ، يتلمس الرائحة من نيران الموقد الذى اعد للطهى ، فتصاعد اللهب منه، يضيء الى حد ما الغرفة المعتمة . التى تراءت له منها اشباح . لا يستطيع تمبزها . تذرعها جيئة وذهابا أمام وهج النيران المتقدة .

واطل برأسه ، وقد مد عنقه ، بحرص المجرم الخارج على القانون ، يصغى باذنيه . بينما اتسعت فتحتا منخريه يعب فيهما الهواء عبا ، كالكلب الذى يتتبع الاثر

وسمع صوت النسوة ، وهن يصفقن بايديهن ، اثناء اعدادهن الفطائرالمحشوة وشم الرائحة الدافئة المنبعثة من هذه الفطائر . ومن صنوف الكعك الاخرى ماحس بالجوع القاتل . انه لم يتذوق الطعام منذ أمد طويل . وجوعه اشدمن جوع الفقير المتسول ، اذ ان هذا كثيرا ما يعتمد على مايسد به رمقه ، قبل أن يصاب بالاغماء ، وقبل ان يعض الجوع امعاءه كعضة الثعبان السموم .

لكن جوعه كان من نوع آخر ، انه جوع الآبق المطارد . الذى لا يستطيع الدنو من الناس لتسول قوته . واذا ما أسعفه الخطر وواتاه ببعض الطعام ، اقبل عليه كالذئب الجائع المفترس وقد وضع يده على خنجره ، وتمنطق ببندقيته .

وحزم خوان باراباس أمره هذه المرة ... ترى هل يخشى من الاعتقال ومن الزج به فى غياهب السجن ؟.. لا . ان فى السجن راحة له . وقد قلب هذا الموضوع في جميع نواحيه ، ودرسه بامعان وتبصر شديدين ، فقرر ان من الخير له ، ان يستسلم للشرط، بعد ان أعياه البحث عن الغذاء والماوى . أما الآن فيكفيه ان يطلب لقمة من أهل هذه المزرعة يسد بها رمقه . اذ لا يعرفه فيها أحد .

وراح يدور حول السياج . جاسا طريقه بعصاه ، وراح يدلف الى الامام فى حالة يرثى لها ، وهو يتحسس بقدميه طريقه ، مارا بدرب ممهد تحيط بها مساحات مزروعة بالخضار .

وجاءته فكرة مفاجئة ، ترى هل يطلب عملا من اهل المزرعة ؟ .

لا .. انها فكرة سخيفة .. وكيف يستطيع ان يعمل الآن ، وقد اقعده المرض ، وطغى فى السن ، لاسيما وقد

صرم شبابه بل حياته كلها ، دون ان يمارس عملا .

اذن .. فالخير ان يطلب لقمة يسد بها جوعه .

ودنا من المزرعة . وقد بانت عليه الذلة والمسكنة ، واخذ يقدم ساقا ويؤخر اخرى ، شانه فى ذلك كالكلب الضال ، ورأته امرأة ، كانت تغدو وتروح أمام نيران الموقد .. فقالت .. ماذا استطيع أن افعل لك يا سيدى ؟

ـ قطعة من الفطائر .. جزاك الله ! ..

ودعته المرأة الى الدخول ، فدلف الى الغرفة ، وانتحى يقتعد مجلسا له على الواح الخشب ، وقد اسند ظهره الى الجدار المبنى من الطين الجاف . وتطلعت اليه النسوة لحظات ، وفى عيونهن تعبير يفيض بالشك وعدم الاطمئنان . بينما شرع كلب على مقربه ، ينبح نباحا شديدا فيه كل مظاهر الغضب .

وجئن له بقطعة من اللحم المقدد الى جانب عدد من الفطائر . واخذ خوان باراباس ، يلتهم ما أمامه ببطء ، وقد غمرته السعادة فى ذلك الجو الهانىء متحررا من الخوف الذى يقلق جميع الحيوانات وهى تقبل على طعامها ، وغلبه النعاس ، فاتكأ برأسه على الجدار . وراح ينشد الاغفاء ، لكن المرأة التى دعته للدخول ، سرعان ما ايقظته بسؤال وجهته اليه قائلة .. ترى هل تقصد بعيدا ؟ ..

لقد جاء على قدميه من « سالما » بعد ان خرج من المستشفى الذى تولى علاجه وراح بعد ذلك يضرب فى الارض دون ان يكون له هدف معين . وعندما يكون الانسان بلا مأوى وبلا عائلة أو طعام وتكون الشيخوخة قد عاجلته ، فاصبح عاجزا عن العمل ، يغدو كل مكان على وجه الارض وطنا له ومأوى .

وتطلعت اليه المرأة بنظرة حانية عكست ما ابدته نحوه من اهتمام وراحت تسائل نفسها .. ترى ما خطب هذا الانسان ؟ وما هى جريرته ؟ انه يحس ببرد قارس يبدو فى عينيه وكأنه قد استقر فيهما . وقد اصيب بهذا البرد الذى تصحبه الحمى احيانا من الاراضى الواطئة ، عندما كان يعمل فى غاباتها قبل بضع سنوات .

وسمع امرأة مكتنزة الشحم ، تبدو وكأنها كرة منتفخة ، وقد بلغت حدود الاربعين من عمرها تقول .. ان جميع اهل المناطق الواطئة يصابون بالحمى التى لا ينجو منها انسان .. ثم راحت تسأله .. ما اسمك يا هذا ؟

وراح خوان باراباس ، يعترف باسمه الحقيقى هذه المرة خلافا لعادته ، وقال.. خوان فارجاس فى خدمتك يا سيدتى

وتمتمت المرأة المنتفخة بالاسم وتطلعت الى رفيقاتها تقول .. الم يكن زوج جوزيفا يحمل اسم فارجاس ؟

وفوجىء الرجل القذر ، ذو الاسمال البالية ، عندما سمع اسم جوزيفا وفتح عينيه المتورمتين ، ولكنه ظل صامتا لايحير ببنت شفة ، وبعد لحظة تردد قال .. او هناك من تسمى بجوزيفا تعيش فى هذه الناحية ؟

ـ اجل ، انها المرأة التى تدير بيت السيد مع ابنتها . لقد كان لها رجل ويقال انه هجرها ..

ـ وهل السيد موجود ؟

ـ لا ، لقد ذهب الى مدينة جواتيمالا

٠٠ وجوزيفا الآن فى الزريبة ٠ تعنى بأبقارها ٠

وراح خوان ينهض من مكانه مودعا، وهو يقول ٠٠ ليرعاكن الله ، ويجزيكن عنى خير الجزاء ٠

واتجه الى الزريبة ، حيث رأى جوزيفا فعرفها لتوه ، انها العجوز الحادة المزاج التى تنهال بوابل سبابها على الاولاد الذين يحلبون الابقار ٠٠ وورا،ها ابنتها ابنة خوان باراباس ، وقد شبت حتى غدت فتاة فى عمر الورود ٠

ولم يحس خوان بأية عاطفة ، وهو يرى المرأة التى كانت فى يوم مازوجته والتى غدت الآن ضخمة الجسم ، مترهلته تعوى بصوت كصوت الآمر ، وتتخذ هيئة الحاكم بأمره فى المزرعة ٠

وتقدم منها ، ثم وقف أمامها وبادرها بقوله ٠٠ هل تعرفيننى ؟

ووقفت حيرى والدهشة تسيطر عليها ثم دنت منه ، حتى لمسته بيديها ٠

وعرفته على الفور ، ولم تحاول اخفاء تقززها من رؤياه ، ثم قالت ٠٠ ومتى خرجت من السجن ياخوان فارجاس ؟

وسرعان مالانت نظرتها ، كما اعتادت فى الايام السالفة ، أمام عينى المجرم المخيفتين ، وقالت بشىء من اللين ٠٠ وماذا تعمل هنا ؟

ورفع خوان يده الى فمه وفتحه ٠ واشار لها بأنه كان يزدرد الطعام ، ثم امسك بابنته ، واخذ يداعبها بحنان ، والفتاة تحاول الخلاص منه ٠٠

وقال خوان : أهى الوحيدة ؟

وفهمت جوزيفا ما يعنيه فقالت ٠٠ لا ، هناك ، ولد آخر ، من سواك ٠٠ ثم انفجرت فى غضب ثائر ، واخذت تلوح بيديها فى وجهه وهى تقول ٠٠ وماذا كنت تتوقع ، عليك اللعنة ! لقد تخليت عنى قبل تسع سنوات ، وهجرتنى ٠٠ أجل لقد تعادلنا ٠ ٠٠ وماذا كان بوسعك ان تنتظر ؟ ٠٠

وانفجرت تبكى بكاء مرا ٠٠ وبدا كل شىء طبيعيا لخوان ٠ فما حدث قد حدث ثم اخذ زوجته بين ذراعيه ٠

واقام الرجل الكفيف البصر فى المزرعة ٠ وعين كواحد من موظفيها بتوصية من جوزيفا ، التى لم تحدد له اعماله أو واجباته ، كان رجلا على اهبة للقيام بكل ما يطلب اليه عمله وللتدخل فى كل شىء ، فهو يتقن كل المهن ٠ وسرعان ما اصلح كل باب فى المزرعة ٠ ووضع كل قفل فى موضعه وسمر لكل جواد نعليه ، ورمم كل شىء خرب ، كما اخذ يعنى بالحديقة وما فيها من دواجن ٠

وراحت نساء المزرعة يداعبنه ويسمينه بالمرأة العجوز ، وهو يضحك منهن ٠ انهن مسكينات ، لا يعرفن شيئا ٠ انهن لايعرفن انه امتهن اللصوصية وهو فى الرابعة عشرة ، ثم تحول الى قاتل ، والى رئيس عصابة من قطاع الطرق ، وبات فى وسعه الآن ، وهو ينعم بهذه الحياة الوادعة الهانئة ان يبتسم ساخرا من ماضيه ٠

ياحماقة الانسان ، عندما يقترف الجرائر ٠ هاهو خوان يضحك الآن من اعماق قلبه ، بعد ان نسى ماضيه واصبح آمنا فى هذه المزرعة فى مطاردة الشرط ٠ والفضل فى ذلك كله اليها أجل الى المرأة التى هجرها ٠

انها تقول له الآن ٠٠ اسمع يا خوان مهما كنت ، فقد طويت صفحة الماضى

ودفنته • ومن الخير ان تعمل الآن لابنتك وللطفل الذى يحبــك ، رغم انه لايمت اليك بصلة • انك تكسب الآن رزقك بعرق جبينك ، وبشرف ، والاغنيـاء وحدهم هم الذين يخشون على اسمهم الطيب وشرفهم حتى ولو كانت خشيتهم هذه زائفة مصطنعة • وعندما يتيسر لك بعض المال • عليك ان تدخره ، لتعهد به الى محــام يدافع عنك وينقذك من السجن • وعليك ان تبدل جميع طرائقك فى الحياة •

كان الصدق يطبع حديثها كله • انه غارق الآن الى أذنيه فى الشرف انه لم يعد يسلب شيئا من أى انسان • وقد بدأ حسن الطالع يبتسم له ، وللاشخاص الثلاثة الذين يحبهم ويحبونه •

وراحت جوزيفا ، تقيم له الدليل على واسع حكمتها ، عندما شرعت تلقى على مسامعه محاضرة ثانية بصوت يحمـل الأمل والرجاء ، وتقول •• علينـا ان ندخر بعض المال • ان الجميع يسرقون من السيد • ولن نسمح للآخرين بأن يأخذوا ما نستطيع نحن أن نأخذه • ان لنا حقا فيه أكثر منهم ، اذ اننا نحن الذين نقوم على خدمة المزرعة وحمايتها فانت وحدك الذى يجب ان يغدو مراقب هذه المزرعة • ولذا علينا ان نتزوج فقد اخذ الناس يتهامسون عن علاقتنا

ورفض خوان الفكرة • انه لايستطيع الزواج ، وســماع اجراس الكنائس ولكنه اذعن اخيرا لارادتها امام الحاحها• وتزوجا • واصبح خوان بعد الزواج مراقبا نموذجيا فى مزرعة نموذجية •

وتمكن على حساب السيد • من بناء عش صغير له ولاسرته • اثثه بأحسن الاثاث والفراش •



ونما الــوفر • وتحسس العمل • وساد النظام فى المزرعة • وسر السيد سرورا منقطع النظير ، من الطريقة التى رأى منها خوان يدير مزرعته ويصون مصالحه خير صيانة • واخـذ يكيل له المديح ، امام كل من يراه من اصدقائه ومعارفه ، وينعته بالصـدق والامانة والنزاهة ، ونظافة اليد •

وحقا فقد مكنته خبرته السابقة كلص وقاطع طريق ورئيس عصابة من ادارة العمل بحزم ، ومن سياسة مرؤوسيه ومنعهم من السرقة والغش والخديعة • وغضبوا فى بداية الأمر من معاملته لهم فحاولوا العصيان والثورة • ولـكنهم سرعان ما تبينوا قوة شخصية خـوان فارجاس ، اذ تمكن بضربة واحدة من يده ، من اطارة الفاس التى كان يحملها أكثر العمال فتنة ، وأحبهم للشـغب والعصيان من يده ، وقذفها بعيـدا • وهابه العمال ، بعد أن تبين لهم ، ان ليس بينهم من يستطيع مبارزة المراقب العجوز • او مقاومة يده القوية ، أو محاكاته فى اصابة الهدف باطلاق النار أو خذف الخنجر •



وسيطر عليهم الخوف منه . وسرعان ما انقلب الخوف الى ولاء وحب وعبادة للرجل . لقوته ورجولته . وتطورت العبادة الى وله شديد يحس به ابناء الريف عادة بغرائزهم لكل من يتولى قيادهم .

واصبحوا جميعا ينادونه بالسنيور خوان ، ويظهرون له كل تحية واحترام وعلقت زوجته على هذا التطور بقولها : لو لم تكن جاهلا ، لغدوت جنرالا وقائدا عظيما .

ورد عليها العجوز بقوله ... أو زعيما أو رئيسا .

وكانت ابنته روزاليندا ، الشىء الوحيد الذى يقض عليه مضجعه ويقلقه فقد بلغت الخامسة عشرة من عمرها ، وتفجر جمالها الريان ، عن فتنة طاغية أسرت قلب السيد صاحب المزرعة .. وكانت المسألة على جانب كبير من التعقيد لاسيما وان الأم كانت تقوم بدور الوسيط بين السيد وابنتها .

وتقدمت جوزيفا ذات يوم من خوان على غير عادتها ، وهى تكاد تفطر رقة وعذوبة لم يعهدهما فيها من قبل وختمت مداعبتها العاطفية له بقولها لقد وقع السيد فى غرام روزاليندا فلو تدبرنا ترتيب علاقة بينهما ، لوقعنا على منجم من الذهب .

وتفجر غضب الرجل العجوز وهو يقول .. ياللعذراء ! لقد سكت على مضض على الولد الذى جئتنى به .ولكن موضوع روزاليندا .. شىء آخر لا استطيع ابتلاعه ابدا ! .

وانهال على زوجته يضربها ضربا مبرحا ، وادمى جسدها بلكماته وركلاته القوية ، ثم خلفها وقد تورمت بعض اجزاء جسدها ، تبكى وتنتحب وهى مطروحة على أرض البيت .

وتوالت الايام ، وهو لاينفك يضربها بين الفينة والفينة . بينما ظلت تهدده بطردهم جميعا من المزرعة ، اذا لم يذعن لرغبات السيد المشتعلة . لكن خوان ظل على موقفه ، لايتراجع عنه قيد شعرة

وراح يقول لها ذات يوم .. لن أضحى بابنتى أبدا . واذا كان الشرف يقوم على اشلاء مثل هذا العار فسأعود الى الطريق اقطعها ، واسلب الناس ما يملكون !

ثم اضاف الى ذلك قوله .. هذا هو الخطأ فى تعليم الشرف للناس . لقد سرقت . وكان هذا حقا ، وكنت وغدا وكاذبا ، ومنافقا ، ولن أنكر ذلك ولكننى اقول لك .. ان كل اثم ارتكبته فى الماضى يقلقنى ، ويحز فى نفسى الألم ولكننى لن ابيع فلذة كبدى ، وكبدك قولى عنى ماشئت ، فانا رجل شرير وسىء ، ولكننى سأحافظ على شرفى وقد تقولين انى بليد ، ولكننى سأظل على هذه البلادة ، وقد انتهى نهاية اسوأ من البداية التى كنت منها . اذهبى عنى بربك . قبل ان اذبحك . وعليك وعلى الفتاة ، والسيد ان تكونوا حذرين ،فان خوان براباس لم يمت .

وتمتمت جوزيفا ، وهى تمسح عينيها بمريلتها قائلة .. اجل ، لقد مات .. لقد مات ياعزيزى .. لانك تريد ان تصلحنا جميعا . لقد كنت افكر ياخوان منذ عهد بعيد انك تصلح ان تكون جنرالا فقط . اما الآن فاننى ادرك انك تصلح ان تكون قديسا ، أو ملاكا ... بورك فيك ياخوان.. يا زوجى العزيز.



صدى السنين

صوفي عبدالله

كانت تضحك ، وتتكلم ، وتجامل ... ولكن شيئا في أعماقها كان بعيدا كل البعد عن كل ما حولها .. حاولت ان تتجاهله حاولت ان تندمج في جو المرح الذى يحوطها ، ولكنه كان يجذبها اليه ! فلا الزوج ، ولا الاصدقاء ، ولا التورته التى ناءت بالعشرين شمعة ، بقادرة ان تنتزعها من الاحساس العجيب ... من الدوامة القوية ! تغوص بهـا وتغوص أو تشدها عبر السنين الطوال !

وتواكبت خواطرها ....

ها هى تتحسس زهور الفل فوق راســـها ، منبسقة بديعة .. وثوبها الابيض الناصع حول جسمها الرشيق الغصن . بينما كانت تتلقى التهانى من المدعوين ...

وهذا هو بجانبها بعد لحظات سيضمهما عش واحد .. انها تحبه ، ما فى ذلك شك ، تحبه بكل طاقة فتاة الثامنة عشرة ...

وأحست بيـد تزحف على ظهرها وتضمها بشـــدة ، وسرى الى أعطافها سخونة الجســم الشاب الذى بجانبها ... واغمضت عينيها تحت اللمسات المشبوبة ، وماأودعت جسمها من نشوة .. وسمعت وسمعت همسا خافتا كله عذوبة ...

وانفرج فمها عن ابتسامة أودعتها كل ما يحمل قلبها الشاب من حب ولهفة ... ولم تلبث ان غاضت ابتسامتها، وحل محلها شعور بالالم والحسرة ...

هاهو العش الجميل الذى كانت تحلم به ، تحول الى جحيم ! ..كلا . انه ليس جحيما بالمعنى المألوف !

انها لا تفهم هذا الزوج المحب النفور العطوف ! .. لا تفهم تصرفاته فهو مقبل عليها .. ضيق بها ! حريص على ارضائها .. مستميت على الاحتفاظ بحريته فى الانطواء

والانزواء فى أى وقت . وبغسير سابق نذير انه لغز محير لا تستطيع فك رموزه ...

كم احنقها الفشل فى حياة كانت تأمل لها الذروة من النجاح ... احنقها الفشل لانها تحبه رغم نقمتها عليه ! ..

وكم تضاربت احاسيسها بين الحب والكره ، بين الالم والغضب ، بين الانتقام والتسامح ! ..

واشرق امامها بصيص أمل بعد ان أعيتها احواله المتناقضة ، وشل تفكيرها الموقف المائع .

لماذا لا ينفصلان بالحسنى ، ويظلان صديقين ؟ لان يكون صديقا كريما ، خير ان يكون زوجا ناقما مغلوبا على أمره ..

وفاتحته فى الامر ، فانكره بشدة ، وأربد وجهه ، ثم لم يلبث ان وعدها بالتفكير فيه ... ولكن ما باله يراوغ ويماطل ، ويتهرب من المواقف التى يرى انها ستؤدى الى فتح الموضوع مرة ثانية ! ..

يجب اذن ان تخطو هى الخطوة الاولى ، لعل احجامه ليس ناجما من عدم رغبته فى الانفصال ، بل حرصا منه على أن تكون هى البادئة ! ..

آه ! هاهى طفلتهما الاولى فى الطريق . كلا ! لن تسمح ان ترى نور الحياة لن تتورط كالبلهاء فى انجاب مكتوب عليه التعاسة قبل ان يولد ... لن توافق !.. لن توافق !..

ولكن ايامهما لم تكد كلها تعاسة ... فهناك لحظات من السعادة كانت تجمعهما بشدة ! .. حتى ليظنا ان العالم لا يساوى شيئا بجانب الحب الذى ينشدانه معا !.. بجانب الارتباط القوى الذى يشد أحدهما الى الآخر ...

نعم . كان نوع ارتباطهما عجيبا ! ففى الاوقات التى كانا يشعران فيها ان كلا منهما يبغض الآخر حتى الموت !.. فى هذه الاوقات بالذات يتحرك فى اعماقهما احساس غريب ... احساس يتفجر حبا قويا سخيا مضحيا !.. حبا لا يستطيعان الافصاح عنه حتى ولو أرادا ذلك !

كانت هذه الاحاسيس تجعلهما يقفان أمام رغبتهما فى الانفصال مكتوف الايدى ، يحجم كل منهما عن ان يخطو الخطوة الاولى ليلقى القنبلة التى يعلمان انها ستقضى على حياتهما معا ! ..

ليتهما يتشاجران ! ليتهما يتفاضبان !.. ان شيئا

من هذا لم يحدث بينهما ! . بل هو التوتر والتوجس والريبة لاشياء لا يدريان مبعثها بالضبط ! ..

هاهى طفلتهمـا الاولى تبرز للوجـود ... جميلة موفورة الصحة والعافية . لكنها للاسف . لم تحمل معها ما كانا يطمعان فيه من استقرار وهدوء ! .. بل لعلها زادت الحالة تفاقما !.. كيف ؟ لا تدرى !.. انما هو هدوء ظاهرى هدوء يحمل بين طياته كل معانى التحدى .. الهدوء الذى يسبق العاصفة ....

هنا الطفلة تكبر ، وتملأ البيت نغما جميلا ... ولكنه لا يحس بها ! احيانا تجده مقبلا عليها ، هاشالها ، يحضنها فى هيام ! واحيانا اخرى تجده ساخطا عليها ، متحاشيا لها ، ينظر اليها نظـرات كراهيـــة وحقـد ! هـكذا دون سبب واضح ! ..

وما كان يحدث مع الطفلة غالبا ما يتكرر معها !.. فتحس به موزع النفس ، ممزق الاحاسيس لا استقرار فى حركاته ، ولا طمأنينه فى تصرفاته !..

وفجأة هوى . وقع صريع مرض عضال ، وراح يتقلب بين براثنه التى لا ترحم ، وتحت وقر الحمى وأكياس الثلج على رأسه ، وعيادة الاطباء ، أخذ يهذى .. يهذى بكلمات متقطعة مملوءة مرارة وأسى ...

« كلهن سواء ... الام .. والزوجة .. والابنة .. شيطانات كلهن مهما تقدم بهن الزمن ! ..

وكلام كثير غامض .. متقطع ... تبرز فيه دائما كلمة تتكرر وسط ركام متناثر لا معنى له .. « الام » ..

واحست بطعنة فى قلبها .. انه لم يخف عنها منذ اليوم الاول فجيعته بأمه ، وما سببته له من طعنات ادمت قلبه ... ولكنها لم تكن تظن قط ان ما فى طبيعة تلك الام من المسخ والتفسخ ، اصابه بجرح غائر أحنقه على النساء جميعا !..



حتى هى لم تسلم منه ، ولا ابنتهما الوحيدة ! ..

ولم تستطع ان تغضب منه !.. لم تستطع ان تشعر بالسخط لانه نعتها بهذه النعوت التى هى منها براء ... بل على العكس . شعرت بينابيع حبها المكبوت تتفجر فى اعماقها !.. كل شوقها اليه ، وكل لهفتها عليه ، وكل حنانها الذى كانت تحتجزه ، تدفق وغمر كل ما حولها !.. حتى

الاشياء الصغيرة فى حجرة نومها .. الاشياء الصغيرة التى كانت تشعر نحوها بالكراهية ، لانها تذكرها بمعاملته الموجعة ... حتى هذه الاشـياء ، أحست نحوها بحنـان وحب واعزاز ! ..

الآن فقط انكشف لهـا السر المغلق ... سر الذى حارت فى معرفته مدى عشرين عاما ... نعم ! عشرون عاما قضتها تتخبط فى الظلام !..

ولكنها لن تكذب على الحقيقة ، ولن تغمط السعادة حقها .. ففى خلال هذه السـنوات العشرين ، احست بومضات حب جارفة كانت تنتشلهما معا ، من عالم الوجود القاسى الصلب .. الى عالم كله حب واقبال وسعادة ، ولكنها لا تلبث أن تنطفىء تحت وقر احساساته المجروحة ، التى لم تكن تدرى مبعثها ! ..

واعل المرض الذى أوصله الى الموت ، ثم بعثه الى الحياة ، استطاع أن يبتعث فى نفسه الثقة بحواء ، حـواء المحبة المخلصة التى تعطى من نفسها بلا حساب ، وبلا تردد ، وبلا تفكير ... حواء الام !...

واحست بيد تزحف على ظهرها ، وتضمها بشدة ، وسرت فى اعطافها سخونة الجسم المكتهل الذى بجانبها ، واغمضت عينيها تحت اللمسات الحانية العطوفة ، تستمرىء لذة السكينة والنشوة الهادئة ... نشوة المراة التى أرهقت اطفها السنون ...

وسمعت همسه الخافت العذب ..

وفتحت عينيها بعد رحلتها الطويلة ، فالتقتا بعينيه فى نظرة مشبوبة ، وتصايح المدعوون من حولهما :

ـ ما هذا ؟ .. نحن ننتظر !.. نريد ان نأكل التورتة ، متى ستتنازلان باطفاء الشموع !..

نعم . عشرون شمعة !.. عشرون عاما !.. ليست كلها عذابا .. بل هنـاك ومضات من الحب جارفة يهون بجانبها كل عذاب !..

والتقى راساهما لاطفاء الشموع ، وبدا من بينهمـا راس ثالث .. راس الابنة اليافعة ..

وانحنيا يقبلانها وقد تلاقت عيونهما للمرة الثانية .

القصة في الأدب الإنجليزي

بقلم الدكتور طه محمود طه

٢ ــ النبت

أولا : القرن السابع عشر

وفى أوائل القرن السابع عشر بدأ اهتمام الجمهور بالروايات يفتر ، وبدأ يحل محلها ما يعرف برسوم الشخوص Characteries وهى تقليد بارع لشخوص ه Theophrastus ، تلميذ أرسطو وصديقه . ولم تتطلب هذه الدراسات التحليلية للشخوص قصة ولكنها كانت تشير الى الاهتمام بالعلم الحديث واهتمام الكاتب بالتغييرات فى الانماط وفى الطبيعة البشرية . وكان هـذا الاهتمام نتيجة للآراء الفلسفية والعلمية السائدة فى ذلك الوقت واهتمام الفلاسفة والمفكرين بالاشياء والمفردات لا بالكليات ، بالملموس لا بالمجرد . وكانت رسوم الشخوص أقرب للمقالة منها للقصة ولكنها تطورت فى النهاية لتكون جزءا هاما من دراسة الشخوص كما نعرفها فى القصة .

وفى هذه الرسوم ظهرت انماط كثيرة من قطاعات مختلفة من الشعب ، وادت طريقة العرض للشخوص الى تقدم النثر الفنى فى القصة ، وأصبحت لغة الوصف ادق مما كانت عليه بكثير عندما بدأ الكاتب يركز فكره حول الانماط المختلفة حتى اصبحت هذه الطرز تحتل المكانة الاولى بدلا من الشخوص ، وادى هذا الى اهمال الشخوص العادية . وكان علم النفس فى ذلك الوقت لازال مرتبطا بآراء العصور الوسطى فى الشخصية ، بتقسيم الناس الى اربعة فئات حسب أمزجتهم (هوائى ، أرضى ، نارى ، مائى) أو

الصفراوى ، الفاتر (البلغمى) ، دموى المزاج أو حاد الطبع ، مكتئب .

ومن أشهر كتاب «الشخوص» سير توماس أوفربرى الذى نشر فى عام ١٦١٤ « واحد وعشرون صورة نثرية Twenty-one Prose Portraits وأهمها « بائعة اللبن » وسبقه جوزيف هول حينما نشر فى عام ١٦٠٨ شخصيات فاضلة وشخصيات رذيلة Characters of Virtues and Vices وتبعهما صامويل بتلر وجون ايرل وجون كليفلند وقد أضفت رسوم الشخوص على النثر الانجليزى دقة فى التعبير ، ومهدت هذه الدراسات للشخوص لتحليلها فيما بعد تحليلا مستفيضا . وقد نشر من هذه الاعمال ما يزيد عن مائة وخمسين فى القرن السابع عشر ، وهذا دليل على شيوعها .

وفى منتصف القرن السابع عشر تقريبا ظهر ثلاثة أنواع من القراء : **القارىء الواعى المتعلم المتحمس للروايات الفرنسية ، والقارىء الذى يفضل قراءة «رسوم الشخوص» والقارىء الواقعى الذى يستمتع بالقصص الواقعية التى تعالج حياة الطبقة الفقيرة والبكاريسك أو أدب الشطار . وكان أثر الادب الفرنسى عظيما عندما ظهرت « أميرة كليف » وهى رواية من تأليف مدام دى لافاييت ، وكان لظهورها فى عام ١٦٧٨ أثره الكبير فى تطور الرواية . ويمكننا أن نعتبر « أميرة كليف » أول قصة لانها كانت ثورة على القديم من حيث بنائها واطارها ، فقد كانت قصيرة وموجزة وظهرت فيها وحدة الحبكة ولم يتخللها سرد خارج عن الموضوع وكانت بطلتها سيدة متزوجة . وبالرغم من ان حوادث القصة تدور أيام الملك هنرى الثانى (١١٣٣ — ١١٨٩) الا ان العادات والتقاليد فيها كانت مستوحاه من عصر مؤلفتها . وموجز القصة يدلنا على الشوط الذى قطعته القصة حتى الآن وكيف انها نبذت تقاليد الرواية ، فالقصة تدور حول مأساة القلب الانسانى وتجد بطلتها وهى سيدة متزوجة ، نفسها تبادل السيد « نيمور » حبا بحب ، وتحاول أن تسيطر على عواطفها وتكبح جماح هذا الحب الوليد فى صدرها ولكنها لا تستطيع ان تتغلب عليه أو حتى ان تتجاهله ، واذا رضخت واستسلمت لهذا الحب فمعناه ضياع شرفها . واخيرا تعترف لزوجها الذى يعبدها وترجوه أن يطلقها ويبعدها عن البلاط .**

ويوافق الزوج ولكن التضحية كانت اكثر مما يحتمل وكانت سببا فى وفاته بالحمى ولم يكن لديه لا الرغبة ولا القوة والعزيمة لمقاومة المرض • وبهذا تصبح الاميرة حرة ولكنها لا تستطيع ان تنعم بالحياة مع « نيمور » وتفارقه الى الابد .

وفى هذه القصة يخيل الينا ان النثر القصصى قد ظهر الى حيز الوجود لانه فى نفس هذا العام ظهر كتاب « بانيان » « سعى الحاج » The Pilgrim's Progress يعتبر انموذجا فى الادب الانجليزى ودليلا واضحا على الفرق بين الروح الفرنسية فى الرواية والروح الانجليزى فى القصة فى القرن السابع عشر .

ويعتبر كتاب بانيان « سعى الحاج » الومضة الاولى فى النثر الانجليزى ، فبانيان ، (١٦٢٨ ــ ١٦٨٨) شانه فى ذلك شأن بليك (١٧٥٧ ــ ١٨٢٧) ، يعتبر فلتة ، ليس له مثيل من قبله ولا من بعده . فنحن لا نجد له مكانا فى اطار تطور القصة الطبيعى ، ومع ذلك فهو انجليزى قح وكان ابوه يعمل سمكريا • وخدم بانيان اثناء الحرب الاهلية وتزوج وأصبح مثل أبيه سمكريا ، وبعد أن استهوته الحياة الدينية أصبح واعظا ، وفى عصر عودة الملكية فى انجلترا (١٦٦٠ ــ ١٧٠٠) اتهم بالقاء المواعظ دون ترخيص وزج به فى السجن لمدة اثنى عشر عاما وقد قام بكتابة رائعته الخالدة « سعى الحاج » عندما حكم عليه بالسجن مرة اخرى لمدة ستة اشهر وتوفى عام ١٦٨٨ .

ولكى نقدر بانيان حق قدره يجب علينا أن ندرس حياته فى ضوء حوادث عصره الدينية ، ويجب أن ناخذ فى الاعتبار انه بانتصار المذهب البروتستنتى أصبحت المسئولية ملقاة على عاتق الفرد وليس على عاتق رجال الكنيسة من ناحية الضمير ، ولم يعد طريق الخلاص مقصورا على رجال الكنيسة بل أصبح يكمن فى الايمان الفردى العميق وفى العلاقة بين روح الانسان وخالقه . وكان من اثر هذا التفسير للمذهب البروتستنتى ان مر بانيان بتجربة روحية عميقة وشعر بثقل العبء الملقى على كاهل الفرد . وسيطرت فكرة الجحيم على عقله سيطرة تامة ، ولم يكن هذا بسبب انتشارها فى العصور الوسطى فحسب بل كان بسبب ايمان المتطهرين بأن فريقا من الناس فقط هم الذين يستطيعون النجاة من العذاب ولهذا كانت صورة الجحيم تملأ عقله ووجدانه منذ طفولته . و « سعى الحاج »

تصور قصة المسيحى الذى يشعر بضرورة ترك بلدته المقضى عليها بالهلاك وخاصة بعد قراءة الانجيل ومثول المبشر له فى رؤيا يأمره فيها بالفرار . وتصور القصة الطريق المحفوف بالصعاب وقلة من سيصلون فى نهايته الى الفردوس . ويعتبر الكتاب الاول من نوعه الذى تتجسد فيه المعنويات حية ناطقة فى هيئة شخوص .

وفى هذا القرن تظهر أيضا النساء الكاتبات واشهرهن مسز أفرا بن (١٦٤٠ ــ ١٦٨٩) وقد بدأت حياتها الفنية بكتابة المسرحيات الهزلية ولكنها ، فى نثرها القصصى ، وقعت تحت تأثير منهج الفرنسيين فى محاولتهم للتقريب بين جو الرواية الرومانتيكى وبين الحــوادث الواقعيــة فى القصة المعاصرة . وأول كتاب لها كان عنوانه « خطابات غرامية بين نبيل واخته » فى عام ١٦٨٣ ولكن قصتها الموجزة « أورنوكو » التى نشرت بعد وفاتها تعتبر حدثا هاما فى تاريخ القصة لانها تصر على ان حوادث القصة حقيقية وانها كانت شاهد عيان . وتختلف القصة عن باقى قصص العصر فى ان بطلها ملون ونهايتها مفجعة وتقع حوادثهــا فى غيانا الهولندية فى ذلك الوقت والقصة أول قصة فى الادب الانجليزى تعالج مشكلة اضطهاد العبيد .

والبطل أورونوكو أمير كورمانتين وحفيد ووريث الملك المسن ويعتبر النموذج او المثال الاصلى لفكرة جان جاك روسو للانسان الفطرى النبيل ذى القلب المخلص الطيب . ويقع أورونوكو فى حب « أموبندا » ابنة رئيس القبيلة ولكن لسوء الطالع يبالغ اتباعه فى وصف جمالها للملك الذى يضمها عنوة لحريمه . ويعلم الملك فيما بعد بأنها تقابل الامير سرا ، ويغضب ويثور ويبيعها كجارية ، أما الامير فيلحق بالجيش ويقع فى شباك مؤامرة وبحيلة غادرة يجد نفسه على مركب للعبيد تنقله الى سورينام حيث « سبقته اموبندا » . ويستطيع الحبيبان ان يكتسبا عطف تاجر اسكتلندى اسمه ترفرى ويسمح لهما بالزواج ويعدهما بتحريرهما عند حضور الحاكم البريطانى الذى يتأخر عن الحضور . ولا يصبر أورونوكو على ذلك ولا سيما وأن زوجته كانت تنتظر مولودا وهو لا يريد لابنه أن يصبح عبدا مثله . ولهذا يجمع العبيد من حوله ويحرضهم على الهرب الى الادغال حيث الحرية فى خطاب مؤثر :

لماذا نرضى ان نكون عبيدا لهؤلاء البيض ؟ هل هزمونا »

بشرف فى اى معركة ؟ هل اصبحنا اسرى لهم بمقتضى القوانين الحربية ؟ كلا ، لقد اشترونا ويبيعوننا مثل القرود والماشية ، وهم ليسوا سوى مجموعة من الافاقين طردوا من بلادهم بسبب سفالتهم . وهل ندع مثل هؤلاء الناس يضربوننا بالسياط ويلهبون ظهورنا كما يحلو لهم ؟ ويقودهم بنسائهم واطفالهم الى الغابات ، ويلحق بهم الجنود فى ظرف يومين وتنشب معركة ويستسلم الامير بعد ان يعده الحاكم بأن يسمح له ولزوجته وابنه بالرحيل الى كورمانتين . ويصدق الامير وعود الرجل الابيض ويرجع مع الجنود ، ولكن بدلا من البر بوعده وبدلا من عتقه ، يجلده الحاكم علنا ويزج به فى السجن . وينقذه من هذه المحنة التاجر الاسكتلندى تريفرى ، ولكن بعد ان افقده عذاب السجن صوابه فيقتل زوجته لينقذها من وصمة العبودية ويقتل هو الآخر شر قتله على يدى جنود الجيش المرابط .

ونرى فى هذه القصة ، وربما لاول مرة ، نوعا من التباين بين شخصية الرجل الفطرى النبيل وشخصية الرجل الابيض الشرير . فالرجل الفطرى كما تصوره الكاتبة رجل متكامل الشخصية ونزيه ، لم تفسده حياة المجتمع فى الشعوب المتحضرة .

وتعتبر اليزا هايوارد من الاديبات النشيطات ايضا ولكنها كانت تهتم فيما تكتبه بتاريخ فضائح عصرها . واشهر كتبها « تاريخ بيتى ثوتليس » اى تاريخ بيتى الطائشة ١٧٥١ . والكتاب الآخر هو «تاريخ جيريمى وجينى جيسامى» ١٧٥٣ وبالرغم من أن هذا النوع من الكتابة لم يكن له فائدة فنية او ادبية مباشرة الا انه مهد السبيل لظهور الواقعية فى القصة وجعلها تقترب رويدا رويدا من الحياة العامة للناس .

ويبدو ان الجمهور كان يقبل على هذا النوع من الكتابة ، وهذا دليل على ان ذوق الجمهور كان قد بدا يقترب من وقائع الحياة واصبحت الرواية بمعناها القديم لا تروق له .

ويعتبر دانيل ديفو (١٦٥٩ — ١٧٣١) العبقرى الانجليزى الذى طوع النثر لخدمة اغراض القصة ، ومن بعده اصبح تصور الحياة والملاحظة الدقيقة لما يجرى حول الكاتب العاملين الأساسين فى أى قصة . ولعله كان من محض الصدفة أن تمكن ديفو من احاطه مواقفه الخيالية بسياج من الواقعية والحقيقة

واضفاء مسحة من الصدق والامانة للواقع على قصته . وكان ديفو يحب المغامرة منذ صغره وشغل وظائف عدة منها التأليف والصحافة ، وعندما أفلس فى تجارة بيع الجوارب والملابس الداخلية استرد ثروته عن طريق التجارة فى الآجر . وأصبح فيما بعد عينا للدولة تستخدمه فى مهمات سرية كما شغل عدة وظائف أخرى منها تحرير الصحف والترجمة والاقتصاديات . والقصص التى يشتهر بها ظهرت فى حياته مؤخرا وكتبها أثناء فراغه ولم تكن همه الاول . ويعد ديفو بحق من العباقرة فقد خلق أنواعا كثيرة من الكتابة الصحفية ، وكان يتكلم خمس لغات ويقرأ السادسة ، وكان يصف نفسه بانه يحذق علوم الفلك والجغرافيا والتاريخ كما كان التراث الانسانى والحضارى يثير اهتمامه دائما كما كان فى عمله الصحفى ، سباقا الى مسرح الحوادث . وعندما كتب قصته المشهورة « روبنسون كروزو » كان سنه ٥٩ عاما وكان مشغولا بتحرير عدة صحف كما كان يساعد الحكومة فى مقاومة نشاط اليعاقبة . ويتميز ديفو بمقدرته الفائقة فى خلق التفاصيل وحشد الملابسات المقنعة من ظروف الحادثة مما جعل « روبنسون كروزو » حدثا هاما فى تاريخ القصة . وقصة « روبنسون كروزو » تعتمد على حادثة واقعية حقيقية لبحار اسمه اسكندر سيلكيرك قضى اربعة أعوام وحيدا على جزيرة جوان فيرناندز فى عام ١٧٠٤ حتى انقذه كابتن « وودز روجرز » فى عام ١٧٠٩ . والسبب فى أهمية الكتاب وشهرته هو ان القصة تمجد صراع انسان بمفرده على جزيرة مع قوى الطبيعة التى يمكن قهرها والسيطرة عليها والى أسلوب السرد التى تشتهر به القصة . وامتدت الاربع سنوات فى قصة ديفو الى ثلاثين عاما قضاها روبنسون كروزو على جزيرته ، وأصبحت القصة رمزا لانتصار القرن الثامن عشر على الطبيعة .

وفى خلال الثلاثين عاما يعيش كروزو عيشة رغدة وينجح كذلك فى ان يجعل خادمه فرايداى يعتنق المسيحية ، ويتغلب على سكان الجزيرة المتوحشين ويصبح سيدا عليهم . واستطاع ديفو ان يستغل كل لحظة من حياة كروزو ويشحنها بالدلالة . وازاء هذه البراعة لا يسعنا الا ان نصدق كل ما فى القصة لان ديفو لا يفوته أى شئ — من صنع منخل الى حلب العنزة ومن اعداد الطعام الى تحصين المنزل . ولم يحرم ديفو جمهوره من اى شيء ، هذا الجمهور الذى كان متعطشا للحقائق والذى كان يهمه جدا معرفة التفصيلات الدقيقة التى

تعطى للقصة جوا واقعيا حقيقيا . فقد كان كروزو نموذجا يمثل افراد الطبقة الوسطى التى كانت قد بدأت فى الظهور . وقد تمثلت صفات هذه الطبقة فى شخص كروزو ومن هذه الصفات كان حبهم للعمل وسعة الحيلة وقصور خيالهم ، فنحن نجد كروزو منهمكا فى أعماله اليومية بنوع من التفانى حتى انه لا يضيع وقته فى التغزل فى غروب الشمس ولا يتذوق جمال الطبيعة من حوله حتى ولو مرة واحدة خلال القصة كلها وانما ينظر الى الاشياء نظرة نفعية من ناحية فائدتهـا فقط فقد كان ، كأبناء عصره من الطبقة الوسطى ، رجلا عمليا الى أبعد الحدود . وقد كان المذهب النفعى هو المذهب السائد فى ذلك العصر مما حبب الى نفوس الشعب هذه الشخصية التى تتغلب على الفراغ والكسل بالعمل والانتاج ولا تميل الى التفكير والخيال وتعتبر النشاط والحركة أهم من التـأمل والاستبطان .

وهكذا تطلب ظهور جمهـور معين من القراء تغييرا فى موضوع القصة وقواعدها . وكان من جراء شـيوع هذه القصة ان اتبعها ديفو بكتاب آخر فى عام ١٧١٩ بمغامرات اخرى لروبنسون كروزو . وفيه يزور كروزو جزيرته مرة اخرى مع خادمه فرايداى ويهاجمه افراد القبيلة فى مجموعة من الزوارق وينجو كروزو بعد ان يفقد خادمه فى المعركة . وفى عام ١٧٢٠ نشر ديفو « كابتن سنجلتون » وهى قصـة صبى اختطفه الغجر وأصبح قرصانا يجوب الشـواطىء والبحار بحثا عن الغنائم . وكانت القصة واقعية حتى ليخيل الينا ان ديفو كان يكتب عن مغامرات بطله فى افريقيا وخريطتها فى يده .

وقصته « مول فلاندرز » تضيف الاهتمـام بالحب الى موضوعات قصصه السابقة ولكنها كانت بعيدة عن الواقعية كل البعد وبالرغم من أنها من نوع أدب الشطار او البكارسك الا ان بطلتها كثيرا ما تندم على الظروف التى دفعتها الى مثل هذه الحالة ، وبالرغم من سوابقها الاجرامية وانحرافها فان مول فلاندرز مخلوقة تشد القراء اليها اذ أنها كريمة وعاطفية ، ونحس احيانا أنها حقيقة فريســة للاقدار فهى تعثر على الازواج بسهولة وتتخلص من أولادهـا بسرعة عجيبة وتمر بتجارب كثيرة تكفى لكتابة عشرات القصص .

ولقد كان ديفو ممثـلا للطبقة الوسـطى ولكن آراءه

ومعتقداته الدينية لم تكن الدافع الاساسى لكتاباته ، وحرص فى كثير من الاحيان على ان يمزج الوعظ بكثير من الفكاهة والامتاع ، ولم يسمح للدرس الخلقى ان يطغى على القصة . وهكذا وجد أفراد الطبقة الوسطى والفقيرة أخيرا صورة صادقة لامالهم وافكارهم وظروفهم فى عمل أدبى ، ووجدوا فى القصة مشاركة وجدانية لآلامهم واهتماما بمصائرهم وحياتهم .

وقد كان لعقلية هذه الطبقة اثرها فى وقف نمو القصة فى القرن الثامن عشر وتعويقها عن التطور بسرعة ، بعد ان قطعت هذه المرحلة من تاريخها الطويل ، لان ضعف قدرتهم على التخيل حد من تطورها وكانوا على استعداد لتقبل اى نوع من النثر القصصى على شرط ان يقدم لهم فى صورة حقائق . وقد استغل ديفو هذا الميل الى أبعد حدوده وكانت هذه الحقائق تلهب خياله وكان أسلوبه النثرى البسيط ـ أسلوب الصحافة والدعاية ـ اهم وسيلة للتعبير فى كتبه . وهكذا بدأ النثر يثبت جذوره فى الارض ومن بعده استعمله كتاب القصة فى وصف حياة شخوص عادية ووعوا الدرس الذى لقنه اياهم ديفو .

ومن عيوب ديفو فى قصصه عدم قدرته على الاختيار وتصنيف مادته الغزيرة وترتيبها ، فقد كان يكدس الحوادث بعضها فوق بعض دون ان يحرص على الاطار العام للقصة كما لم يكن حريصا على تصيد تلك الظروف التى تبرز الازمات فى حياة الشخوص .

وتبع سويفت (١٦٦٧ ـ ١٧٤٥) ديفو فى كتابه القصة، ولكن الصفات التى جعلت من سويفت كاتبا عظيما كانت هى نفسها التى عاقته عن تطوير القصة . فقد كان شعوره حيال البشرية مملوءا بالحقد والكراهية والاحتقار ، ولهذا تهتك نسيج الحياة تحت تأثير سخريته اللاذعة . وقد أحس سويفت بالتسلط السياسى والعفن الخلقى وعدم الثقة وحب السيطرة والاستغلال احساسا عميقا لانه كان ذا شخصية حساسة فذة تهوى التوافق والانسجام والجمال والكمال . وتبلور هذا الشعور فى كتابه « رحلات الى عدة بلاد بعيدة فى العالم » أو ما يعرف برحلات جليفر . وفيها يظهر الانسان فى صورة حيوان بشع تجرد من انسانيته وآدميته اطلق عليه سويفت

اسم Yahoo وكانه يستجير من ظلم الانسان لاخيه الانسان .

ولم يدخل سويفت من الجديد على فن القصة الا القليل ولكنه اثبت مقدرة النثر على التهكم والاستهزاء ويظهر أثره واضحا فى دزرائيلى والدوس هكسلى وجورج أوروبل .

وهكذا وبانتهاء القرن السابع عشر أصبح للقصة كل العوامل التى تساعدها على النمو والازدهار ــ الواقعية ، التحليل النفسى ، جدية الغرض ، الاطار ، وأسلوب النثر الذى يمكنه ان يعبر عن الحالات والمواقف المختلفة . وكل هذه العناصر والوسائل والمواضيع كانت تنتظر الكاتب القصصى الذى يستطيع ان يؤلف بينها ويستفيد منها ليخلق لنا ما نعرفه اليوم بالقصة .

٢ ــ الازهار : القرن الثامن عشر

وهكذا وبعد محاولات عديدة وتجارب شتى بدات القصة تأخذ شكلا خاصا وتثبت جذورها وأصبحت تكون فرعا فريدا من فروع الادب المختلفة على يدى ثلاثة كتاب فى القرن الثامن عشر وهم صموئيل ريتشاردسون وهنرى فيلدنج وتوبياس سموليت . وقد ظهرت أعمالهم فى الفترة ما بين عام ١٧٤٠ (العام الذى نشرت فيه قصة ريتشاردسون « باميلا ») وعام ١٧٧١ (العام الذى توفى فيه سموليت) وترجع أهمية هؤلاء الكتاب الثلاثة الى ادراكهم لاهمية هذا النوع من الكتابة وهو ما اسماه فيلدنج بالملحمة الهزلية المنثورة . واخذت قصصهم طابع العصر الذى كتبت فيه واقبلت الطبقة الوسطى ــ التى كانت قد تعودت على نبذ المسرح منذ عصر المتطهرين حينما اغلقت المسارح من عام ١٦٤٢ الى عام ١٦٦٠ ــ على قراءة القصص التى كانت تعالج مشاكلهم . وبالاضافة الى ذلك فقد حرص ريتشاردسون وفيلدنج على ان يكتبا وفى ذهنهما غرض أخلاقى وميل الى الحكم على الشخوص على أساس خلقى بحت . ولفترة طويلة خضع التحليل النفسى للشخوص وخضعت الاعتبارات الجمالية لهذا الغرض الاساسى من كتابة القصة . وكما حدث من قبل ، تطورت القصة على أيدى رجال ونساء غير مرموقين فى الحقل الادبى ، فقد كان ريتشاردسون ، ذلك الرجل الخجول ، يحترف الطباعة . وولد فى « دربى شاير » فى عام ١٦٩٨ من أب يعمل نجارا وكان له طابع معين منذ الصغر

يؤهله لدراسة اللاهوت ولكن والده لم يكن قادرا على تعليمه. وترك المدرسة وسنه ستة عشر عاما وبدأ فى تثقيف نفسه بنفسه ويرجع الفضل فى ذلك الى رعاية رجل مجهول له ، وتوفى هذا الشخص والتحق ريتشاردسون بمطبعة ليعمل فيها بجد ونشاط ، وظهر ميله منذ الصغر الى التهذيب الخلقى والارشاد . فيقول عن نفسه :

« ولم ابلغ من العمر احد عشر عاما حينما كتبت تلقائيا الى ارملة تبلغ الخمسين كانت تدعى حماسها للدين بالرغم من حبها للمشاجرات عن طريق الوقيعة ونشر الفضائح بين اصدقائها ومعارفها . وقد اصطنعت اسلوب رجل كبير فى السن يحقرها ويعنفها ويعاتبها ويرشدها . »

ولكن السيدة اكتشفت سنه من خط يده واشتكته لامه التى نهرته .

ومنذ بلغ الثالثة عشر من عمره كان يجمع لا شعوريا مادة كتبه ، وأصبح صديقا لثلاث نساء يعملن بالحياكة ولا يعرفن بعضهن. وكن يثقن به ويعهدن اليه بكتابة خطاباتهن الغرامية وينشدن معونته وكل هذا لعلمهن بكتمانه السر واخلاصه . ومن خلال هذه الخطابات الغرامية تعلم ريتشاردسون الكثير فهو يقول انه حينما كانت احداهن تطلب منه أن يوبخ من تحب كانت لا ترضى احيانا عن بعض العبارات التى كانت تبدو قاسية فى حين أنها قد تكون هى الالفاظ المناسبة ، وهذا يعطينا فكرة عن قلوب النساء وكيف انهن يظهرون غير ما يخفين . وأصبحت لريتشاردسون من خبرته بقلب المرأة الذى يزخر بالمتناقضات حصيلة كبيرة كانت خير معين له عندما أخذ يحلل شخصياته النسائية فى قصتيه « باميلا » ، « كلاريسا » .

وتزوج ريتشاردسون ابنة صاحب المطبعة وورث المطبعة بعد وفاته ثم انتخب مديرا لشركة « ستيشنرى » وكان له شرف نشر مطبوعات مجلس العموم البريطانى وظل مجهول الشخصية حتى عام ١٧٤٠ عندما نشرت قصته « باميلا » . وقد نبتت فكرة القصة فى راسه عندما طلب منه تشارلز رفنجتون وجون أوزبودن كتابة مجموعة من « الرسائل النموذجية » فى مواضيع مختلفة تصلح لمن فاتهم

قطار التعليم لكى يقتبسوا منها ما يحلو لهم ـ رسائل غرامية ورسائل للتهنئة والتعزية والحب والزواج وخطابات تجارية من والى الدائنين . وكان مقررا ان يخصص منها جزءا لخطابات موجهة الى « تلك الفتيات الجميلات اللاتى ستضطرهن ظروف الحياة الى العمل وكيف يستطعن التغلب على الشباك التى قد تهدد فضائلهن » .

واذا كنا نجد مثل هذا النوع من النصائح للنساء والعاملات فى صحفنا اليومية ومجلاتنا الاسبوعية فى زمننا هذا ، ففى القرن الثامن عشر كانت هذه النصائح تظهر فى مطبوعات منفصلة لتحض على الفضيلة . ونجد فى تلك النصائح بعض الأمثال والحكم فمثلا كان لابد للزوجة من ان تخضع لسلطان زوجها وحكمه على تصرفاتها ، وكان لابد للاولاد من الطاعة العمياء لذويهم ولابد لهم من الحصول على اذن من الوالدين بالزواج .

وتعتبر « باميلا » أول قصة تعالج الشخوص . ومن خلال مجموعة من الرسائل تكتبها البطلة تبدأ القصة فى الظهور ومن خلال هذه الخطابات نعلم أن باميلا تعمل خادمة فى منزل سيدة ثرية ، وتموت السيدة ويقع ابنها ـ مستر ب ـ فى حب باميلا ويبدأ فى استغلال الموقف ويحاول التقرب اليها بطريقة غير شريفة . وتصده باميلا وتضطر أخيرا الى مغادرة المنزل ولكنه يتعقبها وتظهر باميلا عنادا شديدا للمحافظة على عذريتها فيرضخ السيد لعفافها ويوافق على الزواج منها . وفى الجزء الثانى للقصة وقد نشر فى عام ١٧٤١ تظهر باميلا كسيدة متزوجة تقاسى من خيانة زوجها لها مع نساء أخريات .

وتعتبر « باميلا » كخالقها محررة رسائل ممتازة ، فهى تقول : « لى رغبة ملحة فى الكتابة لدرجة اننى كلما خلوت الى نفسى لا أستطيع الجلوس الا والقلم فى يدى »

وفى خطابها الأول تخبر والديها بموت سيدتها وبطيبة سيدها الجديد . ويحذرها والداها من اغراء سيد المنزل .

وعندما نصل الى الخطاب السابع نجد أن السيد قد ظهر على حقيقته وان شكوك والديها قد تحققت . ويغريها السيد بكل الطرق ويدفعها عجزها عن حماية نفسها الى محاولة الانتحار بالقاء نفسها فى النهر . وأثناء فترة النقاهة

والاستجمام ،وعندما أصبحت عاجزة عن الاتصال بأهلها ، تبدأ فى كتابة مذكراتها التى تقع فى يد سيدها بعد ذلك . ويعجب سيدها بتقواها وحبها للفضيلة يستيقظ ضميره وتهتز مشاعره لهذا الطهر ويطلب يدها للزواج . ويبدأ قلبها يميل نحوه ويتغير أسلوبها فى رسائلها لأهلها فبعد ان كانت تعبر عن احساسها نحوه بمثل أقوالها « هذا البائس » او « هذا الوحش » أو « هذا المخلوق الكريه » نجدها تتحدث عنه قائلة : « سيدى الطيب العزيز » أو « المحسن الكريم » أو « حاميها القدير » .

وهكذا خلق ريتشاردسون شخصية مميزة بعيدة كل البعد عن الأنماط السابقة ، فباميلا تعتبر شخصية حية تجتذب القارىء اليها وتشده وخاصة من الجنس اللطيف .

وقصة ريتشاردسون الثانية تقع فى سبعة اجزاء وتعتبر أطول ماكتب من قصص، ففيها نحو خمسمائة خطاب وتحتوى على مليون كلمة تقريبا ، وكل اهتمامه فيها موجه نحو التحليل النفسى . وتتطور فكرتها ببطء شديد حتى انه قيل عنه « اذا كنت تقرأ ريتشاردسون من اجل القصة فانك لابد مستشنق نفسك » .

ولم يستطع احد أن يتحدى ريتشاردسون حتى ظهرت قصة فيلدنج « تونج جونز » عام ١٧٤٩ وكان بطلها محتال . والفرق بين ريتشاردسون وفيلدنج فرق شاسع من الناحية الذهنية والاجتماعية . فيقال ان سلالة فيلدنج ترجع الى عائلة هابسبرج وكان أبوه حفيد ايرك ديذموند . واذا كانت قصص ريتشاردسون تتميز بالتحليل النفسى للشخوص فان قصص فيلدنج تتميز بالحركة الخارجية السريعة .

ويقول كوليردج « اذا قرأت فيلدنج بعد ريتشاردسون فانك تكون كمن غادر حجرة مريض يدفئها الغاز الى روض شاسع فى يوم مشمس من أيام مايو »

وولد فيلدنج فى عام ١٧٠٧ وتعلم فى ايتون ومنها الى ليدين حيث درس القانون ، ومنعته ظروفه المالية من العمل كمحام ، كما منعت ريتشاردسون من دراسة اللاهوت . واتجه الى كتابة المسرحيات واستطاع أن يصل الى مركز شريك مدير المسرح الصغير فى هاى ماركيت • وأخيرا صدر من والبول رئيس الوزراء فى ذلك الوقت قانون يغلق أربعة

مسارح منها هذا المسرح لعرضها مسرحيات تنتقد سياسته . وهكذا فقد فيلدنج عمـله ورجع الى المحاماة مرة أخرى وترافع فى عدة قضايا بهمة ونشاط وقد وضع نصب عينيه دائما انتقاد الأخطاء واصلاح المفاسد .

وكان لهذه التجربة أثرها الكبير فى تعميق نظرته للحياة وتوسيع ادراكه للطبيعة البشرية وتقلبات الحظ .

وكانت أول قصة له عبارة عن محاكاة فى قالب هزلى لقصة « باميلا » وهى قصة « جوزيف أندروز » ونشرت فى عام ١٧٤٢ . وبطل القصة يعتبر أخا لباميلا واسمه يوحى بطهره وعفته « يوسف » وكما حدث لباميلا ، نجد جوزيف يدافع عن نفسه وشرفه من مراودة سيدته الأرملة واسمها ليدى بوبى (وكلمة بوبى تحمـــل فى اللغة الانجليزية معان كثيرة منها « الفخ » وتذكرنا بمستر ب فى باميلا) ويصبح جوزيف فريسة لهذه السيدة ولكنه يقاوم اغراءها فتطرده من منزلها . وسرعان ما ينسى فيلدنج الفرض الأساسى الذى من اجله بدأ القصة وهو التهكم على « باميلا » ، وتبدأ القصة فى اتخاذ الطابع الفكاهى المرح . وعلى قارعة الطريق يسلبه اللصوص ملابسه ونقوده ويتـــركونه عاريا جريحا ترتعد فرائصه من البرد والخوف . وأتاحت هـــذه الحادثة لفيلدنج الفرصة لكى يدرس تصرف جماعة من المسافرين فى عربة تمر به . وربما ظل جوزيف بائسا لولا مقابلته لراعى كنيسته « القسيس ابراهام ادمز » ويتحول اهتمام فيلدنج من جوزيف اندروز الى القسيس ادمز الذى يخفى رداؤه المتهدل انبل قلب فى الأدب . ويعتبر ادمز شخصا بارزا حتى فى عصر تخصص رسم الشخوص . ويشبه آدمز فى كثير من صفاته دون كيشوت وكان فيلدنج من المعجبين بسير فانتير . فنحن نجد فى شخصية آدمز خصالا حميدة مثل الطيبة والكرم والعلم الغزير والتقوى ، وكل هذه الخصال تمتزج ببساطة وبنوع من الســذاجة المحببة الى النفس فى شخصية رجل لا يضمر شرا لأحد ويعتبر الناس جميعا وكأن قلوبهم كقلبه فى نقاء الذهب ، رجل لا يمس أحدا بأذى ويهب للدفاع عن حقوق الضعفاء حتى ولو لم تواته الظروف ولم تسمح له قوته البدنية بذلك . والقسيس آدمز رجل قد يغرينا بالضحك منه ولكننا لا نستطيع أن نتغلب عليه أو نهزمه .

واطراف القصة مفككة ولكنها تسير بسرعة من تعقيد الى تعقيد حتى تصل الى ذروتها . فتحاول ليدى بوبى ان أن تمنع زواج جوزيف من صديقته « فانى » بتراءى احتمال أن تكون « فانى » أخته ولكى يحل فيلدنج هذه العقدة يلجأ الى حيلة بارعة يقتبسها من الروايات القديمة ومن ارسطو فيتضح ان لجوزيف شامة مميزة على هيئة « فراولة » على كتفه تكفى لاثبات شخصيته فيعود الى والده الحقيقى . وفى نهاية القصة لا ينسى فيلدنج القسيس آدمز ويحظى الرجل الطيب بمعاش قدره مائة وثلاثون جنيها سنويا تقديرا لصبره وكفاحه من أجل اظهار الحق .

وفى « جوزيف اندروز » يحظى القارىء بعدد كبير من الشخوص والحوادث . ولهذا تنبض القصة بالحياة والحركة والمشاهد السريعة . وتمثل الشخوص فيها قطاعات مختلفة من المجتمع فنجد الاستقراطى الخليع والمحامى المخادع ورجال الاقطاع القساة وسيدات المجتمع الراقى وبنات الريف ـ كل هذا بصورة بارعة . ومن خلال المغامرات والمواقف العديدة يظهر لنا فيلدنج العيوب والنقائص والسخافات . وفى هذه القصة لا يحاول فيلدنج أن يقنع القارىء بصدق ما يقول أو صحة مادته وانما يعترف بجرأة أن قصته مصطنعة وان شخوصه خيالية . ولا نجد فى قصته تحليلا نفسيا للشخوص لان معظمهم من الصنف الانبساطى النزعة . ولكنه عوض هذا النقص بسرعة الحركة الخارجية .

اما قصاصنا الثالث سموليت فقد ولد فى عام ١٧٢١ من عائلة اسكتلندية عريقة ، ودرس الطب فى جلاسجو وكان يميل للمسرح ميلا شديدا حتى انه حضر الى لندن فى عام ١٧٣٧ وفى جيبه مسرحية ، ولكنها رفضت واضطر للعمل كجراح على السفينة كمبرلاند وكانت ترسو فى قرطاجنة . واستفاد سموليت من هذه التجربة فيما بعد ، كما كان للمناظر البشعة فى الجراحة قبل اكتشاف معرفة الكلوروفورم، ومناظر العنف فى السفن القديمة التى كانت تعتبر سجونا عائمة والأمراض المنتشرة بين بحارتها كالنقرس والجذام اكد الاثر فى نفسه . ولكنه استطاع ان يتغلب على مآسى الحياة بروح مرحة ساخرة . وعاد الى لندن فى عام ١٧٤٤ ليعمل كطبيب ولكن سرعان ما نفدت ثروته وثروة زوجته

من بذخه ، وعاد الى الادب والكتابة مرة أخرى فى عام ١٩٤٨، عندما نشر « رودريك راندوم » وهو فى العقد الثالث من عمره . والقصة تنتسب الى قصص البيكاريسك او أدب الشطار وتظهر فيها حيوية الشباب وخصوبة الخيال وسرعة الحكم على الأشياء . وهى سلسلة من المواقف لشخص لا يعتنق مذهبا فى الحياة . ويقودنا سموليت الى عالم يخلو من القيم والمبادىء ، عالم أساس العواطف فيه الحقد والكراهية والنميمة والقسوة وتحجر القلب ، عالم لا تعنى الصداقة والمحبة فيه شيئا .

وقد اهتم سموليت بأثر التشويه البدنى فى الشخوص وعالج كذلك الحالات النفسية التى تظهر اعوجاج الشخصية ، واهتم بكل ما هو سخيف وغير معقول فى الطبيعة والحياة . وفنه هو فن الكاريكاتير وبراعته واضحة فى اظهار العيوب بأن يسلط عليها ضوءا ساطعا . واهمية هذه القصة يرجع الى انها صورة صادقة مستوحاة من تجربته الذاتية عن البحرية البريطانية وبحارتها فى ذلك الوقت .

والشخوص التى يرسمها لنا من البحارة شخوص غير سوية ومخلوقات غريبة الخلقة فقد تميز اسلوب سموليت فى الكتابة بالمغالاة والمبالغة وليس بالوصف الدقيق الفوتوغرافى مثل ديفو . والقصة على وجه العموم تعطينا نموذجا لقصص البحار ونستطيع أن نعتبرها أول قصة من هذا النوع الذى أنجب لنا قصص كونراد وهيرمان ميلفيل فى القرن العشرين .

ويأتى فى نهاية قائمة كتبه « همفرى كلنكر » سنة ١٧٦٨ وانتهى من كتابة هذه القصة فى ايطاليا ، وهى على شكل خطابات يكتبها الشخوص المسافرون لأصدقائهم . وهو لا يستعمل هذا الأسلوب الرسائلى لكى يملك شعور شخوصه مثل ريتشاردسون ولكن لكى يظهر لنا السخف فى اختلاف وجهات النظر من خلال وصف التجربة الواحدة او المنظر الواحد من وجهات نظر مختلفة ومن خلال احكام متضاربة .

وقد ارجأنا الكتابة عن لورنس ستيرن ١٧١٣ — ١٧٦٨ لشذوذ مكانته فى تاريخ تطور القصة . فعندما وضع

فيلدنج تعريف القصة « كملحمة نثرية » تظهر حيويتها فى سرد الحوادث وترتبط الواحدة بالاخرى ارتباطا عضـــويا منطقيا ، لم يكن يدرى أن لورنس سيترن سيخرج عن هذا التقليد ويكتب قصة تخلو من الحبكة وتتشعب الى آلاف الأجزاء .

فقصة لورنس ستيرن وعنوانها «تريسترام شاندى» (١٧٥٩ ــ ١٧٧٦) قصة غريبة شاذة تخرق جميع قواعد القصة حتى قواعد اللغة والاسلوب والترقيم ويعمد فيهـا لورنس الى نبذ الحبكة والحكاية معا . فلا شىء يحدث فى القصة وبطلها لا يولد الا فى نصــفها تقريبـــا وتقع فى ٩ مجلدات .

وتريسترام شـــاندى قصة بدون حركة ولا تتبع الا نظاما واحدا ألا وهو مزاج مؤلفها الشخصى الشاذ وتوارد الخواطر الجزافى دون تنسيق .

وفى عصر كان يقدر العقل والمنطق والذوق السليم كان لورنس الوحيد الذى يقدر التخيل .

ولهذه القصة اهميتها فى الأدب الانجليزى لأنها تعطينا فكرة عن مرونة القصة وصلاحيتها للتشــكل . فقد أثبت لورنس ستيرن ان الأفكار فى استـــطاعتها أن تحل محل الحوادث فى القصــــة وأن التلاعب بالألفاظ وتحريكها من الممكن ان يعوضـــنا عن الحركة فى السرد ، وأنه من الممكن لشخصين مسنين لديهما حب غريزى للكلام أن يســحرا القارىء بقوة تعادل افتتانه بابطال وبطلات القصص العادية .

وقد ولد ستيرن فى كلونميل بايرلنده فى ١٧١٣ وكان والده ملازما فى الجيش وتعلم ستيرن فى هاليفاكس ومنها الى كمبردج وأصبح قسيسا فى عام ١٨٣٨ . وفى عام ١٧٥٩ بدأ كتابة « تريسترام شاندى » وانتهى منها قبل موته بعام واحد .

وقد اطلق على لورنس ستيرن أحيانا لقب « العبقرى اللص » لأنه عنـــدما بيعت محتويات مكتبته فى عام ١٧٦٨ وجد أنها تحتوى على تشكيلة غريبة من الكتب استـــطاع ستيرن أن يســلب ما تحتويه من معلومات غريبة فى الدين والفلسفة والأدب واللغات ليستعملها فى قصته الفريدة .

وبجوار هذه المجموعة من الكتب كان هنـــاك « تشريح الميلانخوليا » لبيرتون واعمال رابيليه و « دون كيشوت » لسير فانتير

ولم يكتف لورنس باستعارة الافكار من هذه الكتب بل كان ينشر بعض القطع منها فى اسلوبه الخاص أو ينقلها كما هى أو يقتبس بحرية ويعتبر الكل وكأنه ملك خاص له ، ويقال انه كان يجمع مادة قصـــته كما يجمع العطار او الصيدلى الأدوية ، ويســـكب محتويات زجاجة فى أخرى دون أن يشعر بحرج . وكانت نتيجة هذا الخليط والمزج اكسيرا ممتعا لدرجة أن أحد معاصريه وصفه بأنه « اكثر عبقرية واكثر امتاعا من قبيلة القصاصين عن بكرة ابيها »

واكثر المتعة فى هذه القصة تكمن فى عنصر المفاجأة وقد قال ستيرن مرة « أنه لو علم ان القارىء سيكون عنده فكرة عن الجملة التالية للجملة التى يقرؤها لأباد هذا الكتاب » . فبدلا من السرد المستمر للحوادث وبدلا من القصـــة التى تعالج حياة شخص فى ثلاثين عاما نجد ان معظم الحركة فى القصة تتركز فى صالة منزل شاندى حيث يحـاول البطل جاهدا ان يخرج الى الحياة من بطن أمه . فبطل القصـــة الحقيقى ، عندما تبدأ القصة ، هو الجنين وما فى القصـــة يدور حول شخصين مسنين ليس لهما هم فى الحياة ســـوى تجاذب أطراف الحديث . فمستر شاندى (والد البطل) تاجر ديوك رومى يمضى وقته مع أخيه « توبى » فى الحديث ويعتبر شاندى مثل دون كيشوت الا أن مغامراته مغامرات ذهنية يلمع فيها بمحاولاته فى أن يربك العقل والمنطق ، ويعتبر توبى مثل سانكو بانزا ، الرجل العامل الذى لا يثـــور بسرعة . والزوجة سيدة غبية تتمتع ببلادة ذهن فريدة فى نوعها .

وقد صب ستيرن فى محتوى كتابه اشياء كثيرة فقـد كتب عن أغرب المخترعات والمتناقضات والنكت والتـــأملات كما ترك صفحات بيضاء فى الكتاب واعتبـــرها فصولا من القصة وبعض الصـــفحات بها خطوط ، وكأنها لوحة من الرخام ، وصفحات سوداء واخـرى بيضاء مملوءة بالنقط والنجوم التى تســـتعمل فى الطباعة . ونجد احيانا قطعة باللاتينية ومعها فى الصفحة المقابلة ترجمتها للانجليزية ، كما نقابل اشياء أخرى تثير الغموض والاســـتفهام لأن بعض الاسطر فى الصفحات تدور حول نفسها كرموز المتصوفين

وقد نجد خمس جمل فى أحد الفصول بينما يتكون فصل آخر من جملة واحدة . وبعض الفصول قد ينتهى بنوع من الهذيان يظهر على شكل كثير من علامات النجوم .

والقصة بوجه عام تبين بوضوح رغبة القرن الثامن عشر فى المعرفة والعلم . وربما لم يحظ الكتاب بعطف النقد فى العصر الفكتورى ولكن قراء القصة فى القرن العشرين يدركون أهمية لورنس ستيرن وخاصة بعد قراءة جيمس جويس الايرلندى والذى تشبه قصته عوبلس الى حد كبير قصة ستيرن .

واذا كانت القصة قد عبرت أصدق تعبير عن الحالة الاجتماعية والفلسفية والاجتماعية فى القرن الثامن عشر فانها بدأت فى أواخر القرن الثامن عشر تثور على العقل والمنطق وتسير فى طريق لا شعورى نحو ما يعرف بقصص الفزع والرعب . ولم يستطع الانسان أن يواجه لفترة طويلة من الزمن ما يمليه عليه العقل والمنطق . وأول من مهد لهذا السبيل هو الفيلسوف الاسكتلندى دافيد هيوم ١٧١١ – ١٧٧٦ حين أعطى الرغبة والاحساس كل سلطان على الفكر والعقل والمنطق وتبعه روسو ١٧١٢ – ١٧٧٨ يدعون الى الغريزة والشعور والعودة الى فكرة الانسان الفطرى النبيل .

وقد وجدت الحركة الرومانتيكية أعظم تعبير عنها فى الشعر ، أما فى القصة فتظهر الرومانتيكية فى اهتمام كتاب القصة فى أواخر القرن الثامن عشر بموضوعات تثير الفزع والرعب والخوف وأهمها ما كان يدور حول الأطلال والقبور والأماكن المهجورة ، ويقابل هذه المدرسة فى الشعر ، شعراء القبور أو الجبانات .

وتظهر الرومانتيكية فى قصص الغموض والخيال بظهور « قلعة أوترانو » لهوراس والبول ، وقد نشرت فى عام ١٧٦٤ ، وبعدها فى عام ١٧٧٣ ظهرت مقالة بعنوان « المتعة المستمدة من بواعث الخوف » وأخرى بعنوان « بحث لأنواع الحزن الذى يجلب احساسات لذيذة » .

1. — On the pleasure derived from objects of terror.
2. — An Enquiry into those kinds of distress which excite agreeable sensations.

وكان « والبول » يؤمن بالواقعية التى كانت قد بدأت تفقد قيمتها الفنية وأراد أن يطور القصة ، وكان الرجوع الى حكايات وروايات العصور الوسطى يعتبر نكسة لا يقبلها تطور القصة . وتوصل والبول الى نوع من

الموائمة بين حكايات العصور الوسطى وسذاجة موضوعاتها وسعة خيالها وواقعية القصة فى القرن الثامن عشر . ولكى يعطى لقصته جوا غـريبا ادعى انها مخطوطا اثريا كتب فى نابولى فى عام ١٥٢٩ ووجـد فى مكتبة عائلة كاثوليكية فى شمال انجلترا . وبعد نجاح القصة كتب لها مقدمة ثانيـة واعترف فيها بتأليفه القصة وقال انها خليط من الرومانس القديمة والقصة الحديثة .

وقد سبق هوراس والبول فى هـذه الحيلة البارعة شاعرا آخر فى ذلك الوقت اسمه جيمس ماكفرسون الذى نشر فى عام ١٧٦٠ قطعا شعرية ادعى انها مترجمة لشاعر اسكتلندى عاش فى القرن الثـالث الميلادى واسـمه « اوسيان » . وما يهمنا فى هذه المرحلة هو ترحيب الادباء فى اوربا ، وخاصة فى فرنسا وايطاليا والمانيا ، بهذه الترجمة وخاصة عندما علم بها جوته . كما انها مهدت الى حد ما للحركة الرومانتيكية فى الأدب)

وتعتبر مسز آن رادكليف من أحسن كتاب قصص الفزع والرعب وكان معظم الشعراء الرومانتيكيين الصغار يعجبون بها وخاصة شيللى واستعار منها بيرون شخصية لارا وشخصية مانفريد . وكان اهتمامها بما هو غامض ومثير وخارق للطبيعة عظيما ولكنها كانت تحكم العقل فى انتاجها وكانت مثالية لدرجة أنها لم تستغل كل ما هو مثير ومرعب بل تخصصت فى التحليل النفسى للخوف وكل ما يرتبط بخوارق الطبيعة . كما انها برزت فى خلق الجو المنـاسب لقصصها وفى وصف روعة الطبيعة ورهبتها .

واحسن قصة لها هى « أسرار اودولفو » وظهرت فى عام ١٧٩٤ وتمتع هذا الكتاب بشهرة واسعة وتبعه عشرات من القصص التقليـدية . وتدور حوادث القصة فى القرن السادس عشر وتفقد « اميلى » بطلة القصة والدتها وتصبح تحت سيطرة عمتها القاسية مدام تشيرونه وتقع اميلى فى غـرام فالانكورت وهو شاب من أسرة عريقة ولـكنه ليس غنيا . ولكن العمة التى تزوجت رجلا ايطاليا شريرا ترحل باميلى الى قلعة اودلفو فى جبـال الابنين ، فى القلعة وعن طريق الحوائط المنزلقة والأبواب السرية والسراديب والأنفاق الخفية والاصوات المزعجة ، تحدث حوادث غريبة تقشعر لها الابدان وتهرب اميلى وتقابل فالانكورت مرة ثانية وبعد

مشاحنات عديدة تتزوجه ويظهر أن زوج عمتها لص ويزج به فى السجن .

وهكذا وفى أواخر القرن الثامن عشر ، وبفضل دقة الشعور والاحساس عند ريتشاردسون ، وبفضل عبقرية فيلدنج وغزارة مادته ، وبفضل سخرية سموليت وقوة ملاحظاته ، مهدت هذه المحاولات لاعداد القالب الذى استمرت القصة تصب فيه لمدة مائة عام . ولكن بالرغم من هذه المحاولات كانت دراسة النفس البشرية سطحية بعد ريتشاردسون ولم يهتم فيلدنج أو سموليت بمعرفة الدافع النفسى وراء الشدود فى الطباع البشرية وغرابة أطوارها . وظلت الشخوص ، وخاصة النسائية منها ، كالأشباح فى القصص من بعدهم حتى بدأت شارلوت واميلى برونتى فى الكتابة فى القرن التاسع عشر .

ويمكننا القول بأن قصاصى القرن الثامن عشر كانوا سلوكيين فى علم النفس ونفعيين فى فلسفتهم ومهما يكن من أمرهم فقد تمكنوا من خلق الشخوص ولو لم تكن كاملة وظلت مرتبطة بالفكرة الشائعة فى العصور الوسطى والقرن السابع عشر ولم تخرج عن كونها تقليداً للأمزجة الأربعة. الرومانتيكية فى القصة .

والقصة الانجليزية تدين بالكثير لسير والتر سكوت (١٧٧١ – ١٨٣٢) فقد كانت عبقريته هى المادة التى حولت العناصر المفزعة فى قصص الخوف والغموض الى شىء جديد ، وكان احساسه العميق بالماضى وبالتاريخ هو القوة الخلاقة فى قصصه . واذا كان فيلدنج وريتشاردسون وسموليت قد عكسوا الحياة والطبيعة فى قصصهم بحيث أصبح أدبهم المرآة للقرن الثامن عشرفقد أدار سير والترسكوت هذه المرآه نحو العصور الوسطى ونحو الماضى البعيد البعيد الذى لم يعرف عنه معاصروه شيئا . فقد اقتبس وحولها الى أدب قصصى ، وهكذا خلق من العظام الجافة سكوت لاحياء القصة التاريخية ولكنها لم تكن بنفس القوة. شيئا حيا ينبض بالحركة والجمال . وأخذ كالساحر القدير يمشى بين القبور وحطام الحضارات القديمة فى الماضى يوقظ شباحها ويعيدها للحياة . وقد كان هناك محاولات قبل سكوت الأسماء والتواريخ من كتاب بسيط فى التاريخ ولكن بعد سكوت أصبح هم كل أديب هو اكتشاف جذور

جديدة فى باطن الأرض من الأزمان الماضية ليعطيها قوة ونضارة وحيوية .

وربما كان لدينا الآن كتب تاريخية ، أعمق بكثير مما كتبه سكوت ولكن يجب ألا ننسى ان سكوت كان اديبا قبل ان يكون مؤرخا . وقد حاد سكوت عن التتابع الزمنى للاحداث احيانا واختلق مواقف جديدة وأعطى لنفسه الحرية فى خلق ثياب شخصياته وتطوير وتغيير عاداتهم واذواقهم — ولكن ، بالرغم من كل هذا فقد احيى التاريخ وكانت محاولته رائعة . فقد وجد التاريخ كمجموعة من الصور فى فانوس سحرى باشخاصه وحوادثه واضفى عليها روح الاستمرار والحركة من عنده . ولهذا يمكننا القول بان نظرته للتاريخ كانت نظرة اليزابيثية رومانتيكية . وليست نظرة علمية دقيقة واقعية . وكان سكوت يعتبر الحوادث الجسام نتيجة وتعبيرا عن مصير الانسان وحظه من الخير والشر وليست تسجيلا للحوادث التاريخية .

فقد كانت شخوصه تعرف أدوارها ، مجبرين على القيام بها . وقد صور سكوت تصرفات شخوصه ولكنه لم يتعمق فى دراسة الدوافع والاسباب النفسية ولم يحاول أن ينفذ الى اعماقها (*)

وهكذا يختلف اسلوبه فى تصوير الشخصيات عن كاتب القصص التاريخى الحديث . واذا كان سكوت قد حاول ان يزين الماضى فربما لانه كان يريد ان يعطى معاصريه الفكرة بأن الحاضر يحاول عبثا ان يحطم قيم الماضى ، فقد كان سكوت يحب روح العصور الوسطى التى كانت تجمع الناس حول نوع من الأخوة التى تظهر فى شخص المسيح عليه السلام . وربما كان يرى فى عصره عصرا تسوده روح المنافسة والفردية وحب السيطرة ، عصرا يهتم بجمع المال وبتبع فلسفة عدم التدخل او اطلاق اليد Laissez-faire

عصرا تسوده روح عدم الاكتراث والأثرة وحب النفس وعندما اتصل بالماضى واحياه فى قصصه كان يحاول ان ينعم بدفء ناره قبل أن تصبح رمادا .

وكان سكوت رجلا محافظا يحب التقاليد والعادات القديمة وكان واعيا للدور الذى تلعبه الطبقة الفقيرة المتواضعة فى التاريخ ولم يقلل من قيمة دورها . وقد تمتع سكوت بالشهرة حتى بعد موته بمائة عام ولكن طريقته أصبحت غير

مقبولة فى عصرنا وغلبت نواحى الضعف فى قصصه على ما حققه من حسنات ، فنحن نجد بطلاته الآن كالملائكة وحواره طويل ومملا وابطاله كثيرى العدد . ومن حسناته مقدرته الفائقة فى تصوير جمال الحركة والعمل البطولى وخاصة فى المعارك وغزارة معلوماته التاريخية . وبالرغم من عدم اهتمامه بالتحليل الدقيق للعاطفة فقد كان يهتم بقوة العاطفة بوجه عام . ومسرح قصصه مزدحم بالشخوص العديدة ويعتبر رسمه للشخوص الثانوية رائعا ولهذا يعتبر فى الادب الانجليزى كاتبا ديموقراطيا .

وقد اعطانا العصر الذى نشأ فيه سكوت كاتبة قصصية ممتازة ولكنها على النقيض من سكوت لم تكن رومانتيكية النزعة . وبجوار لوحات سكوت الزيتية المليئة بالحركة والالوان ، تظهر قصص جين اوستن (١٧٧٥ — ١٨١٧) وكأنها صور مصغرة منقوشة على العاج . فقد كانت جين اوستن تعلم جيدا ما تريد ، وتدرك حدود امكانياتها ولهذا وصلت الى الكمال فى ميدانها ولم تخطىء فى حكمها على الشخوص ولم تترك خيوطا معلقة فى قصصها ولم تضف الى صورها الوانا زاهية او زائدة ، ولم تترك اثرا فى سردها للاهمال او لعوامل الصدفة او التخمين فى التركيب او الحبكة فنحن نجد انه من الصعب علينا ان نعيد قول ما كتبت فى قالب هزلى .

وقد وضعت جين اوستن نفسها فى عزله عن الحركات السياسية والاجتماعية التى كانت تشغل بال اوربا فى ذلك الوقت . فقد تجد جنديا فى قصصها ولكنها لا تهتم الا بأثر بدلته العسكرية الجميلة فى نفوس السيدات الصغيرات ، واذا ذكرت بحارا فى قصة اخرى فلكى تتكلم عن ضعف مرتبه وعن الصعاب التى تلاقيها زوجته . وتجنبت آثاره الثورة الصناعية فى انجترا وعاشت فى الريف بعيدا عن المدن وصخبها ، واذا سافرت احد بطلاتها فان رحلتها لا تتعدى تغيير جو المنزل الريفى آخر قريب . وتجنبت ايضا الالم الرومانتيكى الذى عاناه شعراء هذه الفترة فقليل جدا من شخوصها النسائية تأثرن بالشعر الرومانتيكى او قران روايات الفزع والرعب والغموض التى تحدثنا عنها . وفى عالمها الذى صورته وعاشت فيه لا نجد أثرا للفقر المدقع ولا الثراء الفاحش . وقصصها تدور حول ثلاث او أربع عائلات يعيشن فى انسجام تام تدور

معاملاتهم فى دائرة اجتماعية ضيقة تحكمها العادات الطيبة والمنطق السليم .

وفى هذه الدائرة الضيقة لم تكن هناك حوادث تثير الزوابع او تعكس صفو هذا الهدوء او تجعل ماء هذه البحيرة الصافى يضطرب بالاحداث الهائلة . وكان أهم ما يشغل بالها هو الزيارات من آن لآخر ، والقيل والقال ، والافراح والشراء من الاسواق أو التحدث عن العائلات الجديدة . وكان أهم واخطر حدث يمكن ان يحدث هو « حفلة رقص » وافظع شيء هو فرار رجل مع آنسه .

ومن ناحية أسلوبها فهى لا تضيع وقتها فى الوصف بل تندفع قوتها نحو هدفها وهو الكشف عن شخصياتها من خلال الحوار . وبطلاتها بالرغم من اخطائهن وغلطاتهن يعتبرن « سيدات » . وشهرة جين أوستن الادبية واسعة ويعتبر الوصف غير المباشر للشخوص معقلها فى الادب الانجليزى والانماط العديدة التى تضمها تظهر لنا فى شكل طبيعى وبدون تكلف من خلال الحوار ، وكثيرا ما تفصح تفصح عن انفسها بعبارة واحدة . ويعتبر اسلوبها اسلوبا فنيا عاليا فيه سخرية فيلدنج اللاذعة وحبكات قصصها توحى بعقلية فذة ولو انها غير رومانتيكية وتدور معظمها حول وصف الحياة وكأنها لعبة لكسب زوج أو اقتناص عريس مناسب .

الطريق الى المقبرة

توماس مان ترجمة : محمود ابراهيم الدسوقي

كان الطريق الى المقبرة يمتد دائما بجانب الطريق السلطانى ، دائما محاذيا له حتى يبلغ غايته وهى المقبرة . وعلى جانبه الآخر تقوم فى البداية منازل للناس ، وابنية جديدة للضاحية ، كان بعضها ما يزال ينشأ ، ثم تلى حقول . أما ما يتعلق بالطريق السلطانى الذى كانت تقوم على جناحيه اشجار زان معقدة مد الله فى عمرها ، فكان نصفه مبلطا والنصف الآخر غير مبلط لكن الطريق الى المقبرة كان منتشرا بالحصباء انتشار خفيفا ، وهو ما اكسب طبيعة المدق المريح . وبين الاثنين . الطريق السلطانى والطريق الى المقبرة قد امتد خندق ضيق جاف ملىء بالكلأ وازهار المرعى .

كان الاوان ربيعا يكاد يكون صيفا . فالدنيا تبتسم ، وسماء الله الزرقاء المستديرة ، الكثيفة قد اتخذت تعبيرا ترقشها قطع السحاب الصغيرة ، غريبا مضحكا . والطيور تسقسق بين فروع الزان وعلى الحقول تهب ريح معتدله . وكانت عربة تتسلل فوق الطريق السلطانى نحو المدينة ، قادمة من القرية التالية ، يدرج نصفها فوق الجانب المبلط والنصف الآخر فوق الجانب غير المبلط فى الشارع . والسائق تتدلى ساقاه على جانبى عريش العربة ، يصفر كانجس ما يكون الصفير . لكنه فى الجزء الخلفى من العربة وفى نهايته كان كلب صغير أصفر اللون يدير ظهره للسائق ، ونظره الى الطريق الذى جاء منه متجاوزا بوزه المدبب ، فى هيئة من الجد والتركز تجل عن الوصف . وكان كليبا لا يقارن به كليب ، يساوى ذهبا ويفرح القلب . على انه من الاسف ليس مما يدخل فى موضوعنا وفى ثم نصرف النظر عنه .

وكانت جماعة من الجند آتية من الثكنة القريبة تسير فى خوذها تغنى ، وعربة ثانية تتسلل نحو القرية التالية قادمة من المدينة سائقها نائم ، وليس عليها كلب صغير — الامر الذى جعل هذه الناقلة عديمة الاهمية تماما . وكان فتيان من الصناع يسيران فى الطريق احدهما احدب والآخر مارد ، حفاة الاقدام ، لانها كانا يحملان حذاءيهما على ظهريهما ، يصيحات بالسائق النائم منذرين ، ويتابعان المسير . وقد كان المرور هادئايتم بلاتعقيدات ولاحوادث.

اما فى الطريق الى المقبرة فلم يكن يسير سوى رجل واحد . كان يمشى متئدا ، مطرق الراس ، متوكئا على عصا سوداء . وكان يسمى بيبسام ، لوبجوت بيبسام لا غير . ونحن نورد اسمه قصدا لانه فيما يلى قد كان مسلكه غرابة فى العجب . كان يرتدى ملابس سوداء ، لانه كان فى طريقه الى قبور احبائه ، يحمل قبعة عالية خشنة ، منحولة ، وردنجوتا بيضته السنون وسراويل ساق قصيرة كانت اقصر وكذلك اضيق مما ينبغى ، وقفازين سوداوين مهروشين فى كل مكان وكانت رقبته ، وهى رقبة مديدة ، يابسة ذات حنجرة كبيرة العقدة ، تطل من بنيقة قلابة متهدبة عند حوافها المهروشة . لكنه حين كان الرجل يرفع راسه وهو ما كان يفعله احيانا ليرى كم يبعد عن المقبرة ، كنت ترى شيئا ، ترى وجها نادرا ــ بلا سؤال وجها لا ينسى بسهولة .

ولم يكن مظهر لوبجوت بيبسام مفرحا ، فلم يكن يناسب ذلك الصباح اللطيف ، ولا انسانا يريد أن يزور قبور احبائه لانه كان ممعنا فى الكدر . لكنه اذا امكن ان يطلع احد على باطنه فلابد أن يسلم بأن هناك لهذا الكدر اسبابا كافية . فقد كان على شيء من الضيق . كيف ؟ ــ من الصعب افهام اناس مرحين امثالكم مثل هذا ــ فهو تعس قليلا ، أليس كذلك ؟ اسبيئت معاملته بعض الشيء . واذا اردت ان تقول الحق . فلم يكن ما بالشيء القليل فحسب بل كان ايضا بدرجة كبيرة ، وكان من دون مغالاة رجلا منكوبا .

اولا كان يشرب الخمر . وسيأتى الكلام عن ذلك . ثم كان أرملا مهجورا من العالم بأسره ، فليس على الارض نفس تحبه وقد انتزعت منه زوجه لما انجبت له طفلا قبل وفاتها بستة اشهر ، وكان ثالث طفل . مات كما مات الآخران من قبله ، وقد مات احدهما بالدفتريا ولم يمت الآخر بشيء ، ولعله مات على وجه عام بعدم الكفاية . وكانه لم يكفه هذا اذ فقد على أثر ذلك وظيفته . طرد بصورة مهينة من عمله ومصدر رزقه . وكان لهذا صلة بتلك النزوة التى كانت أقوى من بيبسام .

ولقد قاومها من قبل واستطاع ذلك بعض الشيء وان كانت قد تغلبت عليه فى بعض الاوقات تماما . ولما حرم الزوج والولد ، وبات بلا معين ولا سند ، ووقف على الارض وحيدا ، تمكنت منه الرذيلة ،وقضى على مقاومته الى الروحية شيئا فشيئا . كان موظفا فى شركة من شركات التامين نساخا من نوع ارقى ، يتقاضى شهريا تسعين ماركا من ماركات الريخ نقدا . لكن اذان نفسه فى حالة لم يملك فيها رشده باهمالات شنيعه ، وفصل اخيرا بعد تعدد انذراه بوصفه انه لا يعتمد عليه دواما ، وليس شأننا ان نقص مثل هذه الاشياء على كل حال

مليئة بالعبرة ولكنها والآن يسير السيد بيبسام فى الطريق الى المقبرة ، ويدفع بعصاه الســوداء امامه ، تعبث الريح المعتدلة ايضا بانفه لكنها لا يحس لهـا مسا . وقد كان يسير رافعا حاجبيه عاليا يحملق فى الدنيا بنظرة جوفاء كئيبة ـ انسانا شقيا مقضيا عليه . وبغته ألم وراءه بصوت فانصت : حفيف رقيق يقترب من بعيد بسرعة زائدة ، فالتفت، وتوقف عن السير . وكان مصدر ذلك دراجة يصر اطارها على الارض المنتشرة بالحصباء قادمة باقصى سرعة ، لكنها لم تلبث ان هبطت سرعتها ، اذ كان بيبسام وقافا فى وســط الطريق وكان يعتلى الدراجة شاب سائح خلى البال وهو فى الحــق لـم يزعـم أو يطـالب اطلاقا بان يكون من عظماء هذه الارض ولا من ذواتها . فهو يسوق آلة وسطا فى الجودة من اى مصنع كان . دراجـة يبلغ ثمنها مائتى ريشمارك ، مخمنة على البديهة . وبها يجوب طرفا من الريف، قد خرجت جديدة من المدينة ، ذات بدالين لامعين ، الى طبيعة الله الطلقة ، مرحى ! وكان الفتى يرتدى قميصـا زاهى اللون ، وسترة رمادية فوقه ، وجيتر سبور ، الى اجرا كاسكيت فى الدنيـا ـ كاســكيت هى بـدع بين الكاسكيتات ، ذات مربعات بنية وزر فى أعلاها وكان تحتها شعر كالعهن المنقوش، تطل منه ناصية كثة شقراء تشرف على جبينه . وكانت عيناه زرقاوين براقتين فاقبل كانه الحيـاة ، ودق الجرس ، لكن بيبســام لم يتنح قيد انملة عن الطريق ، فظل واقفا يرعى الحياة بوجه جامد .

والقى عليه الفتى أو القت الحيــاة نظرة استياء ، وجاوزته متثاقلة ، فجعل بيبسام يسير الى الامام بالمثل . لكنه لما بات الفتى يتقدمه قال بيبسام متئدا، موكدا توكيدا شديدا :

«رقم تسعة آلاف وسبعماية وسبعة»

ثم زم شفتيه ، وخفض بصره راضيا ، بينما كان يحس نظـرة الفتى أو نظرة الحياة تستقر فوقه حائرة . وكان الفتى قد التفت وراءه وهو ممسك بمقعــده باحدى يديه ويسوق بالاخرى على مهل وساله الفتى : كيف ؟..

فاعاد بيبسام قوله : « رقم تسـعة آلاف وســبعماية وسبعة » لا شيء . سأبلغ عنك » .

فسأل الفتى : « ستبلغ عنى ؟ » .

واستدار بالدراجة وأبطأ فى سيره حتى اضطر ان يوازن بقضيب القيــادة فى شيء من الجهد .

فأجابه بيبسام وهو على بعد خمس أو ست خطوات منه : « بالتأكيد » .

فسأل الفتى وهو يترجل : «لماذا ؟ » وظل واقفا يترقب كثيرا .

ـ ذلك ما تعرفه أنت كل المعرفة

ـ أنا لا أعرف شيئا .

ـ لابد أنك تعرف .

قال الفتى : « قلت انى لا أعــرف

شيئا • ولا يهمني أيضا أن أعرف في كثير أو قليل • وتأهب بعد هذا لامتطاء دراجته ولم يدخل في جدل بتاتا •

قال بيبسام : سأشكوك لانك تسير هنا لا هناك في الطريق السلطاني • تسير في الطريق الى المقبرة •

قال الفتى وهو يضحك ضحكة تنطوي على الاستياء وقد عيل صبره : لكن يا سيدي العزيز • انك لترى هنا آثار الدراجات على امتداد الطريق كله • فهنا يسير الجميع •

فرد عليه بيبسام : « هذا سيان • سأشكوك •

فصاح به الفتى وهو يمتطي دراجته: « افعل ما تشاء ! » وقد علا الدراجة بالفعل لكنه يوازن نفسه فأخفق في امتطائها ثم عاد فطوح نفسه بساقه كرة أخرى ، واستقر فوق المقعد ، واعتدل في جلسته ليضمن من جديد سرعة توائم مزاجه . وتكلم بيبسام بصوت أعلى يرتعش : « اذا مضيت في سيرك هنا في الطريق الى المقبرة ،فثق كل الثقة انى سأشكوك • » لكن الفتى لن يأبه له ، ومضى يسوق دراجته بسرعة متزايدة •

لو أنكم رأيتم وجه لوبجوت بيبسام في هذه اللحظة لأجفلتم ولملئتم ذعرا ، فقد زم شفتيه زمة تحول منها خداه بله انفه المضطرم عن مواضعها كل التحول وحملقت عيناه تحت حاجبيه المرتفعين بصورة غيرطبيعية ، في الدراجة المنطلقة في تعبير ينم عن الجنون • وبغتة اندفع الى الامام فقطع المسافة القصيرة التي كانت تفصله عن الدراجة عدوا ، ثم جذب كيس المقعد وتشبث به بكلتايديه تشبثا شديدا ، وشفتاه في تلك الاثناء تبديان في زمهما مجهودا يفوق طاقة البشر • وجعل يجذب في صمت ونظرات متوحشة ، وبكل قواه ، تلك الدراجة ذات العجلتين ، المجاهدة في الاندفاع الى الامام ، المتأرجحة ذات اليمين وذات الشمال • ولا بد لمن رآه أن قد داخله الشك في هل تعمد الرجل عن سوء قصد أن يعوق الفتى عن المضي في طريقه أو كانت تستبد به الرغبة في أن يشد الى الدراجة ، ليقفز الى خلفها، ويعتليها مع سائقها ، ويسوقها بالمثل قليلا فوق بداليها اللامعين الى طبيعة الله الطلقة ، مرحي ! ولم تقو ذات العجلتين على دفع هذا الحمل اليائس طويلا ، فوقفت ، ومالت ، وانقلبت •

وهنا انقلب الفتى فظا وغلظ قلب الحياء ، فنهض واستعد بذراعه اليمنى لصدمة صدم بها السيد بيبسام في صدره ، فترنح منها الى الخلف خطوات، ثم قال بصوت متضخم فيه نبرة الوعيد: « انك سكران أيها الرجل ما في ذلك شك ! فاذا خطر لك أيها الانسان الغريب مرة أخرى أن تعوقني عن السير فسأحطم عظامك • فهل تريد أن تعلم ذلك ؟ » وأدار ظهره للسيد بيبسام وشد كاسكيته على رأسه واحكم وضعها

بحركة غاضبة ، ثم جعل يمتطى الدراجة دون أن يدخل فى جدل اطلاقا ، كلا · لكنه أخفق فى امتطاء الدراجة كما فعل فى المرة الاولى ، وعاد الى المحاولة مرة أخرى ، فاستقر فوق مقعده وتمكن من الآلة فى الحال · وشهد بيبسام ظهر الراكب يبتعد ويزداد فى ابتعاده سرعة ·

ووقف بيبسام هناك مبهور الانفاس محملقا فى أثر الفتى صنو الحياة ليراه لم يسقط عن دراجته ، ولم يقع له مصاب ، ولم ينفجر اطار ، ولم يقف فى طريقه حجر · وقد انطلق خفيفا · وهنا أخذ بيبسام يصرخ ويسب ، وكان يمكن أن يسمى هذا زمجرة زئيرا فهو لم يعد صوت انسان اطلاقا ·

كان يصرخ : « لن تمضى فى سيرك ! لن تفعل ذلك ! سر هناك بعيدا خارج طريق المقبرة ! أتسمع ؟ ستترجل ! ستترجل فى الحال ! أوه ، أوه ! سأشكوك ! سأبلغ عنك ! آه يا الهى لو وقعت ! لو أردت أن تقع أيها الوغد المغرور ، اذن لركلتك وضربت وجهك بحذائى أيها الشقى اللعين ··· » لم يشهد مثل هذا قط ! رجل سباب فى الطريق الى المقبرة ! رجل يزأر برأس منتفخ ، رجل يرقص من الشتم ولا يعرف أن يتمالك نفسه ·

واختفت الدراجة وتوارت عن الانظار ، فلم يعد يرى منها شىء · لكن بيبسام كان ما يزال هائجا مائجا فى نفس المكان ، وكان مايزال يصيح : «امسكوه ! انه يسوق دراجته فى الطريق الى المقبرة أليس كذلك أيها النذل ! أيها الولد الوقح ! أيها القرد اللعين ! ·· » وانتقل بيبسام الى عبارات لا يسعنا أن نعيدها ، وهو يرغى ويزبد ، ويقذف بصوت متفجر أوقح الشتائم · وكان هيابا بسمه يردد نكرا على الدوام · وجاء بضعة اطفال يحملون سلة وكلبا صغيرا قادمين من الطريق السلطانى الى هذا المكان ، متسلقين فوق الخندق ، فأحاطوا بالرجل الصارخ ، وجعلوا يتأملون وجهه مستطلعين · وتنبه كذلك بعض الناس ممن يعملون فى العمائر الجديدة أو كانوا قد بدأوا فترة استراحة الظهر ولما يكادوا ، فقطعوا الطريق من هناك الى حيث يتجمع الاطفال · لكن بيبسام كان ما يزال حانقا ، ماضيا فى حنقه ، تزداد حاله سوءا على الدوام · كان يهز قبضتيه صوب السماء ، أعمى مسعورا ، ويتجه بهما كل اتجاه ، ويرفس بقدميه ويدور حول نفسه ، ويحنى ركبتيه ثم ينفرد من الجهد الجهيد ليصرخ صراخا عاليا ··

لم يسترح لحظة فى السب ، ولم يتح لنفسه وقتا للتنفس ، وكان من دواعى الدهشة أن يواتيه كل هذا الكلام وقد تورم وجهه بصورة مخيفة ، وانزلقت قبعته العالية على قفاه ، وبرز قميصه الفوقانى المربوط حول وسطه ـ برزمن صدريته · وعند هذا كان قد وصل الى العموميات ، وتلفظ باشياء خارجة عن

الموضوع : توريات عن حياة الرذيلة التي عاشها واشارات الى الأديان أبداها في لهجة غير مناسبة الى حد كبير ، وخلطها بشتائم خلطا يدل على الانحلال

وتجمهر الناس الآن من حوله في جماعة كبيرة ، بعضهم يضحك ، وبعضهم يتأمله مقطب الجبين • وكان هناك مزيد من العمال أتوا من العمائر التي تبنى • ونزل سائق من مركبته الواقفة بالطريق السلطاني وعبر الخندق كما فعل غيره وسوطه في يده ، وهز بيبسام رجل من ذراعه ، لكن هذا لم يجد • ومدت جماعة من الجند كانت تمر من هناك رقابها ومضت نحوه وهي تضحك • ولم يستطع الكلب الصغير أن يتمالك نفسه أكثر مما فعل فثبت قدميه الاماميتين على الارض وجعل ينبحه في وجهه وقد ثني ذيله بين فخذيه •

وبغتة صرخ لوبجوت بيبسام مرة أخرى بكل قواه : انزل ! انزل في الحال أيها الرقيع الجاهل ! » ورسم بذراعه نصف دائرة وهوى الى الارض منهارا ، ورقد هناك مخروسا فجاءة وكأنه بين هؤلاء المتطلعين كومة سوداء • وطارت قبعته العالية المنحولة عن هذه الكتلة ، وقفزت عن الارض مرة ، ثم استقرت ببساطه •

وانحنى اثنان من البنائين على بيبسام وهو ملقى بلا حراك • وجعلا يتشاوران في أمره بلهجة العمال من الرجال – تلك اللهجة المستقيمة المعقولة • ولم يلبث أحدهما أن انطلق وتوارى عن الانظار بخطى سريعة • وجرب المتخلفون بضع تجارب أخرى مع فاقد الوعي • فرشه أحدهم في خابيته بالماء ، وصب آخر من زجاجة من العرق شيئا في يده المجوفة ودلك ساقيه به • لكن هذه الالوان من العناية لم تتوج بالنجاح • ومرت برهة على هذه الحال • ثم سمع صوت عجلات ، ووصلت عربة على الطريق السلطاني ، وكانت عربة اسعاف فوقفت على المكان وكان مشدودا اليها جوادان صغيران جميلان ، وعلى كل من جانبيها صليب أحمر هائل مرسوم • وترجل رجلان يرتديان بزة رسمية لائقة من مقعد السائق • وبينما كان احدهما يتوجه الجزء الخلفي من المركبة ليفتحه ويسحب السرير المتحرك قفز الآخر الى طريق المقبرة ، ونحى المستطلعين وجر السيد بيبسام بمعونة رجل من الشعب وارقده على السرير ، ودفع الى داخل المركبة كما يدفع بالرغيف الى فرن الخبيز • ثم أقفل الباب ثانية وتسلق لابسا البزة الى مقعد السائق ، وتم هذا كله بدقة عظيمة ، وببضع مسكات متمرسة ، بينا واضحا ، كما هي الحال في مسرح القرود •

ثم ذهبا لوبجوت بيبسام •

محمود ابراهيم الدسوقي

أنه يحبها

ثروت اباظة

وقف حسن عبد الفتاح أمام باب كلية الحقوق ينتظر وزملاؤه نتيجة الليسانس . لم يكن يحس باحد حوله . انفصل كيانه عن الجموع المتزاحمة فهو فرد فى نفسه وفى آماله وفى مخاوفه لا يحس الا هذا الوجيب الآخذ الذى يهز جسمه هزا ... انجاح فانطلاق الى الحياة بكل ما فى الحياة من حلاوة الكفاح فما كان يرى فى النجاح والانطلاق الى الحياة الا الحلاوه . ام سقوط فهو تلميذ سيظل . وهو حينئذ سيعود الى امه كسيف البال مخذولا يخاف من غضبها خوفا قد يطغى على حزنه من السقوط . ان تفكيره فى أمه يمازج تفكيره فى النتيجة فهو حينا يفكر فى المواد مادة مادة ويذكر كيف أجاب فى كل مادة منها وهو احيانا كثيرة يفكر فى أمه كيف قامت على شأنه بعد موت ابيه وكيف بذلت له من دمائها ومالها وجهدها حتى جعلته يصل الى نهاية المرحله العالية من التعليم .

لقد قامت بواجبها نحوه بل بذلت أكثر من واجبها فكم يمضه أن يقصر هو عن واجبه . كان ارضاء أمه أساسا تقوم عليه حياته جميعا فقد كان يرى نفسه نفحة من جهودها وقبسة من دمائها بل كان يرى نفسه املها الضخم الذى عاشت له وبه سنوات طويلة ثمينة شابة من حياتها .

وفى ظلال هذه المشاعر عاشت حياته جميعها ، احب . أحب بكل ما فى الحب من نبض جياش وبكل ما فى الشباب من اندفاع وقوة . احب زميلته فى الكلية الهام . ولكن امه عرفت بحبه وقالت لا . فاذا نبض الحب يصبح نبضا خائفا هالعا ان يغضب امه . واذا هو يبتعد عن حبيبته مذعورا ويعود الى طاعة أمه راضيا بها عن كل ما فى الحب الشاب من أحلام وآمال ورؤى .

وها هو ذا اليوم ينتظر نتيجة الليسانس . تلك الشهادة التى جاهدت امه فى سبيلها أكثر ما جاهد هو .. انه يريد الشهادة ليذهب الى امه ويعلن اليها أن جهودها قد كللها النجاح ... وينطلق الى الحياة ... كان فى البعيد البعيد من نفسه يخيل اليه أن هذه النتيجة التى ستعلن الآن ستحمل فى طواياها معنى آخر غير معنى النجاح ... انها ستحمل له قرار الافراج عنه من سيطرة امه ... شعور يخامره ولا تعلنه نفسه الى نفسه . كأنما كان يريد أن يقول لها فى غير الفاظ . لقد جاهدت لأحصل على الشهادة فهل يكفيك الشهادة مكافأة على جهادك . وكأنما كان ينتظر أن تقول امه فى غير الفاظ هى أيضا لقد صرت رجلا فافعل مابدا لك آمال

تهجس فى الخوافى البعيدة من نفسه وهو واقف بباب الكلية عينه لا ترتفع عن الباب الكبير ينتظر أن يخرج منه الموظف المختص ليعلق أسماء الناجحين على تلك اللوحة الماثلة بجوار الباب . التى قدر لها أن تحمل أغلى ما يطمح اليه جميع هؤلاء الواقفين فى لحظتهم تلك . هذه اللوحة الكالحة ستحدد مصير كل فرد منهم وعينا حسن عبد الفتاح شاخصة الى الباب الكبير والباب صامت لا يبين عن أحد .

واخيرا ظهر الموظف وبيده الأوراق. وبعد محاولات عسيرة وقعت عينا حسن على اسمه بين الناجحين . ولم يحس بنفسه الا وهو واقف أمام أمه يخبرها وعيناه تموجان بالدموع .. « لقد نجحت » .

وفرحت الام ... ولكنه لم يجد عندها ما كان يتوقعه من فرح كانت واثقة من نجاحه . كأنما كان نجاحه أمرا تصنعه بيديها فهى واثقة من نتيجته وقد اكد هذا المعنى فى نفسه انه وجدها قد اعدت له الوظيفة دون أن تسأله عن الاتجاه الذى يريد أن يشقيه فى الحياة...وخيل اليه انه قبل الوظيفة سيستطيع أن ينعم بحريته من ربقة امه فهو يقبل الوظيفة فى غير مناقشة ويصبح موظفا . ولا يمضى كثير وقت حتى تفاجاه أمه :

حسن .

ـ نعم يا نينا .

ـ لقد خطبت لك .

ـ ماذا ؟

ـ سناء بنت عمك على أبو العلا .

ـ تقصدين بنت صديقتك شريفة هانم .

ـ ما رأيك .

ـ أتسألين عن رأيى حقيقة .

ـ طبعا .

ـ اتسألين عن رأيى بعد أن تخطبى .

ـ أنت حر .

ـ أنا حر .

ـ طبعا .

ـ فانا لا أريدها .

ـ ماذا .

ـ أنا لا أريدها .

ـ لماذا .

ـ لانى لا أريدها .

ـ ولكنى أريدها . انه أنا الذى سيتزوج .

ـ وانا أمك .

ـ هذا شىء لا يمكن أن أنساه .

ـ ماذا تقصد .

ـ أقصد أنه لا فائدة ... فسواء عندك وافقت أم رفضت .

ـ تعنى أنك موافق .

ـ أمرك .

وما هى الا أيام حتى يتم كتب الكتاب وما هى الا أيام أخرى حتى يحل يوم الزواج . ويترك حسن البيت ويخرج الى الطريق . فى هذه المرة لم تكتف أمه أن تفرض سيطرتها عليه ولكنها فرضتها بقوة وعنف على فتاة لاتمت اليه بصلة . ما ذنب هذه الفتاة ... كيف يتزوج من فتاة لا تحبه ولا يحبها . أنها أمه ... ماذا يصنع ، وماذا صنع قبل اليوم حتى يصنع اليوم . انه هو ، هو لم يتغير ولم تتغير أمه . ويجول فى الطرقات يسلمه شارع الى شارع ورأسه تموج بالسخط والضيق بلا أمل على الاطلاق .

ويعود الى البيت فى الموعد المقدور . وتنطلق الزغاريد وتتعالى الموسيقى

وينظر الى وجه زوجته وتنظر الى وجهه وكأنما هما متفقان على المعانى التى تدور بنفس كل منهما ولكن ماذا يصنعان . كان يحس انها ايضا واقعة تحت سيطرة أبيها وامها كما يخضع هو لسيطرة امه . ان امه تستطيع ان تفعل به ما تشاء ... استطاعت أن ترغمه على اختيار كلية الحقوق واستطاعت ان ترغمه على المذاكرة بل واستطاعت فى قوة عاتية ان تحطم حبه الأول ولكن اتستطيع ان تنشىء حبا ؟ هل تستطيع امه ان تجعله يحب هذه الفتاة او تجعل هذه الفتاة تحبه . كيف ؟ لماذا لا يقول « لا .. لا » صارخة واضحة جهيرة لا لبس فيها ولا غموض ولا ابهام . لا .. ويترك امه ويعيش وحده حتى يجد هواه

نعم .. ان امه قد بذلت فى سبيله الجهد والخوف والعطف ولكن الا تبذل كل الامهات . وهل معنى هذا أن تنتهب حياته جميعا بل وتنتهب حياة فتاة اخرى لا ذنب لها الا ان امها صديقة امه ...

اليست كلمة لا ستنقذه وتنقذ هذه الفتاة المسكينة الجالسة أمامه .. ما ذنبها .. مسكينة انها حلوة ... جميلة غاية الجمال . . لعله كان يختارها اذا ترك وشأنه . انه يحب هذه العيون الحالمة المذعورة . ويحب هذا الشعر الاسود المنساب . ويحب هذه الابتسامة التى تجرها الى فمها جرا . ويحب هذا العود الواهن كأنه طيف ، الرقيق كأنه فكرة ، الشفاف كأنه حلم. هو يحب هذا جميعه ولكنه لا يحب سناء .وكيف له أن يحبها وهو لم يفكر فيها زوجة الا حين امرت امه ان يتزوجها . فاذا هى زوجته .

كلمة واحدة هى : « لا » يستطيع ان يقولها فى هدوء وفى حزم فينهى هذه المأساة التى تحيط بها الزغاريد وتتعالى لها الموسيقى الفرحة وتنطلق لها الأغانى وتدق الطبول ، « لا » حرفان يمنعان المأساة ان تتم فصولا . وليكن بعد ذلك ما يكون .

ورنا الى زوجته .. ترى أيرضيها هذا .. كم هو قاس ذلك المجتمع .. ان فعل ما يريد أن يفعل اصاب هذه الفتاة التى يشفق عليها بطعنة لا سبيل لها ان تنجو منها . ستتطاير الأقاويل وتتدافع الشائعات ... ان العروس لا تعجبه ... طعنة تصيب المرأة فى أعظم ما تزهى به ... ايهما أحسن عندها .. ان يخلصها من حياة لم يكن لها يد فى اختيارها ... أم ان تظل زوجته ولا يقول الناس عنها انها لم تعجب زوجها فرفض ان يتم الزواج . وأين كانت « لا » هذه قبل اليوم لماذا خضع حتى تم هذا جميعه ثم انتفض فجأة يريد ان يمحو ما كان ... وهل يمحى . كيف ؟ ... ما ذنب هذه المسكينة حتى ترمى الى هذا الموقف الضنك وما ذنبه هو ؟

والموسيقى تتعالى والزغاريد تنطلق والأغانى تصدح والشعور بالفرح يفيض على وجوه الجميع الا وجهين .. وجهه وقد تشنجت عليه ابتسامة ووجه العروس وقد جمدت على فمها ابتسامة مثل ابتسامته .

وانقضى الليل وتخافتت الموسيقى ووهنت الزغاريد وتشتت الجمع وخلا الزوج الى زوجته واقفلت من دونهما الحجرة . وكان بها كرسيان . وجلسا



وهوم الصمت حينا ... ثم طال هذا الحين. هو مطرق خزيان وهى مطرقة مذعورة . فى راسه دوامة من الافكار وفى راسها امواج من الحيرة .

وفجأة نظر اليها وهم ان يقول شيئا ثم أطرق . وهمت هى ان تقول شيئا دون أن ترفع راسها ولكنها ما لبثت ان عادت الى الصمت .

واحس بطول الصمت وصمم ان يقول شيئا ... أى شىء ورفع راسه وفتح فمه وفكر وفكر ... واخيرا قال دون ان يهتدى الى ما يجب قوله :

ـ آسف

ونظرت اليه فى غير دهشة وقالت دون تريث :

ـ وماذا تفيد آسف الان ؟

ـ وماذا كان يمكن ان افعل ؟

ـ ألست حرا

ـ وانت

ـ أنا ... انا على كل حال لست مثلك

ـ انني امام أمي ...

ولم يستطع ان يكمل جملته

ـ لماذا ... لماذا

ـ ليس لها غيرى .. وليس لى غيرها

ـ ولكنها حياتك

ـ المصيبة انها حياتك انت ايضا

ـ هل أمك قاسية الى هذا الحد ؟

ـ انها تظن انها رحيمة أكثر مما ينبغى

ـ الا تؤمن بحريتك فى الاختيار

ـ انها تؤمن بحريتى التامة مادمت لا أعصى أوامرها

ـ ولكنها حياتك

ـ هى لا تفصل كثيرا بين حياتى وحياتها

ـ وحياتى

ـ ستصبح حياتك هى حياتى وهكذا ترين انها جميعا حياتها هى

ـ وماذا سنفعل الآن ؟

ـ لقد تعودت منى الطاعة . . . ولا أظننى الآن أستطيع أن أتخلص من هذه العادة

ـ تعودت ان تطيع فى شأن نفسك أما فى شأنى أنا

ونظر اليها طويلا .. انها حلوة .. خيل اليه انه يحبها .. بل كاد يوقن أنه يحبها .. هى الفتاة التى طالما كان يرسم صورتها لهواه ..وهى مستكينة تشكو اليه الظلم الواقع عليها فى غير عنف ولاثورة ولكن فى حنان وفى دفء . ووجد نفسه يقول :

ـ أيغضبك أن تصبحى زوجتى ؟

ـ لعلى كنت أتوق الى هذا لو انك سألتنى وأنا لست زوجتك

ـ فلماذا لا تجربين وقد أصبحت زوجتى

ـ الا تعرف ؟

ـ نعم ... أعرف ...

ـ أتحبين غيرى ؟

ـ أبدا

ـ اذن

ـ أيرضيك أن أحس دائما أنك فرضت على فرضا ... أترضى لنفسك هذا

ـ لقد تعودت أن أرضى لنفسى ما لا أحب أن أرضى

ـ أيرضيك هذا لى ؟

— أعرف انني أحببتك

— احسست

— ألا يكفيك هذا الاحساس ؟

— وماذا عني أنا ؟

— فانت لا تحبينني

— وانت زوجي المفروض على ...

— جميلة هي الحرية

— اعرفتها ؟

— تمنيتها

— فلماذا لا تسعى اليها

— لم استطع فيما مضى

— فلا أمل لي اذن

— بل يخيل الي أن هناك وميضا من امل

— كيف ؟

— لن تكوني زوجتي

— وامك ؟

— اطعتها في كل ما يتصل لي ولكني لن اطيعها فيما يتصل بك

— اذن فانت تحبني حقا

— لقد ادركت هذا باحساسك .. اتعودت أن يكذبك احساسك ؟

— لا

— اذن

— اخشى أن يمنعك حبي عن تنفيذ ما تفكر فيه

— بل ان حبك هو الذي سيدفعني أن أنفذ ما افكر فيه

— سنرى

— متى تريدين أن يتم هذا

— متى تشاء

— لا أريد أن يمسك أحد بسوء

— فمتى اذن ؟

— بعد عام

— أليس طويلا ؟

— متى تشائين

— نصف عام

— نصف عام

ونام على الأريكة ونامت على السرير وظلت الاريكة مكان نومه ستة اشهر .

ثم قال حسن لزوجته :

— اتدركين كم احبك ؟

— نعم

— وسيزداد يقينك اليوم

— اذن فانت تذكر

— نعم

— اذن

— فانت طالق . . . طالق لاني احبك .. نعم لاني احبك .. ولعلك بعد أن تصبحي حرة ... لعلك ترضين ..

— لا تكمل

— اهو الرفض اذن

— لا ... ولكن لا أريدك أن تطلقني بشرط

— لا ... وبغير شرط

— وأمك ؟

— ساطلقك

ولم تمض ساعات حتى كان المأذون يحرر ورقة الطلاق . وكانت ابتسامة فرح ترفرف على شفتي سناء وأخرى على شفتي حسن . وكانت الدموع تنهمر من عيني أمه ... لقد ادركت أنها فقدت سيطرتها عليه الى الأبد .

اتجاهات جديدة في الرواية الأوروبية

د. سهير القلماوى

(١)

لقد خاضت الرواية دون سائر الانواع الادبية معركة طويلة متعددة المراحل فى سبيل أن تكون نوعاً أدبيا رفيعا معترفا به · عاشت طويلا مرحلة شعبية بدائية ـ مرحلة الحدوتة ـ وتطورت أساطير وملاحم شعرية فى بعض الزمان والمكان ، ولكنها ظلت فى طورها الاول تعيش بين أفواه العامة وأسماعهم دون أن ترقى منزلة الى ما هو أعلى من ذلك فى سلم الادب الرفيع · ويوم بدأ المؤلفون يتجهون اليها فى عصر التجارة الزاهر الذى زحزح نفوذ الاقطاعيين والنبلاء بحكم ما زخرت به أخيلة الناس من مناظر وأحداث وعجائب فى الاسفار التجارية ظلت الرواية نوعا منبوذا من الفن الرفيع لا يتعاطاه المثقفون البرجوازيون وأوت أخبار الاسفار وعجائبها الفريدة الى كتب شبه علمية خاصة بها والى كتب شبه أدبية هى كتب الرحلات القديمة · وببزوغ فجر الصناعة أخذت جماهير القراء تتدفق الى دنيا الادب أو الفن عامة وساعدت المطبعة على نماء هذا الميل وتغذيته واذا حال جمهور الصناعة أو مزاجه يطلب الرواية دون سائر الانواع الادبية لاسباب واضحة · واذا الرواية فى معركة طويلة تنفض عن نفسها اللعنة الى أن دخلت باب الفن الرفيع ، بل انها أخذت تنتقم من التاريخ الذى حكم عليها باللعنة والنبذ زمانا فاذا هى تكاد تقهر الانواع الادبية كلها فى سوق القارئين ·

كان هذا شأن الرواية من حيث دخولها حرم الفن ولكنها منذ دخلت من أضيق الابواب ظلت تبرر نفسها بقيم خلقية وعظية حتى زمان قريب · وحياتها داخل نطاق الفن تمثل أطوارا طويلة متعددة تختلف من بلد الى بلد وتختلط بالرواية الشعبية عن قرب أو عن بعد ولكنها فى جملتها تمثل المراحل الآتية · المرحلة المفرطة كحبات العقد كل منها حبة ثمينة فى حد ذاتها وما على القاص الا أن يجمع حبات هذا

العقد فى خيط واحد واه هو ان هذه العجائب وتلك الغرائب كلها رآها انسان واحد أو حدثت لبطل واحد • ان كل حادثة وكل اعجوبة مشوقة فى حد ذاتها والقارىء يريد المزيد منها كما يريد النهم المزيد من الطعام • ان لذة الرواية فى هذا الطور كانت فى تتبع هذه الرحلة المتنقلة بين حبات العقد • وتأتى الرحلات وعلوم الجغرافيا وكتب العجائب والفلك والانواء وما شابهها لتغذى هذا النوع من الروايات فلم يكن لمؤلفيها أمام العطش المتزايد من الجمهور قدرة على أن يشبعوا ذلك عن طريق الرحلات الفعلية أو المعلومات المحدودة التى تصل اليهم من الناس • ثم جاء طور رواية البطل المحبوب الذى تحدث له جملة احداث قد لا تكون طريفة وانما السر فى اننا نتابع الرواية هو حبنا للبطل ورغبتنا الشديدة فى أن نراه يصل الى النهاية السعيدة رغم المخاطر أو حتى رغم الظروف العادية السيئة • لقد صورت الرواية فى آخر هذا الطور رحلة الحياة قريبة من التاريخ مشرفة على الواقع • وقليلا قليلا كان من الطبيعى أن تتطور الى رواية « النجاح » لان النجاح فى الحياة هو أهم جزء منها واذا الروائى يستبدل برحلة الحياة بتفاصيلها مجرد الجزء الخاص برحلة النجاح فى الحياة • وبدأ الصراع يدخل الرواية فالنجاح معناه تغلب على الصعاب وكلما ازدادت الصعاب خطرا كان النجاح أحلى وأوقع • ولكن رحلة النجاح تقرب من الواقع فى طورها الاخير فاذا الصعاب العادية تأخذ أبعادا غير عادية واذا النصر نفسه يتضاءل أمام قرب هذه الصعاب من يوميات القارىء وتجاربه • ولم يكن الامر بعد ذلك عسيرا • ان الانسان يصارع القدر ويصارع الناس ويصارع المجتمع ولكنه قبل هؤلاء جميعا تكمن فيه هو كبرى الصعاب فى حياته • واذا روايات النجاح تتحول فى يسر الى روايات الصراع مع النفس • وبشرت الرواية بعلم النفس ثم نشأ علم النفس علاجيا فى كنف الطب وهرعت علوم وعلوم تغذى الرواية الحديثة علم الطب والنفس والفلسفة والمذاهب والعقائد والاقتصاد بعد أن عمق التأثر بالتاريخ والجغرافيا وغيرها • واخذ علم النفس الوليد بالذات يقذف بنتائجه الى عالم الرواية ليؤثر تأثيرات جبارة • وكثرت فى هذه المرحلة

روايات العقل الباطنى فى سبيل تحليـــل دوافع السلوك الانسانى . وكانت رواية « المنولوج الداخلى » كما تسمى سيدة النوع فى هذه الفترة المعاصرة وكثر القاء الاشــعاع الزمنى على الماضى وعلى المستقبل الغامض . وخفت الحدث وبرزت الشخصية بروزا سرطانيا متورما .

ووقف الروائيون يسائلون أنفسهم فى العصر الحديث كلما سثموا اتجاها ما كل هذا ؟ هل هذا هو الفن . ان الفن لا يبغى أكثر من ايصـــال تجربة جديدة الى المتلقى تجربة لا يراد لها أن تضاف اضافة حسابية الى تجارب النـــاس السابقة ، فكتب المعلومات عامة مملوءة بمثل هــذه التجارب ونتائجها وهى حرية بأن تدفع بآلاف التجـــارب لمن يريد أن يزيد حصيلته منها فى أخصر لفظ واوضحة ، ولكن الفن يريد أن يضيف الى تجاربنـا بهذه التجربة الجديدة أعماقا جديدة لكل ما سبق لنا ان مارسنا من التجارب الفعلية أو المتصورة . ابعادا وأعماقا جديدة تأتى بهـا التجربة الفنية لم تخطر لنا على بال لأن الفن يخرق العادى والمنظم ويخترقه ليفتح لنا فيه كوة نطل منها على أعماق الحياة .

وبتقدم العلوم ازدادت الحاجة الى الفن وان ظن بعد الجاهلين غير ذلك . بتقدم العلوم أخذ الانسان يسال نفسه « فيم كل ذلك ؟ » . ماذا يكمن وراء أسرار هذا العلم وماذا وراء مكتشفاته من آفاق ؟ ماذا وراء رحلات الفضاء ولمـــاذا يريد الانسان أن يغزو عوالم أخرى ؟ نعم والى أى غاية ؟

وأمام هذه التساؤلات الضخمة انتشت الرواية بطاقة ضخمة . انها وحدها أوضح الانواع بل أوضح الفنون فى مخاطبة العقل . أوضح من الرسم ومن الموسيقى . بل أوضح من الشعر ولذلك كانت هى الاقدر على الرد الاوضح على هذه الاسئلة . ان الفنون كلها تر ردودا قد تكون أعمق أو أقوى أثرا ولكن الرواية تمتاز بأنها لا تستطيع الا أن تكون أوضح مهما أمعنت فى الغموض . انهـــا بذلك تصبح الفن أو النوع الادبى الاول الذى يحاول الرد على الاســئلة أو يحاول درس المشكلة . ولذلك سميت « فن المشاكل » عند

بعض النقاد المحدثين · انها تستطيع وحدها أن تعالج الابعاد المتعددة للمشكلة الواحدة ·



وهى الفن الذى يستطيع أن يسبر غور مشاكل النفس البشرية · مشاكل النفس مع الغير من أفراد الاسرة أو المجتمع أو الحياة عامة ومشاكل النفس مع النفس ذاتها · وبدل ان تصور الرواية الحديثة نمو الانسان من طفولة الى شباب الى رجولة ثم كهولة ، لتصور انتصار الحياة واكتمالها وبعض سرها الاكبر أو لتصور التغلب على الصعاب ما تكون فى رحلة النجاح ، أخذت الرواية تركز نفسها على المشاكل · مشاكل الطفولة والمراهقة خاصة مشاكل الطفل الذى لا يفهمه أبواه مشاكل الصبى وعينه تتفتح على الموت وحقيقته مشاكل المراهق وهو يحاول أن يكيف نفسه مع مجتمع زاخر بقيم زائفة · وبدل أن تسعى الرواية فى موضوع الحب لتوصلنا الى بر الزواج السعيد أخذت الرواية تبدأ بمشاكل التأقلم بين الزوجين المتحابين هذه الاقلمة التى تسعد النفس فتتكامل وتحيا رسالتها المقدسة او التى تمزق النفس فتشقيها وتبعثرها هباء منثورا · انها روايات البداية الصعبة لا النهاية السعيدة هى التى تسود فى عالم الرواية اليوم ·

ولكن العلم يتدخل لحل هذه المشاكل بطريقته · ن الطب النفسانى يعالج العقد النفسية والمشاكل الاقتصادية فى المجتمع يعالجها علم الاقتصاد ومبدعو النظريات السياسية ، والطب اليوم يكاد يقول الكلمة الفصل فى المشاكل الجنسية · وهكذا تعالج العلوم المختلفة تفصيلا وتجريبا هذه المشاكل وتتصدى بوسائلها الاقدر والاقوى لحلها · فماذا بقى للرواية ؟ هل لها ان تنافس العلم وتتقدمه لتخترع الحلول التى عجز عنها الى الآن ؟ من يدرى ؟ الم تبشر الرواية بأثر العقل الباطنى فى سلوك الانسان دون أن تعرف لفظ العقل الباطنى وقبل أن يفكر الطب فى محاولة تفسير السلوك المرضى عن طريقه ؟ ولكن الذى لا شك فيه ان الاسلوب التجريبى والمعمل العلمى يتحديان الرواية فى هذا الميدان · وليس من حق الرواية على نفسها أن تدخل هذا الميدان على انه ميدان نشاطها الاول · واذن مرة أخرى ماذا

بقى للرواية • بقى لها أن تجدد فى أبعـــاد المشكلة وأن تتخطى العـلم بخيالها الى حلول يمليهـــا الحدس ويفجرها التعمق فى ملاحظة السلوك ملاحظة فنية لحاجة يعجز عنهـا العالم الذى يفتقر الى حس الفنان • سلوك الانسان صاحب المشكلة هام فى المعمل من نواح عدة ولكنه فى الرواية هام من نواح أخرى ، وابعاد صفات هذا السلوك عند الفنـــان غيرها عند العالم • ان العالم يرى كل حركة فى مستوى سائر الحركات ويرصدها رصدا لعل فيها هى السر المفسر • ولكن الفنان يلتقط مفردة من هـذا السلوك ويعرف انهـــا السر ويتعمق هذه المفردة ويضيف اليها أبعادها الفنية لا الواقعية• انه مجهر من نوع خاص •

وجهود الروائيين فى أنحاء العالم تتضافر كما تتضافر جهود العلماء فى سبيل حل مشـــاكل الانسان • والرواية الجديدة لا بد أن تختلف عن القديمة ولكنها لا بد أن تتأثر بغيرها مما تقـــدم من جهود فى الميدان الرواية الجديدة • تستلم الخيط من الســـابقين لتسير فى آفاق أوسع وآماد أرحب واغوار أعمق مما سار فيه السابقون • وهنا نجد ان تلاقى الروائيين ضرورى كتلاقى العلماء • ولما كانت الرواية أســـهل فى الترجمة والين من سائر الانـــواع الادبية فان آثارها لا يمكن أن تحصر بين حدود جغرافية أو قيود اختلاف اللغة • الرواية فى كل بلد تتأثر بالرواية فى البلاد الاخرى• والقصة الشعبية كان التجار يحملونها مع بضائعهم ليجوبوا بها آفاق الارض فتتذوق فى كل مكان وتغذى القصة المحلية أيما غذاء • ولقد تشابكت رحلات التجار والمغامرين وتعددت بحيث أصبح أعسر العسير أن تعرف من أين جاءت هـــذه القصة الشعبية الى مكان بعينه واختلط الزمان والمكان فى تاريخ الرواية الشعبية بحكم طبيعة الرواية أو القصة • انها قابلة للسفر وعندها قابلية ضـــخمة لان تتأقلم • ولنأخذ فرنســـا مثلا انهـــا تأثرت بالرواية الانجليزية والامريكية والالمانية والاسبانية والايطالية والروسية وغيرها وغيرها آثارا واضحة لامجال للشك فيها • وأثرت هى بدورها فى روايات تلك اللغات • فرواية المنولوج الداخلى مثلا التى بشر بهـــا بروست الفرنسى كما بشر بها جيمس جويس الايرلندى تلين فى يد الروائيين الجدد فى فرنسا اليوم لتجارب جديدة • والغامض أو المخيف الذى نشره كافكا التشيكوسلوفاكى يخضع

لتجارب جديدة فى فرنسا وفى انجلترا وكلها تدين بشكل واضح لتجربة كافكا الفذة . والانتقال السريع ذهابا وايابا بين ماض وحاضر ومستقبل والانتقال الخاطف بين وجهات النظر المختلفة فى موضوع أو حتى موضوعات شتى دون ترتيب منطقى أو تبويب جاف مثلما تنتقل عدسة السينما فى سرعة من جانب الى جانب من جوانب الصورة أو غيرها مما يوجد ولا يرى فى مكان بعينه كل هذا الذى برع فيه « كونراد » الايرلندى من المناظر غير المرتبطة نراه يلين فى أيدى الروائيين المحدثين ويسيرون فى خطه الى آماد أبعد . والضغط على الحوار الثانوى أو الاعتراضى أو الهامشى الذى برع فى استعماله أول الامر بروست وجويس اكتسب فى أيدى الروائيين الجدد حيوية جديدة وتدفقا تلقائيا جارفا . وسارتر أديب فرنسا الاكبر الذى برع فى اغراق القارىء فى حاضر يشرأب الى مستقبل غامض غير واضح وغير معروف بينما هو مغمور غمرا فى « الآنية » العنيفة انما تعلم فنه هذا أول ما تعلم على همنجواى ودوس باسوس الامريكيين ثم برع وبرع حتى ساواهما أوفاق . وهذا الحوار الهامشى الذى تعج به الرواية صفحات وصفحات قد بلغ رشده عند فوكنر الامريكى وأصبح اليوم هو بدعة العصر الحديث فى فن الرواية فى كل أوروبا .

وأصبح روائيو الخمسينات من هذا القرن يغرقون فى هذا النوع من الحوار المتدفق التلقائى الذى يضحى فى سبيله بيسر بالحدث وبيسر نسبيا بالشخصية ذاتها . فالرواية لا حدث فيها ولا شخصية ، وانما هى حوار حى متدفق بين مجموعة من الناس عادة لا يبرز فيها أحد على غيره . والحديث يجرى ويجرى ولا يعنى الروائى حتى بأن يحدد لنا منذا الذى يتحدث . انه حديث حى كالذى يجرى بين الناس فى أى زمان وأى مكان . انه هو وحده الذى يبقى ويستمر وقد يموت الناس وحديث الجماعة فى الحى هو هو .



ولئن بالغ الروائيون الجدية أو « الواقعيون الجدد » كما يسمون فى استغلال هذا الحوار الهامشى المتدفق فان ذلك انما يكون فى سبيل تصوير بعد جديد من ابعاد الحياة الانسانية .

الزفاف

ماكسيم جوركي • ترجمة : مصطفى الرليس

في احـــدى المحطات الصغيرة بين روما وجنوا فتـــح الكمسارى باب الديوان وساعد رجلا مسنا بعين واحدة ٠٠ على الدخول فقال بعض الموجودين في صوت واحد وقد علت وجوههم ابتسامة « عجوز جدا ! » لكن الرجل استدار في خفة يشكر مساعديه في سرور وأدب بتلويح قبعته المتآكلة بيده المعروقة وجعل يتفحص المقـــاعد بعين ماكرة ثم سأل الجالسين « هل تسمحون لى ؟ » ٠

فقام بعض المســـافرين وجلس الرجل وهو يزفر من التعب وقـــد أراح يديه على ركبتيه وبرزت عظامهما وشفتاه تفتر عن بسمة هادئة ٠

سأله صديقى : « أمسافر الى جهة بعيدة ياجدى ؟ » ٠

فأجابه العجوز بسرعة : « كلا ، بعد ثلاث محطات من هنا ، فانى ذاهب لحضور زفاف حفيدى » ٠

ومرت بضع دقائق مع دقات العجـــل المنتظمة بينما العجوز يحكى لنـــا قصته يتأرجح من ناحية لأخرى كغصن محطم في يوم عاصف ٠

قال الرجل « انا ليجورى ، نحن الليجـــوريين قـــوم أقوياء ، خذونى مثلا فأنا عندى ثلاثة عشر ولدا وأربع بنات، ولا أعرف عدد أحفادى ، هذا هو الثانى منهم الذى يتزوج ، يا للروعة » ٠

وبنظرة ملؤها الفخر أخذ يراقب الموجـــودين بعينه الواحدة لا يستطيع اخفاء فرحته ثم انفجر ضاحكا ٠ وأضاف « انظروا كم أعطيت من الابناء لوطنى ، ثم كيف فقـــدت عينى !؟ آه ان ذلك حدث من زمن بعيد ، كنت يومئذ صبيا، ولـــكنى كنت أعاون والدى في حرث الارض وكانت الارض تحتنا حجرية قاسية تحتـــاج الى كثير من الحذر ، وعندما



تطايرت قطعة من الحجر من ضربة فأسه أصابت عيني اليمنى ، لا أتذكر مبلغ الالم الذى احسسته ولكنى أثناء تناولى طعام الغداء فى ذلك اليوم سقطت عينى • كان ذلك رهيبا ياسيدى فلصقوها لى ووضعوا عليها لزقةخبز دافئ •• ولكن دون جدوى •• فقد ضاعت عينى » •

ثم أخذ يحك خده الباهت فى شدة وما لبثت ابتسامته الهادئة تغمر وجهه الطيب ثم استأنف حديثه « ولم يكن الاطباء موجودين بالكثرة التى هم عليها الآن ، كان الجهل متفشيا بين الناس ، ولكن ربما كانوا أكثر طيبة » •

واستطرد العجوز وفى عينه لمحة ماكرة تدل على الانتصار بينما بدا وجهه وقد عمق الزمن تجاعيده ونتوءاته وهالة من الشعر الرمادى تحيط رأسه : « عندما يعمر انسان مثلى فان باستطاعته الحكم على الناس ، ألستم معى فى هذا؟»

ثم رفع اصبعه الملتوى فى جدية كأنما يقرع انسانا :

« دعنى ياسيدى أحكى لكم شيئا عن الناس ، كنت فى الثالثة عشرة من عمرى عندما مات والدى ، وكنت آنذاك أنحف مما أنا عليه الآن ، ولكنى كنت ولدا ممتلئا بالحيوية لا أعرف التعب ، عندما أزاول عملا ، ذلك كل ما ورثته عن أبى لأن المنزل وقطعة الارض الصغيرة قد بيعا لتغطية ديوننا • وهكذا عشت بعينى الواحدة ويدى الاثنتين أعمل فى أى مكان يتوفر فيه العمل ، ومرت الحياة قاسية ولكن الشباب لا يخشى المشقة ، أليس كذلك ؟ وعندما بلغت التاسعة عشرة قابلت الفتاة التى قدر لى أن أقع فى حبها ، كانت فقيرة مثلى ولكنها قوية البنية •• كانت أقوى منى تعيش مع أمها العجوز المريضة وتعمل مثلى فى أى مكان يصادفها ، لم تكن جميلة ولكنها طيبة تحمل فوق كتفيها رأسا صائب الفكر ، وصوتا عذبا أيضا ، يالله كيف كانت تغنى •• تماما كمغنية محترفة ، فالصوت الجميل يساوى الكثير وقد تعودت – أنا نفسى – أن أجيد الغناء !! وفى أحد الايام سألتها : « هل نتزوج ؟ » •

فاجابتنى فى حزن «سيصبح ذلك عملا جنونيا ياأعور، فان كلينا لا يملك شيئا كيف نعيش ؟ » •

فقلت « هذه ارادة الله أن نكون فقراء ولكن ما الذى يحتـــاجه شابان يجمعهما الحب ؟ » انكم أنفســـكم تعرفون ما يحتاجه العشاق الصغار ، لقد صممت وفزت بالجولة ٠

وردت ايدا أخيرا : « حسن ، من الجائز انك على حق اذا كانت السيدة العذراء تعيننا الآن وكل منا بعيد عن الآخر فكم يكون من الأيسر ان تعاوننا ونحن فى عيشة واحدة ٠

وعلى ذلك ذهبنا الى القسيس الذى قال : «هذا جنون! ألا يوجد العـــدد الكافى من امسولين فى ليجوريا أيهـــا التعساء ، انكم لعبة للشيطان قاوموا شره والا ستدفعون الكثير نظير ضعفكم » ٠٠

أخذ بعض الشبان يضحكون علينا والكبار يلوموننا ، لكن الشباب يصمم من مسلك الطريق الذى يختار ٠

وقرب يوم الزفاف ، ولم تكن فيه حالتنا المالية بأحسن من ذى قبل ، ولم نكن نعرف حتى أين نبيت ليلة زفافنا ٠

قالت ايدا : « دعنا نذهب الى الحقول ! لم لا ؟ فان السيدة العذراء تحنو على الناس أينما كانوا » ٠

وعلى ذلك قررنا أن نفترش الارض ونلتحف السماء ، وهنا تبدأ قصة أخرى ياسيدى أرجو أن تنتبهوا اليها لانهـا احسن قصص حياتى ٠٠ ففى صباح مبكر لليوم السابق على الزفاف همس فى أذنى سيد عجوز كنت أقوم بخدمته لانه لا يحب الكلام فى هذه الموضوعات البسيطة ، يجب أن تنظف حظيرة الاغنام القديمة وتفرشها ببعض القش النظيف ٠٠ انه جاف فمنذ أكثر من عام لا توجد بالحظيرة أغنام ، ولكنك اذا أردت وايدا المعيشة فيها فعليكما تنظيفها جيدا ٠ وبالفعـل أصبح ذلك مسكننا ٠٠

وبينما أنا مشـــغول فى تنظيف حظيرة الغنم ٠ أغنى أثناء عملى رأيت الحوذى « كوستانزيو » واقفـا الى جوار البوابة فقال : اذن ها هنا تعيشان أنت وايدا ؟ ولكن أين السرير ؟ ان عندى سريرا زيادة بالمنزل تعال وخذه عندما تنتهى من التنظيف ، وأثناء ذهابى اليه صاحت على « ماريا » صاحبة المحل ، سليطة اللسان : أتتزوجون أيها الاغبياء ، بلا ملاءة أو مخدة ، انك لمجنون ٠٠ يا أعور ، لكن ابعث لى بعروسك ٠٠٠

فصرخ يرد عليها « اتورفيانو » الاعرج ـ الذى طالما عذبته الحمى والروماتيزم وهو على عتبة دكانه : بل اسأليه كم زجاجة خمر أعدها للضيوف ! آه كم يصبح النـاس مخبولين ؟ وهنا انحدرت دمعة على خد العجوز المجعد ، وقد طوح برأسه الى الخلف وهو يبتسم بينما تفـاحة آدم فى رقبته تتحرك فى عصبيه ثم قال وقد هزه الضحك وأخذت يداه تتحركان فى فرحة كفرحة الاطفال ‥ «آه ياسيدى ‥ وفى صباح يوم الزفاف كان عندنا كل شىء يحتاجه بيتنا ‥ تمثال مريم ، اطباق ، ملابس ، أثاث ‥‥

كل شىء أقسم لك ! ضحكت أنا وايدا وبكينا ثم ضحك الجميع معنا ، لانه من غير المناسب البكاء يوم الزفاف ‥ انه ياسيدى لشىء بديع أن يستطيع المرء دعوة النـاس اليه ، وأجمل من ذلك أن تشعرهم انهم أعز أحبابك ‥ هؤلاء هم الناس الذين تهمهم حياتك ولا يقامرون بسعادتك ، ثم كيف كان الزفاف ؟ يا له من يوم ‥ حضر جمع كبير للاحتفال ‥ جاء كل منهم الى حظيرة الغنم التى أصبحت فى لحظة كقصر كبير ‥ لقد أصبح لدينا كل شىء ، خمر وفاكهة ، لحم ‥ وخبز ‥ وأخذ الجميع يأكلون ويمرحون ، ذلك يا سيدى لانه ليس هناك أعظم سعادة من فعل الخير للناس صدقنى انه ليس هناك أجمل ولا أبدع من ذلك ! وحضر القسيس ايضـا وخطب خطبة ممتازة قال هنا ‥ اثنـان عملا من أجلكم جميعا وقد بذلتم ما فى استطاعتكم كى تجعلوا هـذا اليوم أجمل أيام حياتهما ، وهذا ما ينبغى أن يكون لانهمـا بذلا الكثير فى خدمتكم والعمل أجل بكثير من الذهب والفضة، العمل دائما أهم بكثير من الاجر الذى تلقاه فى سبيله ! المال يذهب لكن العمل يبقى ‥ هؤلاء الناس فقراء لكنهم سعداء ان حياتهم شاقة ومع ذلك لا يشكون وسوف تظل معيشتهم قاسية ولكنهم لن يتضجروا يوما لانكم سـوف تساعدونهم وقت احتياجهم ‥ هـذا وقد مدحنى القسيس أنا وايدا كثيرا ، كما اثنى على كل الحاضرين » ‥

وأخيرا نظر الينا الرجل العجوز بعينه الواحدة التى عادت الى انكماشها مرة أخرى :

« وهكذا ياسيدى قصصت عليكم بعض الحكايات عن الناس ، انها كانت رائعة أليس كذلك ؟! » ‥

أنت قاس !

بقلم : جاذبية صدقى

... قالتها ، وصوتها يرتعش بل ينتفض متهدجا منفعلا مخضلا . لا فى نبراته وحسب ذلك البلل ، بل فى كيانه كله تستشعره حتى انك تكاد تلمسه بأنمله كأنه رقعة زرع أخضر سقاها بستانى .

— « قاس ، قاس .. أنت ! » .

... كررتها وهى تضرب الأرض بقدم صغيرة ثائرة . ثم ألقت وجهها بين كفيها كأنما ستغسله بدموعها . بكت وبكت بحرقة وبانكسار ، لا لانه قاس ، بل لأنه لم يهتز . وتلك قمة القسوة — ما بعدها ؟ لا يهتز ؟

فاندفعت فى فورة غضبها منه .. ومنها .. ومن الدنيا جمعاء تجذب حقيبة الثياب عن ظهر دولابها . وشعرت براحة والحقيبة تهوى بعنف على الارض لانها تخيلتها وقد هوت على نافوخه . فابتسمت . ثم من فورها عبست جزعة — نافوخه ؟ لا ، لا ! بعد .. بعد الشر عنه ! ثم من فورها عبست ثانية عبوسا أشد اكفهرارا من الاول . تمضغ شفتها مضغا تكاد تهرسها ، كأنما قررت أن تدع حبه المتغلغل هذا ينز من خلال الجراح التى تحدثها أسنانها الدقيقة الحادة الثائرة بتلك الشفة الناتئة الكسيرة . خير طريقة هذه — أجل ! خير طريقة أن تسيل دماؤها هى فيمتصها التراب وتتخلص منها ومنه ! فكأنما اللعين قد أذاب ذاته فى ذاتها وامتزج بخلاياها وصار بعضا منها — من كيانها ... من روحها .. من دمائها . كلا ، كلا — لا يكون ! ماهذا

الضعف ؟ ستزهق روحهـا هذه حتى يتـلاشى هو ، يذهب هو ! ستسيل دماءها حتى ينسل هو خارجا غصبا مع قطراتها المراقة !

هنا احتد لهيبها لا لانه قاس ولان دموعها لم تهزه بل شفقة على نفسها من خيالها الذى يصور لها دماءها مراقة .

ـ « يا لحيرتى ، يارب ! » .
بصوت مسموع قالتها .
هذا كله وظهرها له .

ثم فجأة تذكرت الحقيبة . وتذكرت أنها انما جذبتها عن ظهر الدولاب لتلم ثيابها وتخرج ـ تذهب عنـه بعيدا . طبعا ، خير طريقة هذه ! فابتسمت خلال دموعها ابتسامة ذابلة شاحبة ـ شعاعة صـفراء واهنة خـلال أمطار وسـحب وعواصـف . ومع ذلك تشبثت بها ـ بالابتسامة ، كأنما مشـاعر المرء تتبع حركاته ، لا العكس . أجل ، أجل ! ستـذهب بعيدا عنـه ـ بعيدا جدا ! ستهجره ولاتعود تراه ولاتسمع صوته. هنا لفظت ابتسامتها أنفاسها تحتضر ، ثم تلاشت ـ انفلتت من بين تشبثها .. من بين استماتتها .. وتبخرت ، ماتت. أو كأنما هـوت الابتسـامة فى اغماءة سحيقة من هول مستقبل كهذا ـ لاتراه؟ لا تسمعه ؟

فهزت كتفيها مسـتنجدة . هزتهما بعنف كأنما لتوقظهما من خدر لسيرته ـ مجرد سيرته ! . كأنما يمكن أن تمتلكا ... كتفاها .. برقتهما وعذوبتهما قوة ما تستمدها منهما . الحق والله أنها طريقة جيدة هذه : الهجر ! والله الهجر أحسـن شىء ـ خـير من اراقة دمائها لتتخلص منه ومن حبه ! حبه ، قال !

ارتفع لها حاجب ساخرا ، يدفع الرقة أمامه ويأخذ مكانه على صفحة قسماتها كأنما وجهها مسرح تلعب الاحاسيس عليه أدوارها . حب ؟ تراقص الحاجب مسائلا . حب سيميتها ؟ لم ؟ أتموت قتيلة الهـوى ، كما تقول الروايات ؟ سلام ... ! هى تموت ؟ ليمت هو ، ليمت !

فانقض عليها قلبها بوحشية وجنون يخز ضلوعها وخـزا بلا رأفة ، وهو يتقافز ملتاثا ملتاعا يصرخفيها ويصرخ:

ـ « بعد الشر عنه ـ بعد الشر ! »

فهوت عليه .. على قلبها هذا ... بـكف رخصـة ذليلة .. تهـدئة .. تهدهده .. تستسمحه ـ طفاها هـذا العنيد ! وانسـدل جفناها على عينيها فى صلاة خرساء من أعماق أعماقها :

ـ « بعد الشر عنه ، ألف ألف مرة! »

ثم كأنما تعتذر لعقلها :

ـ « شـاب هو فى عزه ، وحـرام شبابه ! »

ثم اسـتدارت ، تعميهـا دموعها ، وهوت على ركبتيها أمام حقيبة الثيـاب تتحسس مفاتيحها. ثم تحاملت متساندة تتحسس أدراجهـا وحاجياتها بيـد فضحتها برجفاتها . فتوقفت لحظة حتى تخفت شـيئا تلك الاجراس التى تدق وتدق وتملأ برنينهـا وأصدائها خلايا دماغها . ثم ارتفع حاجباها فى دهشة عندما تبينت ببطء أن ماحسبته أجراسا ما هو الا نبضاتها وقد أفلت زمامها .

ورآها .. هو .. حيث وقف يطوى ذراعيه على صـدره ، مرتكنا الى باب الحجرة المغلقة عليهما يتأملها فى صمت. رآها وكفهـا ترتجف وتتسلل تضغط

قلبهـا • فتقافز قلبه لهفة على توأمه الذى يسكن ضلوعها ، وأراد أن يتلوى هو الآخر معه ، وله • مالهما •• قلبه وقلبها ••• وما للسحب التى تحـوم فوق رأسى صاحبيهما؟ فهمس لصاحبه:

ـ « زوجتى ـ زوجتى الصغيرة ! عصبية وغيور بعض الشىء ـ لكنهـا الحبيبة ، الحبيبة ! »

وأراد أن يبثها شوقه ، ويعطيها من حنانه •

لكن الرجل زجره • زجره وجانب من شفته يرتفع فى سخرية مريرة لاذعة وهو يقول له :

ـ « ألا تفهم يا غبى ؟ تمثيل نسـاء هذا •• ! كن رجلا ! »

أما « هى » ، فرفعت نظرتهـا وهى تغلق حقيبة الثياب على ما دسته فيهـا اعتباطا • رفعتها •• نظرتها تلك ••• لتتزود من وجه الحبيب الذى تهجره بلا رجعة • فتعلقت عيناها متشبثتين بكل قسـمة من قسـماته كأنما تودعها : رأسـه المرفوع فى غطرسة وعنـاد •• شعره الجعد الكثيف ••• فوديه وقد وخطهما مشيب مبكر •• سمرته يزيدها المشيب توهجا ••• ثم شفتين مضمومتين هكذا أبدا فى خط رفيع قاس ، قاس ! آه ، قاس !

غمغمت بالكلمة فى سرها ، ثم القت بوجهها بين راحتيها •

فتنهد قلبها :

ـ « ومع ذلك ، سوف أشتاق اليه! »

فوافقته ، تتنهد :

ـ « آى والله ، صدقت ! »

فعاد يقول :

ـ « وهـل تظنيه سيرتاح دوننا ـ دون خدمتنا ورعايتنا ؟ »

فاحتد تنهدها :

ـ « لا أظن ! »

فاقحم عقلها نفسه فى حديثهما الناعم المتهاوى :

ـ « لينفلق ! »

فجزعت :

ـ « كيف ؟ كيف تقول هذا عنه ؟ »

فثار عقلها :

ـ « أقولها ونصف ـ الـه هو ؟ »

فغمغمت بخشوع :

ـ « استغفر الله ـ انما الاله واحد للكون ! أما هذا الرجل فالهى أنا ! »

فطاش صواب عقلها :

ـ « اعقلى يا امرأة ـ اهتدى ! »

فتبسمت :

ـ « هدانى قلبى اليه ـ كفاية ! »

ـ « حقوقك عنده ضائعة وستضيع كلها •• كلها ! »

••• وصوتها حالم يتضوع بخدر :

ـ « تضيع ! »

ـ « عمرك •• شبابك •• أيامك هدر جنبه ! »

ـ « فداه ! »

فضرب عقلها كفا بكف :

ـ « والله خسارتى فيك ! »

فهزت كتفيها :

ـ « طلبت أنا رأيك ؟ »

فصرخ :

ـ « لكن واجبى يحتم على أن أمسك بلجامك ! »

فقهقهت :

ـ « سعيدة يا ··· لجام ! أنت ؟ أنت تقدر أن تلجم قلبى متى أحب بصدق ·· بعمق ·· بفناء ؟ »

··· وهو على حاله يصرخ :

ـ « أتنتصرين للمهووس دونى ؟ »

فلم تجب · فاستطرد صياحه :

ـ « مهووس·· ملتاث·· بلا رابط! لا عمل له سوى نبض ·· وخفقان ·· وعشق ·· وشوق ·· وحنين ·· وخصام ·· ولقاء ·· وخصام آخر ··· و ·· »

فقاطعته بدلال ، تبتسم شاردة مع خيالات وردية وذكريات غالية :

ـ « مالك أنت ؟ »

··· وعقلها على حاله ، غاضب ثائر عليها :

ـ « مالى أنا ؟ كيف ؟ لم وضعنى الله سبحانه اذن داخل ذلك الرأس الجميل المتأنق المتعطر البديع ، الذى يشبه اللؤلؤة الفارغة ؟ »

فهزت له كتفيها ·

فجأر :

ـ « أستغفرك ، يارب ! لم خلقتنى ثم جعلت قسمتى جمجمة امرأة ؟ »

فرنت ضحكتها ساخرة :

ـ « وأنت تطول ؟ »

فعالج المهادنة :

ـ «اسمعينى بلاهذر ـ الله يهديك!»

فقاطعته باستخفاف :

ـ « سامعة يا أستاذ ··· عقلى !! »

ـ « أنا لا أمنعك من حبه ، فهو رجلك ·· وحبيبك ·· وزوجك ! ثم هو حقا انسان ممتاز ، لكنه ··· »

فصاحت متنمرة :

ـ « لكنه ماذا ؟ هيه ··؟ قل ، قل ! لم تخاف ؟ »

فاحتد :

ـ « أنا لا أخاف ـ لا منك ولا منه ! »

فرنت ضحكتها :

ـ « حسبت ! »

فاندلعت ثورته :

ـ « كفى هذرا يا امرأة ، قلت لك ! أنا لا أمنعك من حبه لكنى أنصحك بعدم امتهان كرامتك هكذا · فالرجل كما قالت آلاف العقول المسكينة قبلى حتى جفت حلوقها لآلاف الملتاثات مثيلاتك منذ بدء الخليقة ـ الرجل صياد ، صياد !

وماذا يحدث للصياد ؟ يتعب هو ·· ويشقى ·· ويحاور ·· ويداور ·· ويرعى·· ويحمحم هو ـ لا الفريسة! »

فلم تع من كل ما قاله سوى كلمة « كرامة » · فقالت تجيبه بشجن :

ـ « وهل للمرأة العاشقة حقا سنين طويلة وقد تم لها زواج هو اختبار صارم للحب ـ هل لامرأة كهذه يا عقلى كرامه مع من تحب ؟ أكرامتها أغلى أم محور حبها نفسه ـ رجلها نفسه ؟ »

ـ « يا ستى افهمينى : لو كان الامر يتعلق بك وحدك لهان الامر ، لكنك ستجررينا كلنا ·· كلنا وراءك ، ونتهم بالخمول والبلادة والركود ـ حتى بعدم الوجود ! »

فلم تجب · ربما لم تسمع ·

فانفجر فيها :

ـ « أوه ··· لا فائدة ترجى منك !

انك لا تستخدمينى فى تفكيرك متى كان لقلبك مصلحة ما فى الامر ! »

٠٠٠٠ وصوتها حالم ناعم يذوب :

ـ « وهل لى قلب ؟ ملكه قلبى منذ الازل ـ ملكه «هو» ! »

فهدر مزمجرا :

ـ « سوف أهجرك أنا فى هذه اللحظة الحرجة من حيـاتك ـ هـذه اللحظة الحاسمة فى عمر حبك ٠٠ و ٠٠ »

فقاطعته بوحشية :

ـ « بعد الشر عن حبى وعمر ٠٠ حبى ! »

وسرحت نظرتها مع ابتسامتها هناك ٠٠ بعيـدا ٠٠ بعيـدا ٠٠ عن عقلها ، وأضافت :

ـ « قل أى شىء ـ ادع على أنا باية دعوة ! فقط ابعد عن ٠٠ حبى ! »

فصرخ بيأس :

ـ « اذن سوف أنام ! سوف أنكمش فى حالى ولتنفلقى أنت ٠٠ وقلبك ٠٠ وحبك ٠٠ وحبيبك ! »

ـ « أحسن ! »

فجـذب عليه أغطية ثقالا ، ثقالا ٠ وتثاءب ٠٠ وتمطى ٠٠ ورقد على جنبه ، يوليها ظهره ٠

فلم تجزع ٠ بالعكس ٠ تبادلت هى وقلبها نظرة مرحة خاطفة ، ثم انفجرا ضاحكين ـ الحرية ، الحرية !

فسمع « هو » ضحكتها الخفيفة ، حيث وقف يطوى ذراعيه على صـدره ويرتكن الى باب الحجرة التى شهدت خصامهما مرات ٠ فغضب ٠ أتهزأ به ؟ فقال لها بكبرياء جريحة :

ـ « هل هذا موقف ضحك؟ أتسخرين منى ؟ »

هنا جزعت جزعا حقيقيا شديدا ٠ يا الهى ! متى يفهمنى ؟

فاستدارت على عقبيها تواجهه بدموع كثيرة أطاعتها ، وملأت مقلتيها بسرعة :

ـ « بل أبكى ! »

وتعلقت عيناها به ٠

ثم ثارت عنـد ما رأت وسامته ٠٠ وقامته ٠٠ ووقفته ـ لأنه يخونها ٠ لأنه ابتسم لغيرها ٠ سمح لغيرها أن تمسح على شعره ، تتلمس حنانه ٠٠ ونظرته ٠٠ وشفته !

فاضافت بفظاظة :

ـ « أبكى على حظى الاسود ! »

فكأنما قذفته بكرة من نار ، لم يطقها فردها اليهـا من فوره بمرارة وفظاظة أقسى :

ـ « حظك ، أم حظى أنا الاسود ؟ »

ـ « حظنا أسود نحن الاثنين ! »

ـ « اذن لم التردد ؟ فيم الانتظار ؟ »

فتساءلت ، وعيناها مندلعتان :

ـ « ماذا تعنى ؟ »

ـ « أعنى الفراق ، الطلاق ! »

فانفجرت :

ـ « طبعا ، ليخلو لك الجو ! لتمرح على هـواك مع نسائك اللاتى على كل شاكلة ولون ! طبعا ٠٠ »

فقاطعها بهـدوء ، وقد برد قلبه ـ اطمئن :

ـ « ش ٠ ٠ ش ! لا لزوم لذلك الكلام ! »

ـ « لا لزوم له ؟ بل له لزوم جدا ! ٠٠ والنبى ومن نبى النبى لأبيت قاتلة أو مقتولة فى هذا البيت الليلة ! »



... وعيناها رجراجتان مجنونتان .
وقسماتها الحلوة قبيحة ، وصوتها الناعم أجش ، وحركاتها التي تتمشى فيها انسابية عذبة ، متقلصة وهي تفح :
ـ « أقتلك لابد .. أو أقتل روحي .. أو أقتل « لولا » هذه بنت الـ .. »
فخطا نحوها خطوتين سريعتين ، وهوى بكفه على خدها .
فصرخت :
ـ « تضربني ، من أجلها ؟ »
فصرخ بدوره :
ـ « قلت لك كفى عن مثل هـــذا الكلام ! »
ـ « وان لم أفعل ؟ »
ـ « اضطرك اليه اضطرارا ! »
ـ « وان لم تنجح ؟ »
ـ « أطلقك ! »
فصرخت في تشف :
ـ « صح النوم ـ سلطان زمانك أنت ؟
لن تقدر ، فلم يعد هناك اليوم طلاق بأمر الرجل وحسب ! »
فتنبه للهفوة . لكنه تمالك . لم يطلعها على الوخزة التي أصابته من قلبه هو ، عندما نطق بكلمة الطلاق التي اضطرته برعونتها الى النطق بهـــا .
وخزه قلبه ينوح :
ـ « حبيبتي أنا ـ تطلقها ؟ كيف العيش بعدها ؟ »
لم يطلعها ، فلم تر على قسماته سوى جمود وقسوة وحزم وترفع وهو يقول لهـا :
ـ « أبعد عنك والســـلام ـ بأية طريقة ! »
فتلوت وهي تسبح بنظرتها الجزعة في قسماته ثم تقفز بها الى عينيه تسبر أغوارهما ، أسرارهما . ثم تقفز بهـا مرة ثانية الى خط شـــفتيه المزمومتين



القاسيتين في غموض واصرار . ثم صرخت وصرخت كأنما رأت الدنيا تنهار :

ـ « آه .. ! لم يعد لي في قلبك مكان ! »

وبكت . بكت بحرقة .. بذلة .. بانكسار .. بدموع كثيرة ـ دموع حقيقية صادقة هذه المرة ، منتزعة من شغاف روحها . وبكى معها قلبها ، ينشج :

ـ « يضربنا ؟ »

فقالت له بصوت صغير :

ـ « لا ضير يا قلبي من لطمة ـ هو رجلي على كل حال ! وأنا أحب لمسة كفه على خدي ، مهما كانت ! »

ـ « صدقت يا أختي ـ ولكن أن ينسانا ويهوى غيرنا ويدعنا نحن نهوى هكذا من قلبه كمية مهملة .. »

فقاطعته تولول :

ـ « مصيبة ، مصيبة كبيرة ! »

ـ « بل طامة كبرى ! »

ـ « كبرى الكبائر والله ـ ألعن من الطلاق ! لا مكانة في قلبه ؟ »

وأقاما مناحة لطم قلبها فيها صدغيه ، يتفجع .. ويتمرغ .. ويضرب رأسه بضلوعها كأنها أعمدة مسجون هو بينها .. ويتقافز ملتاعا ويتقافز كأنما بساطه جمرات حمر ، يندب :

ـ « داهيتي ، داهيتي ! »

... وهي تردد كأنها صداه :

ـ « داهيتي ، داهيتي ! »

ـ « آه يا أنا ! آه يا مسكين يا أنا ! ماذا نفعل الآن ؟ مايكون من أمرنا ؟ ما مصيرنا ؟ »

ـ « لا أعلم يا قلبي ، لا أعلم ! »

.... كأنما انتهى العالم ، توقفت الحياة ، أزفت الساعة ، وقامت القيامة!

فانحنت على حقيبة ثيابها تحملها وتخطو بها نحو الباب ، خطوات مخلخلة مبتسئة . ... و « هو » .. رجلها .. يرقبها وقلبه يدق على وقع خطواتها !

وعندما مدت يدها التي يذكر نعومتها وعذوبة برد ملمسها على جبهته عندما كان يمرض أو يعود مجهدا ـ عندما مدت يدها هذه الى كرة الباب لتفتحه وتخرج من حياته ، وهي تغمغم ليفسح لها الطريق :

ـ « عن اذنك ! »

... كاد يحتويها في أحضانه ـ تلك الحمقاء الحبيبة !

لكنه لم يفعل . تنحى عن طريقها ، بل فتح لها الباب .

فاندفعت خارجة ، تخنقها أشياء كثيرة ليست الدموع احداها . وهبطت بضع درجات ، ثم خانتها ذراعها التي تحمل حقيبة الثياب الثقيلة . فهوت الحقيبة تتدحرج على السلم . وتعثرت هي فيها وكادت تهوى فوقها ، لولا أن شعرت بذراع قوية حول خصرها انتشلتها انتشالا من عثرتها .

فلما استوت على قدميها تنفض ثوبها في خزى ، تركتها الذراع !

فرفعت عينيها بسرعة ، بلهفة . فلم تر منه سوى ظهره وهو يصعد السلم ثانية .

فالتاعت . هل يخفى ضحكه منها ومن منظرها ، وهي وحقيبتها تتدحرجان؟ أم يتركها حقا تهجر البيت على حين يعاود هو الدخول اليه ببرود هكذا وعدم اكتراث ؟

فاندفعت تهبط الدرجات مثنى مثنى وهي تكاد تهلك . ولكنها عندما وصلت الى حقيبة ثيابها التي كانت قد سبقتها الى نهاية السلم وانقضت

لترفعها بكلتا ذراعيها ٠٠ وبيديها ٠٠ وبعافيتها كلهـــا ٠٠٠ وبغضها كله ، ألقته عند مرفقها ٠

وقال «هو» يخلص الحقيبة من يديها الصغيرتين :

ـ « عنك ! »

فعجبت لصوته الحنون ولرنة الاسى فيه التى يحاول اخفاءها ٠ رنة خفيفة فعلا ، لكنها « هى » بحاسة مبهمة فى جب حواسها السحيق الجياش تلمستها بما لها من رهافة ، وصادتها من الهواء٠

فتسمرت مكانها ، حيرى ٠

لكنها تذكرت « لولا » ٠٠٠ ودلال « لولا » ٠٠ وصوت « لولا » ثم خروجه الكثير ٠٠٠ وسهراته ٠٠٠ وحفلاته ٠٠ ووسامته ٠٠ وقامته ، فانتزعت حقيبة ثيابها منه بفظاظة :

ـ « لا لزوم ! »

فجزع « هو » وكبرياؤه جزعا ٠

أتهجره ؟ حقا ؟ هى التى تهجر ؟

فرفع يدا الى جبهته وقد زحفت عليها برودة فجاة ٠

فلمحته ـ لمحت حركته تلك ٠

فهوت الحقيبة من يدها واستدارت اليه ـ هو على رأس السلم ، وهى أسفله وانهار صوتها وهى تسألها :

« مالك ؟ »

لا شىء لا تقلقى بالك

ـ « لم اذن تتحسس جبهتك ؟ »

ـ « لا شىء ! »

ـ « لا أقلق بالى كيف ؟ وأنت ؟ »

فاستغل الثغرة ، وشحن سحره كله ٠٠ وجاذبيته كلهـــا ٠٠ ورماها بنظرة جانبية تحبها منه دائما ، يغمغم:

ـ « أنا بخير ، مادمت أنت بخير ! »

فذابت ٠

ـ « وهل أكون بخير وأنا قلقة عليك وعلى صحتك ؟ »

فسعل ٠ اســـتنجد مستميتا بكل خشخشة كانت فى صدره منـذ أسبوع ولزم بسببها الفراش ٠ فاستوحشته لمة أصدقائه ودفعت « لولا » الى محادثته بالتليفـون فى بيته لسؤاله عن سبب تخلفه أسبوعا بطوله٠ فأجابتها زوجته التى ادعت بمكر أنثوى أنهـــا الخادمة وعرفت منهـــا ٠٠٠ كل شىء ! وكان ما كان !

استنجد الآنبسعاله القديم وبضعفه ـ حتى بحرارته المرتفعة ! لكنهـــا لم تسعفه طبعا ٠ الذى أسعفه وحسب هو السعال ٠ رن صداه فى صدره وحلقه قويا وضخمه « هو » الى أبعد ما وسعه!

فاندفعت « هى » تصـــعد السلم بسرعة ، وأحاطت خصره حيث وقـف يوليهـــا ظهره ويسعل ويسعل وقـد انحنى نصفين يرتكن الى الدارابزين ـ أحاطته بذراعيهـــا كأنهـــا أمه ، ودفعته مترفقة حانية الى داخل البيت ٠

ونسيت نفسهـــا ٠٠٠ ونســيت غضبها ٠٠٠ ونسيت كرامتهـــا ٠٠٠ ونسيت حقيبة ثيابهـــا أسفل السلم وأجلسته بحنان دافق على مقعده الوثير المعتاد فى حجرتهما ٠ ثم انحنت تخلع عن قدميه الحذاء وتدلكهما وتضمهما الى صدرها لتدفئتهما ٠ ثمدستهما فى خف صوفى دافىء ٠ وهرولت الى المطبـخ وعادت مهرولة بكوب منشراب الليمون الساخن ٠ وهرولت الى الحمام ، ثـم هرولت عائـدة بقرص دواء ٠ وسقته الليمـون بالدواء ٠ وتحسست جبهته بجزع ممض ، ثم ضمت رأسه بلهفة فى حضنها توسده نهديهـا ٠ ثم هرولت ثانية الى الحمام ٠٠ الى دولاب الادوية

۰۰۰ وجاءت بمقياس الحرارة • ودفعته تحت لســـانه ، ثم وقفت الى جـواره تقبض على معصمه تعد نبضه وعينها على الساعة الدقيقة التى تلف معصمها هى فى نعومة ورقة • ثم جذبت مقيـــاس الحرارة من فمه ، وقربته من عينيهـا واقتربت هى كلها من مصباح النور • فتقبضت جبهتها وهرولت الى التليفون تستدعى الطبيب •

۰۰۰ و « هـو » مســـتسلم لهـا استسلاما تاما ممتعا !

لكنها عندما أدارت قرص التليفون ، سألها برقة :

ــ « كم وجدت حرارتى ؟ » •

فأجابته لاهثة شاردة :

ــ « ستة وثلاثون وثمانى شرطات ! »

فضحك • بل قهقه يهتف :

ــ « لكنها يا عزيزتى حرارة طبيعية ــ أليست كذلك ؟ » •

فأعادت السماعة مكانها بهدوء ، وهى تغمغم ذاهلة :

ــ « آه ! صحيح هذا ، والله ! » فقام اليها •

وعندما ضمها الى أحضانه دون أن ينبس بكلمة ، استكانت فى صمت تحت جناحه كاليمامة الوديعة تهدل وقلبها فراشة هائمة يسبح طائرا فى ملكوته ، فى دنياه •

ــ « قل لى حاجة ! » •

ــ « لا لزوم لكلام ! » •

ومن فوقها رأسها المدسوس تحت ابطه ، تبسم يقول لنفسه :

ــ « أجـل ، حبيبـة هى وعذبة ، لكنها حمقاء حمقاء ! متى تفهم أن الرجل لا يصبر على واحدة ــ وان صبر عليها قلبه ولم يحب سواها ؟ متى تفهم ــ هيه ؟ متى تفهم أن الرجل اذا أحب لم يلتفت قلبه ولا وسع ولا قدر على غير حبيبته • لكن عيناه ۰۰ وذراعاه ۰۰ وشفتاه تقدر على مئات ! » •

ثم فجأة تنبه لها •

تنبه أنها تسأله سؤالا ملحا وتكرره ۰۰ وتكرره ۰۰ مرة ۰۰ بعد مرة ۰۰ ومن بعدها مرات ــ لا تتعب ، لاتكل ، لا تمل • فلما تغضب يصغى اليها كى يعى ما تقول ، تبين أنها أنما تسأله السؤال عينه الذى لا يتغير ولم يتغير ــ سؤال لم تتعب من ترديده على مسامعه منذ تزوجا ، ولا زالت ! •

غرغر بلا صوت ، يدير عينيه نحـو السماء •

يا الهى ــ يا لهؤلاء النساء ! •

ومع ذلك ، رقق من صوته وشحنه بحرارة وهو يدس وجهه بين خصلاتها يمرغه عليهـا ۰۰ وبينهـا ۰۰ وفيها بطريقة يعرف أنها تدغدغ حواسها • وأجابها هامسا والها مصطبرا ، ليريحها ويريح نفسه :

ــ « طبعا يا حبيبتى ــ أحبك ! » • فثمل قلبها ــ ثمل تماما ، يترنح نشوان ۰۰ نشوان ۰۰ جذلان ! •

وصـدقت •

وسـعدت •

وساد سلام !

الصمت الصادح

بقلم الكاتبة الفنلندية: ايفارليس ووريو

ترجمة : ماتيلدا حليم فهمى

تصف ايفارليس ووريو مقدرتها اللغوية فى هذه الكلمات أتكلم تسع لغات وبعض اللهجات ولا أتكلم احداها صحيحة او على حسب القواعد • ويعزو بعض أصدقائها موهبتها الأدبية ـ على حد قولها ـ الى استعمال آلة كاتبة متعلمة ، واذا كان الأمر كذلك فياحبذا لو اقترض كتاب كثيرون هذه الآلة •

ان أسلوبها واضح دقيق وفيه جمال اللغة السهلة •

ولدت ايفارليس ووريو فى فيبورى وهى مدينة قديمة من مدن فنلنده أسوارها عالية وتقع على البحر ، وعاشت فى كندا وانجلترا • نشرت قصتها الصمت الصادح فى صحيفة ساترداى ايفننج بوست فى عددها الصادر بتاريخ ٢٣ مارس سنة ١٩٦٣ م •

ربما كان العجوز فيسنت من بلدة فومنتيرا أسعد رجل عرفته وربما كان أيضا أشدهم فقرا • كان نحيفا ، مجرد غصن مقوس ، وكان جلده مجعدا وفى لون البن ولم يكن يملك قطعة واحدة من الملابس خالية من الرقع • كان يعيش فى كالابوجـــول فى كوخ من الحجر وأخشاب لفظتها أمواج البحر والغاب ، أما مطبخه فكان مدفأة حـــديدية أكلها الصدأ ووعاءين مشروخين من الحديدياكل منهما ولكنه كان يملك الى جانب هـــذا جهازا دقيقا للاكسجين وزوجا من زعانف المطاط وقناع غطاس •

وكما قلت أعتقد انه لم يكن هناك من هو أسعد منه ٠

ترددت على فومنتيرا عدة مرات قبل أن أتبين فيسنت بين الصيادين الذين كانوا يجرون زوارقهم تحت الأحراش ومخابىء الغاب عند التقاء الشاطىء بالصخور وأخيرا فهمت أنه لا يمكن أن يكون واحدا منهم فلم يكن لديه وقت للصيد ٠

وكنت أعرف شـيئا من لهجتـه الايبيسنكو وهى لغة تختلف تماما عن اللغة الاسبانية فى كاستيل ولذا فهمت يوم رأيته لأول مرة انه يطلب فى وقار لا أثر فيه للذلة أن يقرضه أحدهم زورقا صغيرا من زوارق الصيد ، ولكننى لم أفهم - وقد ظننته صيادا - كيف يعيش دون أن يكون له زورقه الخاص ، وعرضت عليه زورقى الذى كنت أستأجره فى فومنتيرا فلم أكن استخدمه كثيرا فشكرنى ومرة أخرى لمست فيـه ذلك الـوقار الذى أحسست به من قبل ، ووقفت أراقبـه وهو يحمل الزورق بجهـاز الاكسجين وزعانف المطاط والقناع واناء من الفخار للماء ، ولفة صغيرة للزاد ولكنه لم يأخذ معه أية معدات للصيد أو بندقية من النوع الذى يطلق تحت الماء وتساءلت عمـا ينوى صيده وكيف ، وظللت أراقبـه وهو يجدف نحو الأفق وكان يبدو رجلا صغيرا ذا عزيمة جبارة ٠ وظللت أتابعه بعينى حتى لم يعد سوى نقطة صغيرة على الأفق ثم نسيته ٠ وفى كالابوجول من السهل أن تنسى فالمياه الفيروزية عميقة صافية حتى القـاع ، والرمال عذراء لم تطأها قدم ، والشاطىء الفضى الأبيض يمتد الى مسافات بعيدة ٠

وفى السنة التى أتحدث عنها كانت الأمور كما أصف وكانت الشمس تسطع باستمرار

وأتى يوم هبت فيه الرياح من افريقيا وكان البحـر حارا رطبـا فلم يخرج الصيادون الى الماء بل جلسوا فى الحانة الصغيرة على الشاطىء يشربون النبيـذ ويتحادثون ٠

- عل عاد فيسنت ؟

- لم يعد بعد ٠

- انه مخبول ٠ ان بعقله لوثة طفيفة ٠

- اطلاقا ٠ ليس الامر كما تقول ٠ انه حسن النية ٠

- أتظن ذلك ؟ انك مخبول انت الآخر

- أنا ؟ كلا ! أنا أرى وجهة نظره ٠ أنا أفهمه جيدا

فسألت : فيسنت ؟ انه العجـوز صاحب معدات الغطس ٠

فصاحوا آه ٠ آها ! آها ! ٠

وطلبت زجاجة ثانية من نبيذ الجزيرة وهو النوع الذى يشرب هنا فلم يكن يجرؤ أحدنا على طلب غيره من الأصناف المعروفة ٠ وفى جلستنا هناك - والريح الافريقية تهب وتقلب ماء البحر حتى غدا قاعة فى لون الطين وعلا الزبد سطحه - سمعت قصة فيسنت ٠

كان صبيا طموحا منذ ستين عاما فهجر جزيرته الصغيرة ، ولكن منـذ ستين عاما لم يكن للاسبانى عمل يرتزق منه فى وطنه اسبانيا فذهب الى البحر على ظهر البواخر الاجنبية ٠ وعاد بعد



مدة وأخذ يطوف البلاد ويمارس مختلف الحرف حتى انتهى به الامر كما انتهى برجال خير منه بأن عمل حمالا على رصيف ميناء برشلونة كانت له آمال واحلام ولكن الاحلام تخذل صاحبها أحيانا فحمل فيسنت أمتعة الآخرين ، أمتعة الأسبان الأغنياء والزائرين والسائحين ووصل به الحال منذ عشر سنوات الى الوقوف على رصيف الميناء والأرقام على قبعته باوح بيده لركاب البواخر ويشير الى نفسه هاتفا انا ؟ أنا ؟ رقم ثلاثة وسبعين ؟ .

وفى ذات يوم رأى امريكى غنى على باخرة من بالما ويده يلوح بها بعصبية فناداه ووقف فيسنت فى الصف مع بقية الحمالين وشق طريقه على سلم الباخرة البيضاء وهناك قال له الامريكى .

اليك ستة حقائب وهذا الشىء . احرص عليه فانه تحفة نادرة . وعرف فيسنت للتو نوع الوعاء . كان ابريقا فينيقيا ذا أذنين يسمى أمفورا دقيق الصنع وكان عينة نادرة من الأباريق الكبيرة التى تستعمل فى نقل الخمر أو الغلال وكان الصيادون يجدونها قديما فى شباكهم وكثيرا ماكانوا يلقون بها فى البحر ثانية ولكنهم عدلوا عن ردهاللبحر منذ أتى السادة من المدن يشترونها لمتاحفهم .

رفع فيسنت الحقائب فوق ظهره وأمسك فى يده الابريق الكبير الوردى الذى خضبه البحر وأخذ يهبط سلم الباخرة والناس من حوله يدفع ويجذب بعضهم بعضا هابطين صاعدين على سلم الباخرة هاتفين وهو يهتف معهم حتى وصل الى الرصيف وهناك اصطدم به حمال آخر كانت قدمه قد أمسكت فى

حبـل المرسى فأفلت الابريق من يده وهوى الى الارض ٠

وهكذا طوى التراب الفى سنة من الارض الكسيرة ٠ ثم ماذا ؟؟

منذ عشرة أعوام فقط كانت هـذه الأواني الخزفية من آثار اليونان والفينيقيين والرومان لاتزال موجودة فى كهوف البيزا الضحلة أما اليوم فلم يتبق منها سوى بعض الأشياء الحديثة العديمة القيمة وأصبحت القيمة منها نادرة ٠ وقد نقد الامريكى بحارا فينيقيا مبلغ خمسمائة دولارا ثمنا لهذا الابريق بعد أن تحقق من المسئولين قيمته الاثرية وكان من الطبيعى أن يغضب ولكنه كان رجلا متزنا وكان يعرف أن حمالا مثل فيسنت لن يكسب خمسمائة دولارا طوال حياته فاحترم الامر الواقع وكان مستعدا لأن ينسى مافقد ٠ ولكن فيسنت لم يرضه هذا ٠ كان يعرف تقدير الناس لهذه الأباريق والأواني العديمة النفع وقد رأى خيبة الامل مرتسمة على وجه الامريكى ٠ وكان فيسنت رجلا شريفا فأراد أن يصلح ما أفسد ٠ تبع الامريكى الى فندقه ورجاه فى اعطائه اسمه وعنوانه ووعده برد الدين ، وأصبحت قصاصة الورق ــ التى مزقت من مفكرة الامريكى وكتب عليها ابراهيم لنكولن سميث /٧٢ طريق هدسون ميلووكى وسكونسين أمريكا ــ أعز مايملك وأصبحت بالنسبة لفيسنت نهاية رحلته فى طريق بحثه الطويل ٠

وأعتقد أن فيسنت كان يرى فى أحلامه انه قد وصل أخيرا الى ميلووكى متأبطا الابريق الفينيقى وأخذ يتقبل بفرح وغبطة مديح الامريكى الذى كان يكيله له ٠

وكان فيسنت يعلم حق العلم أنه لن يملك أبدا المال الكافى لشراء الابريق ولكن ماذا يمنع من أن يجد ابريقا ؟ آخرون وجدوا أباريق ، مئات منها ، حين كان صبيا فلم لايجد ابريقا هو الآخر ؟ ٠

لم تكن له أسرة فلم يستغرق وداعه لحياته فى برشلونة زمنا طويلا ٠ برشلونة المدينة الصاخبة حيث كان يحمل الحقائب لقاء كاس صغيرة من النبيذ فى حانة يملؤها الدخان وحجرة بغير نافذة يتخذها سقفا للباليه ٠ ولما باع أمتعته القليلة توفر لديه أجر المركب الى ايبيزا وقليل فوقها ، ومن مؤخرة المركب ألقى نظرة على المدينة فرآها تهبط الى البحر وعرف لأول مرة أن السنوات التى أمضاها هناك كانت له سجنا من صنع يديه فلم يرفع عينيه مرة عن الشوارع الضيقة نحو السموات الرحبة المترامية ٠

ومرة أخرى ــ كما كان يحدث وهو صبى ــ صدح له البحر ٠

ولما عاد الى الجزر بدا يعد العدة للعمل الذى اختاره ٠ كان يعرف مكان آخر قطعة أثرية وجدت وأدرك ــ كما أدرك غيره من قبل ــ أن جميع الاماكن القريبة من الشاطىء قد جردت من كنوزها ٠

وتذكر سانديك ابن النجار وهو من سانتا يولاليا ديل ــ ريو قد اشتهر بالسباحة تحت سطح الماء وكان قد وجد مدفعا فى قاع البحر ولكن هذه قصة أخرى ٠ فسافر اليه فيسنت فى سيارة عامة ليستشيره وكانت نصيحة سانديك مختصرة ٠

ابتع لنفسك قناعا وزوجا من زعانف المطاط وجهازا يمدك بالاكسجين واخرج

الى عرض البحر ، فهناك فى الجهات النائية لم تزل بعض البقاع الضحلة التى لايزيد عمقها على قامة رجل أو ضعفها أو ثلاثة امثالها مجهولة وفى الكهوف هناك عند قاع البحر قد تجد بعض الكنوز •

ولكن فيسنت — ككثيرين من أبناء الجزر — لم يكن يعرف السباحة فانفق مابقى من نقوده كما نصح سانديك فى شراء جهاز الاكسجين وزعانف المطاط والقناع • وعاد على زورق البريد مانوليتو الى جزيرته فومنتيرا وهناك على الشاطىء نصب خيمته واحتال للحصول على طعامه وصب اهتمامه — شأن الرجل الذى ينشد هدفا معينا — فى تعلم السباحة •

كان قد ناهز الستين وكان هرما فالزمن يقسو على الرجال من أمثال فيسنت الا انه كان شابا فى شوقه الى التعلم والخروج نحو أفق هدفه البعيد

وتعلم السباحة ، وتعلم الغطس بمعداته فكان يبدو كالضفدع أو كعقرب البحر فى المناطق الضحلة حول شواطىء كالابوجول • وذهب بعيدا وذهب أبعد الى حيث تتغير المياه الى لون البنفسج حيث تبدأ الاعماق وكانت فترة تحدث فيها أكثر مما تحدث طول حياته ، فلم يكن ليستطيع بعد مرات الغطس الأولى أن يحتمل فى صمت دهشته وعجبه لما رأى من جمال غير منتظر فى أعماق البحر فحكى عن حدائق الأسماك النجمية المتعددة الألوان وعن الأسماك الوديعة ذات العيون الحشرية التى كانت تتابعه وعن أشعة الشمس التى تتحسس طريقها الى الكهوف الغامضة والصخور حكى كل ذلك للصيادين الذين كانوا يعملون فوق سطح الماء وكانت حكاياته منسوجة بالعجب والرهبة واقسم لهم أنه لم يعرف فى حياته حرية كتلك التى عرف فى قاع البحر •

— ولكنك لا تستطيع التنفس هناك •

— المرء يتنفس بعينيه ومسامه •

وقال انه لم يسمع قط موسيقى مثل موسيقى البحر •

— ولكن لايوجد سوى الصمت تحت البحر •

— ولكنه صمت صداح — انه كما لو



أرسلت عدة آلات موسيقية أنقى أنغامها نحو السموات •

هذه احدى مزايا اللغة الاسبانية • كثيرا ما يتحدث الحاصد بلغة الشعر انها الطريقة التى تتجمع بها الكلمات •

مضت أيام تلتها أسابيع وشهور ثم أعوام وفيسنت جاد فى بحثه عن الاناء الذى اقتضى الشرف وجوده ليحل محل الاناء المكسور وكانت سعادته تزداد يوما عن يوم فكان كل يوم يستقبل فرحة جديدة ومغامرة جديدة ولم تعد أيامه اسيرة مواعيد وساعات فبطريقة أو باخرى كان يجد ما يحتاج اليه : سمكة يشويها أو كاس نبيذ أو قطعة من الخبز أو علبة كبريت • أما بالنسبة للصيادين فقد

أصبح بحثه جزءا من حياتهم على الشاطىء وفى البحر وكان سخاؤهم فطريا ملبيا.

قص الصيادون على قصة فيسنت يوم هبت الرياح من افريقيا وارسلت أمواج البحر الخضراء العالية تجرى وتهدر فحصت الافق بحثا عن الزورق الصغير فلم أره والتفتت الى الاب بدرو كاهن سان فرناندو الذى أتى يشاركنا جلستنا وسألته .

ما رأيك يا أبى ؟ هل يجد فيسنت اناءه الخزفى ؟

فضم الرجل البدين أصابعه القصيرة وعيناه على الأفق هو الآخر وكان مخبؤنا يميل مع الريح فوق رءوسنا وقال دون اضطراب أو قلق :

اسمع يا بنى ان فيسنت وهب نعمة البحث . وليس من المهم أن يجد المرء شيئا ولكن المهم هو البحث نفسه . نعم البحث نفسه .

وفى العام الماضى كنت فى فومنتيرا فى يوم هاج البحر فيه فجأة ومزقت الرياح احشاءه فلفظ الزورق الصغير أما الرجل فلم ير ثانية .

كان البحر ثقيلا .

وفى قاع الزورق هجع ابريق فينيقى قديم نجا من أيدى البحر والسنين فهو موثق باحكام وقد غطته الاعشاب البحرية .

وطلب الى الاب بدرو والصياد صديقا فيسنت بوصفى أعرف الانجليزية أن أكتب الى ابراهيم لنكولن سميث فى ميلووكى وسكونسين بامريكا ففعلت وكتبت عدة مرات واخيرا لجأت الى رئيس المدينة .

لم يسمع احد بالرجل .

ربما ضاق الامريكى بالرجل العجوز الأحمق الذى كسر تحفته فاختلق اسما يتخلص به منه وربما جاء الرجل من ميلووكى . لاندرى .



بقلم : محمد البساطى

القصة الفائزة بالجائزة الأولى فى نادى القصة ١٩٦٦

من بداية الليل و « طارق » يتقلب فى فراشه ، أغمض عينيه وحاول أن ينام . ولكن ذهنه كان متوترا يفكر فى الخطة التى تملأ رأسه .. يعيد تفاصيلها مرة .. ومرة .. وفى نهاية كل مرة يشعر برغبة غامضة تجذبه اليها وطوال المدة التى قضاها يفكر فى خطته .. كان يحس بذلك الشىء الثقيل الذى جثم على نفسه فى الايام الاخيرة يتفتت .. ويتالق فى أعماقه احساس جديد .. لذيذ كالشعور الذى يجتاح الانسان فى اللحظة التى ينتفض فيها من حلم مزعج ، ثم يتذكر فجاة أنه كان يحلم ..

وعندما نهض فى الصباح . كان يبدو أنه نسى الامر فلم يعد يشغله سوى أن يلبس البنطلون ، ويحمل حقيبته ، ويأخذ القرش الصاغ من والده . غير أنه حين اقترب من حجرة أبيه ووقع بصره على أمه ، تذكر فجأة كل شىء ..

كان أبوه واقفا أمام المرآة يجاهد فى تعليق حمالة البنطلون ، وعلى وجهه مسحة من الرضى والراحة . ورغم انهماكه فى خياله المنعكس على المرآة .. كان يصيح من حين لآخر « نفيسه .. قومى .. كفاية نوم .. » .. والأم راقدة فوق بطنها ـ تقاوم احساس اليقظة ، وتسبل عينيها فى ضيق من أشعة الصباح المتسللة من النصف الأعلى للنافذة . وانزوى طارق عند البوفيه . يستمع بالرغم منه الى الحوار المتبادل فى الحجرة .. كان يفكر فى مشكلة بدت له فجاة من خلال خطته .. هل يأخذ البيجامة أيضا؟ .. لقد ملأ الحقيبة بكفايته من الطعام .. وكسر الحصالة .. وأخذ النقود .. ولن يعود الى هذا البيت ، سيقيم عند أحد أصدقائه .. وسيبحثون عنه .. ولن يجدوه .. وحين يسالون فى المدرسة يهرب عند حضورهم .. كلا .. لن ياخذ البيجامة .. سيجد غيرها عند صديقه .. ثم قابلته مشكلة أخرى .. هل يطلب القرش من والده ؟ . وجاءه صوت والده من الحجرة « انتظر يا طارق حتى تفطر .. نفيسة .. نفيسة ..... » وأحس طارق بشىء يتدفق فى حلقه كانما يوشك على البكاء . وجذب باب الشقة فى عنف .. وخرج ..

وما أن احتواه الشارع ولفحات الهواء الرطبة حتى شعر أن تفكيره قد أصبح غريبا عنه .. وأن الامر لا يعدو أن يكون حلما .. حلما مزعجا لا غير ..

الا أن الحقيبة المتلئة بالطعام كانت تجذبه الى الفكرة المخيفة التى شعر برهبتها الآن فقط .. هو يترك البيت .. يكسر الحصالة .. ويأخذ النقود.. واضطرب كل شيء فى نفسه . وأحس بشعور مبهم مفعم بالمرارة يتسلق أعماقه فى قسوة .. وحين وقع نظره على الترامات .. تذكر أنه عادة يتعلق بها حتى يصل الى المدرسة .. وشعر أن هذا كان يحدث من زمن بعيد .. غير أنه فى عناد عاد يتساءل « .. لم لاأفعل ذلك الآن ؟.. أوه .. أهذا وقت التفكير فى هذه الاشياء ؟ .. » ومن بين الضباب الذى يغلف أحاسيسه ، برز له وجه أبيه ان أمه لن تبحث عنه .. ولكن والده .. والده الحبيب .. ماذا يحدث حين يكتشفون هروبه؟ ـ وتيقظت فى نفسه لذة خفية وهو يتخيل أفراد العائلة وقد تملكها الذعر .. اخوته ينكمشون فى خوف، يرقبون أباهم وهو يدور فى الحجرة كالمجنون ، وأمه ـ انه لا يريدها أن تبحث عنه .. انها السبب .. نعم بسببها يحدث هذا كله ـ وفى حذر راح يتذكر وجه أمه ـ انها تمضغ الطعام بصوت قبيح .. وتلك اللبانة القذرة لا تفارق فمها .. لم لا يقول كل شيء لأبيه ؟ .. ولكنه سيضربنى .. انه يفعل ذلك .. ولكن مهما يكن .. انه والدى .. وأحبه رغم ذلك ... ما دام يرى أن يضربنى .. فليضربنى .. حتى لو كسر ذراعى .. وهذه المرأة اللعينة تتسبب دائما فى ضربى » .. وتوقف تفكيره فجأة ، فقد لاحظ فى شيء من الرهبة أنه يشتم أمه ، وشعر بذلك الحاجز من الاحترام القائم عادة بينهما ينتفض فى أعماقه ، فاندفع يحطمه فى هياج ويسبها أكثر نعم قذرة .. ليس لها عمل سوى أن تقف بالبلكونة .. تلبس الروب الازرق .. واللبانة فى فمها .. وهذا الكلب يقف فى الشارع تحت البلكونة .. ويتظاهر أنه يصلح الموتوسيكل .. أيظن أنه يخدعنى .. لقد رأيتهما بعينى .. وتظننى صغيرا .. آه هذه المغفلة .. اننى أفهم كل شيء .. اننا فى المدرسة نعرف. كل زملائى يعرفون .. وابراهيم يقص علينا ما يفعله مع خادمتهم .. وتظننى صغيرا .. تفو .. متى أجر هذا الدكان أمامنا ؟ .. مكتب محمود زفت لبيع الادوات الصحية .. طظ .. يركب الموتوسيكل .. وطول النهار فى الشارع .. طاخ .. تك تك .. وأنا كنت أتمنى أن أركبه .. وقد حاول هذا اللعين أن يركبنى معه .. لقد كنت مغفلا .. أرى الموتوسيكل كل يوم ولا أعرف أنه وضع هناك من أجلها .. ولكن هذا الدور الارضى .. لو اننا نسكن الدور الثانى .. أو حتى السطوح .. لما حدث شيء من هذا .. لو يعلم أبى لحطم رأسه .. وسيضربها .. ولكنها دائما تكذب .. وهو يصدقها » ..

وتذكر يوم رش الماء على الموتوسيكل، فقد صفعته أمه على وجهه . وضربه أبوه .. هذه الكاذبة .. انها لاتخجل أبدا .. بل تشتم وتضربنى وكانها لا تفعل شيئا مع هذا الرجل ..» طارق انهض لتغسل قدميك فرائحتهما قذرة .. « رائحة قدمى قذرة .. ! وماشأنها هى ؟ .. طارق ضم ساقيك ..» .. «طارق .. لا تجلس هكذا .. » ... طارق .. طارق .. دائما طارق ..

ليس أمامها غير طارق .. لقد رأيتهما بعينى .. لو يعلم أبى بما حدث فى البيت .. أوه .. » ـ وأحس بجسده يرتعش فى قوة .. كما لو أن آلافا من النمل تهرول فى ذعر تحت جلده ...

واقترب طارق من المدرسة ، ووقع نظره على عبد النبى البواب بوجهه الأسود الطيب يقف هناك بجوار السور ، وتنهد فى عمق كأنما ينفض شيئا قاتما عن نفسه ، وبدا وجهه الصغير متعبا .. حزينا .. بينما يده الخالية لا تزال منقبضة فى عنف .. تهدد شيئا ما ..

منذ أيام ، كان كل شيء يجرى عاديا فى نظر طارق . حين يعود من المدرسة يجد أمه واقفة فى البلكونة ، وتبتسم له ويدخل البيت ، وتبقى هى تنتظر عودة أبيه . غير أنه فى الايام الاخيرة لاحظ فى شيء من الضيق أن أمه حين تكون فى البلكونة ، فانها تتحدث عادة مع الرجل صاحب محل الادوات الصحية . وجاء يوم شعر فيه طارق أنه فقد الابتسامة التى تستقبله بها أمه ووجد نفسه فجأة يكره الرجل . ويكره الموتوسيكل الذى يضعه بجوار البلكونة .. بدأت الظنون تتسرب الى عقله قطرة . . قطرة . . وراح يرقب حركات أمه ، فحين يراها تخرج الى البلكونة يتسلل خلفها وينزوى فى ركن الحجرة ، يسمع حديثها وضحكاتها ويشعر باحساس غامض من الضيق والخجل . وفكر طارق أنه أمر عادى أن تقف أمه فى البلكونة وتكلم الجيران ، وتحمس لهذه الفكرة ، فقد شعر تجاهها براحة تطفىء تلك الاحساسات الغامضة التى تسربت اليه فى الايام الاخيرة غير أن ظنونه سرعان ما اتخذت صورة اخرى أعنف وأقسى ، فقد جذب انتباهه شيء لم يلاحظه فى بادىء الامر .

كانت أمه عادة تظل واقفة فى البلكونة حتى وقت معين .. فيجدها تندفع الى الداخل ، ووجهها مشرق ، وحركاتها مضطربة حتى أن عينيها لم تكن تراه فى جلسته خلف باب البلكونة ، وبعد دقائق يدق جرس الباب ، ويدخل أبوه وبزغت الفكرة فجاة فى رأسه .. انها تخشى أن يراها والده واقفة تحدث هذا الرجل وتضحك معه.. ليس الامر عاديا كما كان يظن اذن فهناك شيء.. وتخيل على الفور وجوه زملائه فى المدرسة وهم يضحكون ويتغامزون حين يقص عليهم ابراهيم حوادثه مع الخادمة .. ولم يعد طارق يجرؤ على الخروج الى البلكونة وراح يقضى أكثر وقته يتأمل وجوه اخوته وأبيه وكأنه يراهم لاول مرة ويتخيل نفسه فى بعض الاحيان وقد أمسك بالرجل وراح يضربه ويعضه حتى يجعله يصرخ .. ووجد نفسه فجأة يتعمد أن يخالف أوامر أمه، وكان هذا يعرضه للضرب فكان يتقبله فى زوبعة من البكاء .

وذات يوم عاد من المدرسة ولم يجد أمه فى البيت .. وحين دخل والده وساله عنها اندفع يصيح « لا أعرف انها تخرج .. تخرج .. تخرج .. تخرج دائما » ودهش والده وصفعه على وجهه قائلا .. «لاتتكلم هكذا مرة اخرى يا كلب » ، حين عادت أمه ناداها والده فى الحجرة الاخرى ، وبعد برهة رجعت ، ووقفت ترمقه فى قسوة . . واضطرب طارق وأحس بندم شديد ، وراح ينظر الى أصابع قدميه .

سألته أمه : ماذا كنت تقول لابيك ؟

فقال فى خوف : لم أقل شيئا ·· انه ضربنى ·

وجاء صوت الاب من الحجرة الاخرى انتهى الموضوع يانفيسه ·· لقد ضربته

وتمتمت الام : آه يا كلب ·

واجتاح طارق شعور بضآلته وعجزه وتمنى أن يزجره أحدهم حتى يبكى ·

وأمس فقط · عاد من المدرسة ·· وفتحت أمه الباب ، وحين دخل الشقة سمع صوت دق يأتى من المطبخ ، فنظر اليها ، ولكنها أقفلت الباب ولم تعره انتباها ، وعند مروره بالصالة فوجىء بالرجـل واقفـا فى المطبخ قرب حوض الحنفية بقميصه الازرق الحريرى وذهل طارق واتسعت عيناه حتى صارتا فى حجم القرش ·· وجرى الى حجرة النوم كان يلهث ووجهه شاحب ، وشفتـاه فى لون الرماد ·· ووجـد شقيقيه الصغيرين يتشاجران فى الحجرة وحين أبصرا به اندفعا ناحيتـه فى صياح يجذبان يديه وقميصه ·· انها برتقالتى يريد أن يأخذها ·· فيتعثر الآخر فى خطواته ، ويجيب فى لعثمة : برتقالتى ·· انت ·· تأخذها ·· وهجم فى خبث الاطفال على شقيقه ليختطف البرتقالة ، غير أن الآخر كان متيقظا فزاغ منه خلف طارق ، ولم يجد هذا بدا من أن يمسك البرتقالة ويرميهـا فى غيظ الى أقصى الحجرة · ومط الصغير بوزه يريد أن يبكى ·· فى حين وقف الآخر مترددا ينظر الى وجه طارق والى البرتقالة ، ثم اندفع مرة أخرى ناحيتها · وما أن رأى الصغير ذلك ·· حتى امتص كل دموعه وقذف بنفسه الى المعركة ·

ومرت لحظات بطيئة ·· ثقيلة ··

وطارق يدور فى الحجرة حائرا ، وأفكاره تتخبط فى رأسه ثائرة ·· مضطربة ·· يرى شـقيقيه وقد انزويا فوق السرير يقتسمان البرتقالة ·· وينظران اليه فى وجوم ·· ويفكر ·· لو انه يستطيع أن يثيرهما ويجعلهما يتشاجران ·· ويقترب من باب الحجرة ثم يعود ·· ثم يقترب ·· ويعود ·· ويتذكر أن الرجل دعك أنفه مرة · ·ويحاول أن يبعد تلك الصورة عن ذهنه ·· ولكنها تلح على تفكيره فى عنـاد ·· ويحس بالغضب ، ويسـتقر رأيه على الذهاب الى المطبخ ، فيندفع خارجا محدثا ضجة بيديه وقدميه ، ثم يقف بالصالة مترددا ، يقضم أظافره بانفعال وأسنانه تصطك ، ووجهه يرتعش ، ثم يدور فى بطء ، ويعود الى الحجرة وقد ازداد تحطيمـا لأظافره · ودق جرس الباب ، وكاد يصيح فى فرح ·· أبى ·· وانطلق يفتح الباب ، وتعلقت يداه فى شغف بذراع أبيه ، فزمجر والده ·· ماذا حدث ؟

فابتسم طارق فى وجهه ، وانفرجت شفتا الاب عن ابتسامة باهتة ، وامتدت أصـابعه تعبث بشـعر ابنـه ، وازداد التصاق طارق به ··

وأقبلت الام فى تمهل وهمست له : الاسطى محمود بيركب الحوض الجديد فى الداخل ··

وبدا القلق على وجه الرجل ، وجذب ذراعه من أحضان ابنه قائلا : طيب ·· طيب ·· احضرى الغداء الى حجرة النوم · ونفيسة أدرى بطباع زوجهـا ، وتعرف وجود الغرباء يسبب له الضيق والخجل ، ودائما يترك لها مقابلتهم ، فهزت رأسها وانثنت تعد له الغداء ·

وتسلل الزوج الى حجرة النوم فى صمت ، ومرت لحظات وطارق فى وقفته لا يعى شيئا ·· وفى هذه المرة شعر بقوة خفية تدفعه الى المطبخ ، استقبله الأسطى محمود مبتسما فى أدب ··

أهلا طارق ··

وطاف بذهن طارق أن يصيح فيه·· لم جذبت أنفى ؟

كانت أمه فى مواجهته ترقب يدى الرجل وهما تعملان فى تركيب الحوض وقد استحوذ العمل على كل انتباهه · ومرت دقائق صامتة ·· وتحركت قدما طارق فى قلق ·· وشعر أنه غير مرغوب فيه ، فراح يعبث بأدوات المطبخ ·· يفتح علبة الملح ثم يقفلها ، يرفع الكوب ويشمه ·· ويوجه نظرات عدائية الى الرجل ·· ويفكر لو أن أمه كعادتها أمرته أن يذهب الى حجرته ·· فانه سيرفض ليحدث ما يحدث·· وانتظر·· ولدهشته لم تامره أمه أن يغادر المطبخ، بل راحت تتحدث الى الرجل فى صوت هادىء :

ـ انتبه ياأسطى محمود ·· فلاتريده عاليا ·· نعم نعم ·· هذا يكفى ··

ويرد الرجل : حاضر يا ست نفيسه حاضر ·

وتقابلت نظرات طارق مع أمه ·· وشعر أنها ستأمره فى هذه اللحظة أن يذهب الى الحجرة ، فاستدار فى عصبية وخرج ·· ومر وقت وهو راقد فوق السرير ·· ولسبب ما ·· شعر فجأة برغبة فى أن يرى ما يحدث هناك ·· فتسلل فى حذر ، وكمن فى الصالة بجوار باب المطبخ ، ومط رقبته وراح ينظر بنصف عين ·· كانت أمه لاتزال واقفة وظهرها اليه ·· والرجل بعيد عن نظره · ·وطال انتظار طارق ·· لم يكن يعرف ماالذى ينتظر حدوثه ·

وتملكه قلق عنيف خشية أن يراه والده فى هذا الوضع ·· وحين استقر رأيه على العودة الى الحجرة ·· أبصر أمه تتراجع ، فعاد على الفور يتشبث بالجدار وأدارت الام رأسها فمال الى الخلف وهو يمسك زفراته ، ثم عاد يتلصص بنظره · كان جزء من وجه الرجل قد ظهر هذه المرة ، ولم يعد طارق يسمع أصوات الدق ، وخيل اليه أن كل شىء حوله قد توقف عن الحركة، وان السكون قد خيم فجاة على المطبخ والبيت ، ثم تناهى الى سمعه همسا متحشرجا وكثر تراجع أمه ، واستطاع أن يرى وجهها كان منقبضا ·· وعيناها مذعورتان ·· ولمح يد الرجل تمتد الى ذراعها ، وفكر طارق : ستصفعه أمه الآن ·· ستصفعه غير أن أمه جذبت ذراعها من قبضة الرجل · ·وتراجعت وأصيب بخيبة أمل ·

ثم عاد يفكر فى يأس : ستصفعه الآن ·· الآن ·· ورأى الرجل ينهض فى تثاقل ويقترب من أمه ، وخيل لطارق أنها المرة الاولى التى يرى فيها وجه الرجل ·· كان أسمر شاحبا ، وشفتاه تنفرجان من حين لآخر كأنما يهمس بشىء ما

وتنبه طارق ·· فقد كان يلعق حافة الباب بشفتيه ، ومسح فمه بسرعة وعاد يفكر ·· لم لاتضربه أمه ؟ لم لاتضربه ؟ وحاول أن ينصت الى حديث الرجل ·· ولكنه لم يسمع سوى دقات قلبه ·· كانت تنبض فى قوة ·· حتى خيل اليه

أن أمه هي الاخرى تسمعها ٠٠ وانتابه الذعر حين رأى يد الرجل تمتد الى كتفها ولا يدرى ماذا حدث بعد ذلك ٠ فقد وجدهما فجأة يلتفتان نحوه ٠ وشعر للحظة خاطفة أن صوتا ما قد انفلت منه منه ٠٠ أشبه بآهة ٠٠أو أنين٠٠واندفع دون وعى يعـــدو الى حجرته ، ورمى بنفسه بين شقيقيه ، وراح يعابثهمـــا وجسده ينتفض من الخوف ، وســـمع خطوات أمه تتجه الى الحجرة ، وتشبث بشقيقيه ، وحاول أن يضحك، واقتربت أمه ٠٠ وفى حركة سريعـة أدار ظهره للباب وراح يدغدغ شقيقيه بأصابعه ، وهما ينظران اليه فى دهشة ، ثم أحس فجأة بعينى أمه تحرقان ظهره، فارتجف وخشى أن تلحظ أنفاسه اللاهثة ٠٠ فرفـع يده يضغط على فمـه ٠٠ ثم عاد وخفضها فى سرعة ، وارتبك ٠٠ يجدر به أن يقبل شقيقه ٠٠ كلا ٠٠ يضحك نعم يضحك ٠٠ هل هى واقفة ٠ ٠لو يستدير لحظة ٠٠ لماذا توقف عن اللعب مع شقيقيه ؟ أوه ٠٠ لم تعد فائدة ٠٠ لقد عرفت ٠٠ عرفت ٠٠

وفى اللحظة ذاتها سمع خطوات أمه تعود ٠ ٠وارتمى فوق الارض ، لم يكن يفكر فى شيء ٠٠ فقط كان يحس أنه متعب ٠٠ متعب ٠٠ ويريد أن يبكى٠٠ وحين قفز شقيقاه فوق بطنه ليداعبانه لم يشعر بالرغبة فى أن يمنعهما ٠

ومرت الساعات الباقية من النهار ٠ لقد جرب النوم ليبتعد عن نظرات أمه ، ولكنها دائماكانت تدور حوله ٠٠تجلس بجـواره ، وتحـاول أن تحيط كتفيـه بذراعها ، فيتظاهر أنه عطشان ، يحس بعينيها تتبعانه حين يقف أو يخرج ٠٠ وحتى حين جذب الغطاء على وجهه وفى هذا المساء ٠٠ وقبل أن ينام ٠٠ شعر أنه يجب أن يفعل شيئا ما ، وتولدت فى ذهنه فكرة الهرب ٠

انتهى اليـوم الدراسى ٠٠ وخـــرج طارق مع زملائه يتواثبون ناحية البوابة ويجذبون عبد النبى البواب من البالطو الاصفر ، وحقيبتـه الجلدية خفيفـة فى يده ، لقد أكل نصف الطعام الذى كان بها ، ووزع الباقى على زملائه ٠ وبجوار سور المدرسة ٠ وقفت الشلة الصغيرة تلعب البلى ، وأخذهم الحماس ، وتعارك طارق مع أحدهم ، وأصر على أن يخاصمه ثلاثة أيام ، ثم تصافحا ٠٠ ولعبا معـا مرة أخرى ٠ وفى نهاية اللعب جـــذب حقيبته وسار يفكر فى القرش الصـاغ الذى كسبه من الاولاد ٠٠ وتوجه الى الترام ليتعلق به حتى البيت ٠٠ وحين طاف الترام بذهنه٠٠ تذكر كل شيء٠٠ وتوقف عن السير ٠٠ وفكر فى ضيق أنه لم يكلم مصطفى لينام عنـــده ٠٠ ليس هذا مهما ٠٠ سيذهب اليه الآن ، غير أنه لايزال واقفا مترددا٠٠ وجبينه يضيق فى غضب ٠٠ ثم برقت عيناه ، وتمتم قـائلا : ولـم لا ٠٠ أذهـب الى السينما، وحين أخرج أتوجه الى مصطفى وأقول له أننى جئت لأذاكر معه ٠٠ ثم أقضى معه الليل ٠٠ وهكذا ٠٠

ونضجت فكرة السينما فى رأسه ، واندفع اليها فى حرارة ٠٠ لم يتغير من الأمر شيئا ٠٠ لن أذهب الى البيت ٠٠ وسأعيش٠ مع مصطفى كما قررت سابقا فقط سأدخل السـينما ٠٠ وليس فى ذلك شيء ٠٠ لاننى حر الآن ٠٠ أفعـل ما أشاء ٠

وحين خرج من السـينما ٠٠ كانت

ظلال الغروب تستلقى فى دعة ، والليل يقترب فى بطء واصرار ٠٠ وشد طارق من قسمات وجهه ، وتوجه الى البيت ٠

وطوال الطريق٠٠ كان يحس بشعور مبهم من الاشمئزاز ٠٠ والخجل ، كان يفكر وعيناه تتطلعان الى الناس فى حيرة كم هو سخيف ؟ يذهب الى مصطفى ؟ كيف فكر فى ذلك ؟٠٠ ووالد مصطفى ماذا يقول عنه ؟٠٠ وحين يساله ٠٠ لم ترك البيت ؟ ماذا يقول ؟ كم هو سخيف كيف فكر فى ذلك ٠٠ انهـا هى التى تترك البيت ٠٠ كيف يمكنه أن ٠٠ أوه ٠ ٠ماذا يفعل ٠٠ ماذا يفعل ؟ ٠٠

كان البيت يبعد حوالى مائة متر٠ لم يشعر أنه سار خطوة منها ٠٠ كان عقله يدور فى عنف ، ونفسه مثقـلة بهموم ٠٠ وأشياء لم يعد يشعر تجاهها بالرغبة فى أن يدقق ٠٠ لقد وصـل بتفكيره لى تلك النقطة من التشبع التى يبدو عندها كل شىء ٠ ٠وكل تفكير ٠٠ وكأنه واقع خارج نطاق الاحساس ٠ ٠ وشعر برأسـه تكاد تنفجر ٠٠ الحبـل قبل أن ينقطع تبقى به شعرة أو أكثر تمسك طرفيه ٠٠والبيت قبل أن يتهاوى تمر عليه لحظة تشقق ٠٠ ويبدومترددا ثم يهوى فجاة٠٠ تلك اللحظة المضطربة ٠٠ المذعورة ٠٠ التى يهتز فيها كيـان الشىء بجنون قبل أن ينتهى ٠٠ أحس بها طارق للمحـة خاطفة ٠٠ وبعـدها شعر بخيوط العرق اللزجة تبلل جسده وبأعصابه المشدودة تسترخى وتنكمش

وتسلل اليه احساس لذيذ من الراحة٠ كالتى يشعر بها الغائص تحت الماء حين يجد نفسه فجأة وقد وصل الى سـطح المياه ٠

وحين دق جرس الباب ٠٠ كان يبدو متعبا ٠ ٠خائر القوى ٠

كان والده يتناول طعامه ، والام على مقربة منه تخيط بعض الملابس المغسولة ووجهها الجميل تعكره سحابة خفيفة من الحزن ٠٠ وحين دخل طارق رفعت رأسها واهتزت عيناها فى استفهام صامت ٠٠ بينما بذل الوالد مجهودا سريعا ليبتلع اللقمة التى يلوكها فى فمـه ، وما أن انفلتت الى جوفه حتى صاح :

ـ أين كنت كل هذا الوقت ؟

وأجاب طارق فى ضيق :

ـ كنت فى المدرسة ٠٠ كان هنـاك لعب كورة ٠٠ وبقيت لأشاهده ٠

وزمجر الاب ، وراح يلقى فى صياح حديثا طويلا عن الاولاد الفاسدين الذين يهملون دروسهم ليلعبوا الكرة ٠٠ أو يتفرجوا عليها ، ثم انتقل يسب آباءهم الذين يعطونهم الفرصة لذلك ٠

وخلع طـارق ملابسه فى هـدوء ٠٠ كان يشعر بعينى أمه تدوران حوله ٠٠ ولم يحس لذلك بأى اضطراب ، ومرت ساعة ٠ وتنبه الوالد لما يحيط بابنه من غموض ٠ فسأله :

ـ ماذا بك ؟

وأجاب طارق : لاشىء ٠

قال الاب : انك تبدو مريضا !

وشعر طارق بالرغبة فى أن يمرض وما أن طافت هذه الرغبة فى ذهنه ٠٠ حتى أحس بالدموع تندفع الى عينيه ٠

وسأل الاب مرة أخرى : هل تشكو من شيء ؟

فرد طارق : عندي صداع فقط • • ثم آنفجر باكيا •

وقال الاب في دهشة : عندك صداع وتبكي ؟

وازدادت شهقات طارق •

فصاح الاب : انك تبكي كثيرا هذه الايام •• ماذا بك ياولد ؟

وتنحنح طارق •• ثم اندفع يبكي في حرارة •

واقترب منه والده ، وراح يلاطفه حتى سكت عن البكاء ، وأخذه لينام معه في حجرته •

وظلت الأم صامتة •• تخيط الجوارب وعيناها ترقبان وجه ابنها في دقة وحزن • وفي الليل حين نهضت لتجذب الغطاء على الصغار • عن بها أن تذهب الى الحجرة الاخرى ، كان طارق يحيط بطن أبيه بذراعه، ووجهه الصغير ملتصق بكتفه الضخم ، وساقاه عاريتان والغطاء مكوم عند أقدامهما ، وشخير الوالد يرتفع هادئا • •مطمئنا ••

وجذبت نفيسة الغطاء•• وأحاطتهما به ، ثم مدت يدها في رهبة تملس على شعر طارق، كانت تقاطيع وجهه شاحبة •• رائقة كصفحة ورقة بيضاء ••

وأقفلت المرأة الباب وعادت الى حجرتها •• كان ضوء الشارع لا يزال يتسلل خلال فتحات الشيش••ورقدت نفيسة على السرير ، ولفت ذراعها حول رأسها •• وراحت تنظر الى مربعات الضوء المنعكسة على الجدار المقابل خيل اليها أنها لمحت بينها وجها صغيرا شاحبا •• كان ينظر اليها •• ويبتسم في حزن •

سرقة ليلة عيد الميلاد

للكاتب الانجليزي : ا. و. ماسون
ترجمة : بديع حقي حنا -

جئت تحدوني في الآمال العراض ، فان مستر فيلكس وهو أعزب في الخامسة والستين من عمره كان مشهورا عنه أنه جعل من دولاب معين لديه ولمدة ثلاثين عاما معبوده .. ويمكن لامير هندي او مليونير أن يقوم بجمع التحف ولكن مستر فيلكس وهو ليس بمثل هذا الثراء كان يقوم بانتقاء كل قطعة من تحفه على حدة في عنـــاية ودقة متناهيتين ولم يكن يحوز الا الأحسن وكان هذا الأحسن محفوظا بدقة متناهية في حواشي من القطن وموفق بكل منها بطاقتها الخاصة ومسجلا عليها مواصفاتها بخط رشيق جميل . .وكلها موضوعة في ذلك الدولاب في مجموعة من الادراج يمكن لمتمرن مثلى أن يفتحهـا بدبوس شعر .

كان الدرج الأعلى يحتوي على جعارين وأنا لست خبيرا بها ، أما الثاني فيحتوى على تماثيل مختلفة منحوتة بدقة رائعة .. ومن خلال ضوء مصباحي انتقيت خمس أو ست قطع منها قبـــل وضعهـــا في حقيبتي ويحتوى الدرج الثالث على زمردة مفردة تساوى قيمتها فدية ملك.. ثم مشبك بحجران من الياقوت وقلادة من اللؤلؤ الأسود تتدرج في أحجامها بمقياس شعرة .. وعند ذلك عرفت أنني - وقد قرأت ذلك حتى في الطريقة الرائعة المثلى التي نظمت بها المجموعة - الكاملة مع فنان أصيل .. وتنهدت إذ أن فناني هذا العـــالم يعيشون على افتراس بعضهم البعض.. وكان الدرج الرابع خاصا بالتحف الدقيقة وكلهـا محلاة بالماس ثم الخامس الذي خصص لعلب النشـــوق . منها المصنوع من الذهب مزين بنقـــوش ملكية وآخر مصنوع من صدف السلحفاة والذهب.. وغيره . وقد أحدث اثنان منهما عند سقوطهما في الحقيبة رنينا أفزعني بعض الشيء وتمهلت لحظة ثم نظرت خلفي

وكانت النافذة لاتزال مفتوحة كما تركتها أما في الخارج فكان الليـــل بصقيعه دون رياح .. وكانت الثلوج التي تتراكم فوق أسطح المنازل تسطع تحت قمر شـــتوى قرب ربعـــه الأول بالانتهاء .. ولكن ورغم أن الليلة كانت دون رياح فان تيارا من الهواء نفذ داخل الغرفة فأدى الى تراقص شـعلة النار في المدفأة التي كانت منذ هنيهة ضعيفة في شبه حزن .

وكانت الآلات الوترية التي يأتي صوتها من الدور الأرضي في شغل ح أنغام موســـيقى الفالس الراقصة فقد كان مستر فيلكس يقيم حفلا لعيد الميلاد

واستدرت بعد هذه النظرة السريعة لألتقط علبة نشوق أخرى .. وعندما أمسكت بها أصابعي ارتفع فجأة صوت الموسيقى ورفعت نظرى لأرى واقفا عند عتبة البـــاب رجلا حقيرا ربع القـامة يرتدى الملابس السوداء .

هزته المفاجأة ولكنه بعد لحظة قال « آه . لا تؤاخذنى يا صديقى ولكنك تبحث فى الدرج الخطأ » .

وقبـل أن أتمـــالك نفسى مشى الى النافذة وأغلقهـــا وأردف قائلا « من الافضل أن تظل ساكنا لكى يمكننا أن نتفاهم » وللعلم فان بالمنزل خدم بالدور الأرضى . أما اذا ســولت نفســك الهروب من حيث أتيت فســتجد فى انتظارك ثلاثة من رجـــال البوليس على مسافة يسيرة من هنا كنت استأجرتهم لتنظيم مرور العربات ولكنهم وقــد وصل الآن آخر الضيوف فسيستريحون قليلا . ثم لدى صفارة غدارة أيضا .

وأدار يده وفتح دولابا قريبـــا من النـــافذة ودسها بين محتوياته وأخرج الغدارة ثم أضاف قائلا « أنها معبأة » قالها باللهجة العملية التى لم يعتورها ـ بعد كلمة الاستعجاب القصـــيرة الأولى ـ أى خلجة أو انفعال .

وأمام كلّ هـــذا قلت « دعنـــا بكل الوسائل نتكلم »

كان فى ســبيل العبـور الى المدفأة ولكنه استدار بحدة عند سماعه لصوتى وقال « آه . رجل متعلم كما يبدو ثم وضع غـدارته على رف قريب وأخذ ورقة مطوية من زهرية قريبة وانحنى واشعلها من نار المـدفأة وقام باضـاءة الشموع فى شمعدان من الطراز القـديم كان موضوعا فوقها وكان عددها خمسة قام باضاءتها جميعها .

وقد ظهر على ضوء الشموع أنه حليق الذقن والشارب وخط الشيب شعره مرتديا الاسود فى اناقة تامة .. ســترة ســوداء للســهرة . وصـديرى مفتوح وقميص منشى لابـد وانه اســتغرق الساعات فى غسله وكيـه .. وشراب حريرى اسودوحذاء أسود لامع ..وقد تبينت فى اللحظة الســابقة قبـل ان يستدير ناحيتى انفه الكبير وابعادراسه الضخم المتناسق مع انفه .. وكان يصح أن يعتبر حجـم الراس الغير طبيعى نشازا لولا الكتفان العريضـــان اللذان يحمـلاها .. وعنـدما واجهنى بكليته وظهره للمدفاة كان صـــدره وكتفاه يتدرجان فى رفق الى فخذيه الرياضيين ثم يستمران فى الضيق حتى ركبتيــه فارجله واخيرا قدميه الذى يمكن لاى امراة ان تفخر بهما .. وذكرنى وهـو فى هــذا الوضع بمصارع ثــيران كنت رايته منذ اعوام وهو يواجـه ثورة فى حلبة مصارعة الثيران فى مدينة سيفيل .. وكان يحمل معطفا اسود على ذراعه اليسرى وفى يده قبعــة اوبرا مغلقــة ملتصقة بجنبه الايسر .

وعندما اغلق النافذة ثم عندما بحث وأخرج الغدارة ثم أخيرا عند اشعاله للشـــموع كان يســـتعمل يـــده اليمنى فقط .

وقطب حاجبيه محدجا بى وســـال « سيد مهذب ؟ » .

وقلت وانا اضحك ضـحكة مريرة كانت فى حدذاتهاتفصح عن تربيتى التى

لم يكن يناسبها هـذا الموقف الشائن «حسنا» ربما تكون أحـد هؤلاء الذين يخلطون بين النشأة والسلوك الشخصى .. ولم يتركنى اكمل واجاب دون أن يبدو منه مقاطعتى « الى حد معين .. وانى اتصور ان كلنا يفعل ذلك » وقلت « ومع كل فان لى أن اتحدى ذلك .. ولكن يمكنك ان شئت أن تسـميني رجلا .

نال بعض التعليم .. لقـد كنت فى كلية ماجدالين فى وقت ما ولكنى تركت اوكسفورد دون ان احصل على مؤهل علمى .

ومال براسه جانبـا وقال « آه .. لعب الورق » .

واجبت بحرارة « مؤكـد لا .. انى مؤمن بأن الظواهر ضـدى غير أنى لم اكن من مثل هذا الطراز .. الواقع ان ماحدث كان نتيجة لمراهناتى فى سباق الخيل » .

واومأ براسه وقال « اذا فانت الآخر رغم عدم تحديك لاترضيك التفرقة بين نشأتك وسلوكك الشخصى نحن نختلف فى وضع الخطوط ولكن كل منا يرسمها فى مكان او آخر .. ماجدالين ايه ؟ اذا لم اخطىء فان قدامى ماجدالين بما فى ذلك بعض خريجى دفعتك مجتمعين فى هذه اللحظة فى بهـو الكلية احتفالا بعيد الميلاد يسـتمعون الى المترنمين بأغنية « جلوريا »



قلت « هذا التذكر يؤلمنى اذا كان هذا مدعاة لرضائك »

ولمعت عينا مستر فيلكس وقال «عاطفى مرهف الحس ؟ احسن واحسن فلدى المهمة التى تناسبك تماماً .. ولكن هذا مجاله بعد قليل .. ومع ذلك فدعنى أقول لك بانه لابد وأنك سقطت لثوك عندى من السماء .. الواقع انك لابد وان تكون كذلك . ولكن رجائى الا تعود نفسك على ذلك فقد كلفتنى هذه التحف الكثير .. وربما كلفت آخرين أكثر . فعلبة النشوق مثلا التى كنت ممسكا بها منذ لحظة كلفت فى وقت من أوقات تاريخها . اى نعم ودفع فيها حوالى المائتى مليون جنيه وبدأ يداعبنى الأمل بانى اتعامل مع رجل مجنون . ولكنه إستطرد مصححا نفسه وقال « أو بالحرى المبالغ التى رفعت من اجل تنشيقة واحدة من نشوقها .. ارجو ان تفتحها بعناية فستجد بها نفس النشوق الأصلى الذى بسببه قامت الحرب بين فرنسا والنمسا .. فقد رفض يا سيدى وزير النمسا المفوض بعد ظهرة احد الأيام المنكوبة ان يأخذ من العلبة التى بيدك ما كان مستعداً بسرور أن يشتريه بعد ثلاثة اسابيع ـ ولكن بعد فوات الوقت بملايين عديدة .. يمكنك ان تلاحظ التاج الامبراطورى اللى الغطاء ومن حوله النحل .. لقد اشتريتها بنفسى ياسيدى بستة جنيهات من أحد تجار العاديات فى شارع « فواد » ولكن السعر سيرتفع قطعاً .. وانى أجزم بأن سعرها سيصل الى ثلثمائة جنيه على الأقل عندما يحين قضاء الله وأترك هذه الحياة .. وثلثمائة جنيه ستكون لها قيمتها عند اقامة نصب تذكارى لى.

ورددت قائلا «نصبك التذكارى؟» .

وأوما ثانية وقال « ستسمع عنه فى الوقت المناسب ويبدو انك ستكون مستمعا ممتازا . ان لديك مواهب لاتحسن استغلالها . يكفى الآن انأقول اننى عاطفى ومرهف الحس مثلك .. واننى لم أتزوج قط ولم أنجب أطفالا وليس لدى سوى ثقة مهزوزة فى المستقبل ولكن احساساتى عطشى تريد أن تثبت حقيقة وجودها . ربما عن طريق نوع من الاستمرار والخلود .. ومع ذلك فلايمكن أن اناقش هذا الموضوع فى هذا المكان فى وقت مثل هذا .. فانه كما يتبين من صوت القيثارات فقد أوشك الرقص على الانتهاء وسينفذ صبر ضيوفى . ثم توقف عن الكلام برهة واقترب منى وقال « آه .. ولكن اسمح لى » ثم مد يده وامسكنى فجأة من ياقتى .. واعتقدت انه قبض على واننى اخذت على غره فلم أكن على استعداد لما حدث وتراجعت خطوة موجها قبضتى استعدادا للضرب . ولكنى شعرت فى هذه اللحظة بيده تتراخى بحركةسريعة وكأن اصابعه تدق فى مؤخرة راسى وسمعته يضحك .. ولكن وقبل أن أكيل الضربة قفز الى الخلف ممسا بيده ارنبا أبيض اللون وقال « خدعة بسيطة ايه .. وقديمة » .

ثم فتح قبعته الاوبرا واسقط فيها الارنب ورمى بيده وراءه واخرج أرنبين أبيضين من اذنيهما وتابع حديثه قائلا « ولكنها ستبعث السرور الى نفوس

اصدقائى الصغار فى الطابق الارضى .. والواقع انى اتمرن على ذلك بين الحين والآخر » .

ووضع الارانب على أرض الغرفة حيث هزت نفسها وقفزت مسرعة لتحتمى بستائر النافذة وقال « انت بالذات الرجل الذى اريده .. وسأجعلك كما يقولون تفنى من أجل عشائك » ثم خطا نحو الدولاب واخرج رداء قرمزيا محلى بالفراء الابيض واستطرد قائلا « كنت أنوى ان ارتديه شخصيا » ثم توقف فجأة لما بدى على وجهى من تعابير وبدأ يضحك بطريقة جعلتنى اتمنى لو امسكت بتلابيبه .

ـ لا .. لا .. انى أفهم مايجول بخاطرك • توارد خواطر ·· قاعة المحكمة ايه .. ولكن ليس هذا روب محاكمة يا صديقى • ان هذا ملك «لسانتاكلوز» وهذا هو شعره المستعار نوع آخر من الشعر المستعار كما ترى يحيطه باكليل من الورود .. وهذه لحيته منثور عليها الفضة وكانها البرد « ثم رفع الشعر المستعار واللحية ناحية الشباك ليداعبهما القمر بضوئه وقال « البس بسرعة وكذلك هذا الحذاء ذا الرقبة ، ودس يده فى الدولاب واخرج زوجا من الاحذية الطويلة مثبتا فى اعلاه القطن ليبدو كالثلوج .

وبعد ان تدثرت بكل هذا خطا الى الخلف ونظر الى متمعنا بينما كنت اثبت اللحية وقلت « ارجو ان تتذكر ان هناك عقابا وعقابا وانه مهما كانت اللعبة فان أشد عقاب هو ان يلبس الانسان ليبدو كالابلة .

ـ ولكنك ستلمس روح اللعبة حالا وبدأ يدعك يديه ثم ظل يفكر لحظة وقال وهو ينظر اتجاه المدفاة وقال « الواقع انه كان يتحتم على ان اجعل سانتا كلوز ينزل من المدخنة وخاصة ان فوهتها تقع فى أعلى هذا المكان بالضبط وأعتقد انها كانت تسعك ولكنى لست متأكدا اذا كان خادم المنزل قام بتنظيفها هذا الربيع ام لا .. ومع ذلك فقد توقفت الموسيقى عن العزف ولايجب ضياع اى وقت . وسأنقذك من موضوع المدخنة .

ونادى على ارانبه والتقطها عندما جاءت تقفز من خلف الستائر ووضعهم فى قبعته ثم اغلقها وفى لمح البصر اختفت .

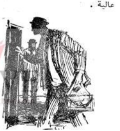
وتشجعت عندما خطا نحو الباب وقلت « لاتؤاخذنى .. ولكن .. ولكن هذه الاشياء الموجودة بالحقيبة ...

ـ اوه . احضرها معك بكل السبل .. فلربما تضطر ان تمنح هدية او اثنتين عند نزولنا الى المدعوين والقينا نظرة من اعلى السلم الى اسفل حيث كانت هناك ردهة مضاءة بالثريات المصنوعة من الورق ذات الالوان المختلفة الزاهية .. اما الشرفة وكذلك الصور القديمة المعلقة على الحائط فكانت جميعها مزدانة بالزهور المجدولة .. هذا بجانب نبات « الميسلتو » الذى كان يتدلى من ثريا كبيرة تلمع بمئات من قطع البللور المشطوف وتحتها اثنان من الخدم فى أزيائهم التقليدية الزاهية يعبران فى تلك اللحظة الردهة ومعهما اطباق من الحلوى والجيلى .

وكان الخادمان من ذوى الخبرة تعودآ الا يظهروا اى انفعال لما يحدث

فى منزل سيدهما .. وعندما شاهدانى اهبط السلم فى ملبسى المضحك لم يبد عليهما الدهشة بتاتاً ووضع احدهما صينيته على احدى الموائد وتقدم ببطء الى أن وصل مستر فيلكس الى آخر درجات السلم وفتح لنابابا على يميننا.

ووجدت نفسى فجأة عند مدخل غرفة احاول جاهداً الرؤية خلال شعله هائلة من النور تملأها .. وعندما حملقت الى ابعاد الغرفة التى طليت أرضها بالشمع وجدت عند نهاية الجهة المقابلة منصة عالية .



ولولا أن الضوء كما يعرف الجميع أسرع من الصوت لجزمت أنه وقبل رؤيتنا للنور وصل الى سمعنا أصوات متلاحقة .. اصوات اطفال سعداء .. اصوات صمت آذانى حتى قبل أن تلمح عينى مابالغرفة... والأطفال فى الغرفة بعضهم فى جماعات صغيرة والبعض الآخر لاهث ضاحك يستمتع بالرقص ثم يرتمى متهالكا من التعب على المقاعد الوثيرة المتراصة جوار الحائط .. ولكن هؤلاء كانوا القلة فغالبية المدعوين كانوا على العربات الخاصة بالعجزة او جالسين وبجانب كل منهم عكازه .. أما المهدلة ايديهم على سيقانهم فكانوا العميان منهم .. ورغم انى لست من المغرمين بالاطفال فقد تلهفت حسرة على هؤلاء الاطفال الصغار العجزة والمقعدين .. ولكن الصدمة الكبرى التى اثارت شفقتى وهزت كيانى هو ان كل هؤلاء الاطفال كانوا من فاقدى البصر وكانت هذه العيون الضريرة هى وحدها الرحيمة بى عندما أشار مستر فيلكس الى بصفتى « سانتا كلوز » أن اتبعه وسط صفين من العيون المحمقة بدهشة واستغراب وكانت أولى صيحاتهم عندما وقع نظرهم على عند مدخل الباب « اوه .. اوه » كان كل منهم يقولها بدوره عندما اخذنا طريقنا بطول الغرفة .. وكانت كل شمعة وكل عاكس ضوء وكل قدم من ارض الغرفة اللامعة وكانها مسلطة علىّ لأظهر بوضوح لجميع المدعوين

ودخلنا الى المنصة التى صبت لتشبه خشبة المسرح بواسطة بعض درجات من سلم خشبى صغير تحيطه الاعلام الملونة .. واشار مستر فيلكس بقبعته للغرفة الموسيقية لتعزف لحن « جنتلمان عجوز طيب » (وهو بذلك يقصدنى او بمعنى آخر سانتا كلوز .. وانى اترك لكم ان تتصورونى وانا اقف كالابلة ثم تقدم نحو اضواء المسرح وقدمنى شارحا للمدعوين الصغار بأنه قابلنى أتجول فى الدور العلوى منقبا بين اكثر ادراجه سرية لكى املأحقيبتى بهدايا الموسم لهم . وكان يتوقف بين الفينة والاخرى عن حديثه لكى يقطف

من لحيتي بخدعة من يده أنواع المكسرات والحلوى ليلقيها لمشاهديه . وقفز الاطفال افواههم دهشة بادىء الامر وحملقوا الى الغنيمة السحرية الملقاة على الارض دون أن يتحركوا .. ولكن وتدريجيا تقدمت طفلة الى الامام والتقطت احدى المكسرات ثم صاحت فرحة عندما تبين لها أنها حقيقة . وكان هذا بمثابة علامة الهجوم العام . واستمر فيلكس فى حديثه ولكن يده كانت تزداد سرعتها نحو لحيتي وشعرى المستعارين ثم تنهال المكسرات على ارض الغرفة كالمطر .

ورايت اطفالا يلتقطون البعض منها ويحملونها الى اخوانهم واخواتهن الضريرى البصر يضغطونها بين ايديهم المتعجبة المتحسسة مؤكدين لانفسهم بانها حقيقة . ورأى مستر فيلكس ذلك ايضا وتوقف سيل كلماته التى تحشرجت فى حلقه وبسرعة دون أن يلحظ احد توقفه - فقد كانت المكسرات تنهال من الشمال واليمين والاطفال يصرخون جماعات - قال : « اننى عاطفى » . وارتفع صراخهم وتجمع فى صيحة واحدة مدوية من الضحك .. وعندها

كان مستر فيلكس قد تمالك نفسه ودس يده فى رقبتى واخرج الارنبان وهما يتملصان بين يديه ثم فتح قبعته (الاوبرا) وادخلهما ليغلقها ثانية وفى ثوانى اختفى الارنبان فى الهواء ... ولكنه فتح القبعة ثانية وسحب منها ياردة وراء ياردة من شريط احمر واخضر وابيض وازرق واصفر مختلطا بكميات من ورق اللعب .. ثم وبخدعة اخرى من يده جعلها تلف فى الهواء وتسقط بعضها فوق البعض كاوراق الشجر .

وقال لاهثا « حان دورك الآن » قالها عندما انتهى الشريط ثم اخرج كرنبة هائلة الحجم وقذف بها لتدور حول الغرفة ثم أمسك بحقيبتى وهز رداؤه الخارجى عليها مرة واحدة وارجعها لى ثانية وهى منبعجة محشوة لآخرها بجميع انواع اللعب من عرائس وطبول وصناديق من الحيوانات وعساكر خشبية وغيره .

- والآن سانتا كلوز .. افسحوا الطريق لسانتا كلوز .

واصابتنى العدوى واندمجت فى الدور الذى كنت اقوم به ونزلت من المنصة وبدات فى توزيع الهدايا شمالا ويمينا .. ولم يكف توزيع الحقيبة المليئة الاولى سوى ثلث الطريق عبر الغرفة فانى كنت اعطى بسخاء وبكلتا يدى .. وعندما كان احد الاطفال العميان يتحسس لعبة لمدة طويلة ربما لانها لم تنل اعجابه كنت اسقطها عند قدميه واحاول مرة فاخرى وثالثة الى ان ارى ابتسامة الرضا على شفتيه وتبقى اللعبة حيث سقطت .. واخيرا اندمجت كلية بروحى وجدانى فى هذه اللعبة واصبحت مستهترا الى ان فرغت الحقيبة حين لمست يدى المجوهرات فى قاعها فاحسست برعشة باردة تهز كيانى ونظرت عبر الغرفة ولاحظت ان مؤونتى انتهت بينما لم يتسلم ثلثا الاطفال هداياهم .. وتفلت راجعا ملتقطا فى

طريقى اللعب التى كنت اسقطتها بين اقدام الاطفال ضربى البصر ..

والتقت عيناى بعينى مستر فيلكس الذى كان يومىء استحسانا لما كنت افعل واخيرا اخذ حقيبتى مرة اخرى ومرر رداءه الخارجى عليها وناولها لى ثانية وهى محشوة باللعب لحافتها

اما ثالث مرة فلم يكن قد تبقى من الاطفال سوى عدد ضئيل جلهم منطوال القامة الذين بقى ارضاؤهم . ولكن هؤلاء ايضا تسلموا هداياتهم — وعندما كان كل زوج من الايدى الملتهفة مليئا استدرت ثانية وانا فى انتظار الامر التالى

ولكن مستر فيلكس كان قد نزل من على خشبة المسرح تاركا الستار ينزل وراءه . ووقف وظهره لى ملوحا بكلتا ذراعيه للفرقة الموسيقية .. وعندما بدا الموسيقيون عزف سيمفونية «الالاعيب» ارتفعت الستارةبعد انزالها مباشرة .. ارتفعت عن منظر يمثل شارعا به حوانيت مزينة بمناسبة عيد الميلاد تغطى حافاتها الثلوج .

ثم وبينما لا تزال سيمفونية « الالاعيب » تعزف بدخل مهرج « البانتومين » ومعه رفيقته هو يراقصها ، ويقذف بها الى الشباك العلوى من حانوت الخباز . أما هو فيدخل حانوت السمك فى نفس الوقت الذى يظهر فيه «البلياتشو» بعصاه التى يتعثر سرواله بها بين الحين والآخر ويليه اثنان من رجال البوليس وقد تدثرا بعقود من السجق . ويتشاجر الجميع ويجرى الواحد وراء الآخر الى حانوت السمك ويخرج المهرجبعدها هاربا وبيده قطعة من السمك ثم يناولها الى البلياتشو وفى أثرهم رجلى البوليس . ولكن السماك وهو الاخير فى هده المعمعة يصطدم بالمهرج ويمسك الاخير برميلا من الرنجةويقذف بما فيه فى وجه الآخر .. ويقف الاثنان يواجهان بعضهما وهما يتراشقان بالرنجة . هذا بينما كان الاطفال يستلقون على ظهورهم م ن الضحك

وكان هذا البانتون المشهور اشارة بنهاية الحفل . فما الذى يقف بعد البانتومين بين طفل واحلامه السعيدة؟ وخصوصا وهوذاهب اليها ويداهمليئتان بهدايا عيد الميلاد . وبعد خمس دقائق من نزول الستار وجدت نفسى واقفا بجانب مستر فيلكس فى الردهة وهو يودع ضيوفه متمنيا لهم ليلة طيبة . ثم تحركت اثنتا عشرة ممرضة تامى الخبرة بين ارجاء الردهة وهم فى شغل بالباس الاطفال الذين كان يداعبهم النعاس من متعة السهرة لحد انساهم شكر مضيفهم ثم حملوهم خارجا الى الشرفة حيثكان الخدمبحلتهم القشيبة يقفون بجانب ابواب العربات التىكانت استؤجرت لهم واغلقت الابواب الواحد

بعد الآخر ثم وبدون كلمة أمر اخـذت العربات طريقها بين الثلوج المتراكمة .

وعندما رحل اخر ضيوفه استدار مستر فيلكس الى وقال « لقد انتهت المسرحية ولكن عندما ارحل عن هدير الدنيا فانها ستكرر عاما بعد عام ليلة عيد الميلاد فى مستشفى العجزة. فان وصيتى تتكفل بذلك .. وهذا سيكون نصبا تذكاريا . ولكن لبضعة أعوام اخرى فانى آمل ان اقيم الحفل هنا فى منزلى . تعال يمكنك الآن خلع ردائك وشعرك المستعار ثم تذهب فى رعاية الله . كان يسعدنى ان احدثك ولكنى متعب كما تعرف ، ارحل اذن تصحبك السلامة .

وطلب من خادمه ان يفسح لى الطريق ليصحبنى هو هابطا معى الى آخر درجات سلم الشرفة عند حافة الثلوج التى تغطى الشارع ثم توقف بينما اخذت طريقى راحلا وهو يلوح لى مودعا وانا فى سبيلى الى غياهب الليل .

ووصلت الى نهاية الشارع ثم الى الكوبرى المقام على النهر قبل ان ادرك انى كنت احمل الحقيبة . ثم كانت الصدمة عندما تذكرت انها لا تزال تحوى المجوهرات

وعند عمود النور الثانى فوق الكوبرى توقفت ورفعت الحقيبة ووضعتها على حافة السور المغطى بالثلوج ودسست يدى وسحبت خارجا .. سمكة رنجة سمك رنجة.. نعم كميات من الرنجة

الحمراء تملأ الحقيبة الى آخرها ... والقيت بخفة وراء ضفة من فوق السور الى المياه السوداء . ومع ذلك لا يزال يحدونى الامل ان اجد تحتها المجوهرات ولكن المجوهرات كانت قد اختفت . او على الاقل كنت اعتقد انها اختفت جميعها عندها ــ وذلك بعد ان قذفت بآخر رنجة ــ تحسست قاع الحقيبة.

ماذا .. شىء يشك اصبعى، سحبته ووضعته تحت نور المصباح. كان بروشا من التوركواز ومحلى بالماس . حملقت فيه لمدة دقيقتين على الاقل . وكنت فى منتصف طريقى لادسه فى صديريتى عندما اتخذت فجأة قرارا آخر وقفلت راجعا من حيث اتيت متجها الى المنزل

وكان مستر فيلكس لا يزال واقفا عند اسفل درجة سلم الشرفة .وفوقه وبدون حراك كالتمثال كان يقف الخادم بجانب باب المنزل الضخم منتظرا دخول سيده

ثم قلت وانا ممسك بالبروش « لا تؤاخذنى يا سيدى ... »

وقال مستر فيلكس بهدوء وادب جم « كنت اقصد ان يكون هدية منى اليك. لقد دفعت خمسة جنيهات ثمنا له فى احد المزادات . لكن قيمته تساوى ثلاثة امثال هذا المبلغ . ومع كل فاذا كنت تفضل مبلغا نقدا كما يهيأ لى فى مثل ظروفك الحالية .. » ثم دس يده فى جيبه واخرج خمسة جنيهات واعطاها لى قائلا : « ومرة اخرى . اذهب فى رعاية الله » .

القصة حول العالم

بقلم علي شلش

سومرست موم فى التسعين

لعل الشيخوخة هى أقسى مرحلة فى حياة المرء ، بل لعل هذه القسوة تزداد حدة كلما كان المرء فنانا او كاتبا أو شاعرا ، او مشتغلا بعمل آخر من أعمال الذهن . وكثيرون من الفنانين والكتاب والشعراء مروا بهذه المرحلة، لكن القليل منهم من سلم من هواجسها وويلاتها .

ولعل الكاتب القصصى سومرست موم من هذا القليل الذى يحاول ان يستمتع بشيخوخته ، وان ينسى انه شيخ طاعن فى السن . ومع هذا فان للسن حكما كما يقولون ، فقد احتفل بعيد ميلاده التسعين فى الخامس والعشرين من يناير الماضى ، لكن احدا من زائريه لم تفته ملاحظة ما اعتراه من وهن عام وضعف فى السمع والذاكرة على السواء ، كما سنتبين بعد قليل من التحقيق الذى كتبه الصحفى الانجليزى **ستيفن كولتر** ونشرته جريدة « **ذى صنداى تايمز** » .

وحياة سومرست موم سجل حافل بالمغامرة والتجربة والمجد . وقد سجل الكثير منها فى كتابه « **الخلاصة** » الذى نشر منذ سنوات . غير انه لم يكن يقصد من « الخلاصة » الترجمة لحياته ترجمة ذاتية بالمعنى المفهوم ، وانما قصد به ان يشمل القضايا الفكرية والفنية التى شغلته طوال حياته . ومن ثمة فهو لا يقف كثيرا أمام نشأته وسنواته الأولى ، وان كان يذكر انه فقد ابويه فى سن الطفولة ، وان اسرته احترفت القانون والمحاماة اكثر من قرن كامل ، وان عمه ــ الذى كفله بعد وفاة أبيه ــ اراد له ان ينخرط فى سلك الكنيسة ، لكنه رفض، فكان ان اختاروا له دراسة الطب التى لم تكن تروق له فى قليل أو كثير .

اما الذى راقه وملك عليه اهتمامه منذ طفولته فهو الكتب والقراءة التى وجد فيها راحة ومتعة كالتى يجدها البعض فى لعب الورق . فقد عكف على الكتب يلتهمها التهاما .. وبعد فترة أحس برغبة تدفعه الى الكتابة ، فبدأ بمعالجة المسرحية عام ١٨٩٨ ، اذ خيل اليه فى تلك الفترة أن كتابة الحوار

أيسر من كتابة الموضوع الانشائى .

وفى الفترة الواقعة بين عامى ١٨٩٨، ١٩١٤ كان قد كتب عشر مسرحيات لم تلق من النجاح ما كان يرجوه لها فقد هاجمه النقاد ولقى أعراض بعض أصحاب المسارح ، فكان أن كف نهائيا عام ١٩٣٣ عن الكتابة للمسرح . ثم اتجه الى القصة متأثرا فى البداية بالكاتب الفرنسى جى دى موباسان الذى قرأ له فى السادسة عشرة من عمره . لكنه ـ اى موم ـ يعترف بانه اخفق فى بعض قصصه ، معللا ذلك بظروفه المادية الشاقة التى كانت تحتم عليه فى بدء حياته أن يكتب ليعيش ، وأن ينشر ليأكل ويشرب .

ولا ينسى موم فى حديثه عن قضايا الفن القصصى أن يذكر ملاحظة جديرة بالاهتمام تتعلق بكتابة القصص التاريخية . فهو يحذر الكتاب الشبان من الخوض فى مثل هذه الموضوعات التى تتطلب دراية وخبرة لا تتوفران الا فيمن تقدم فى السن وحنكته التجارب ، لكنه يصرح للشبان بان يكتبوا عن أشخاص أو أماكن لمسوها وعرفوها عن قرب !..

وتعرض موم للقصة القصيرة فى كتابه القيم هذا فقال : انه لا يغالى اذا قال ان ساعة من الوقت يقضيها مع أى شخص تكفى لأن تلهمه موضوع أقصوصة كاملة . ومن ثم فهو يعجب لأن كثيرين من الكتاب يجهدون أنفسهم فى هذا السبيل بلا داع . ثم تحدث عن اتجاهه ومنهجه فى كتابة القصة القصيرة فقال :

((لعله من سوء الحظ أن أكتب هذه الأقاصيص على طريقتى الخاصة فى الوقت الذى كان فيه كبار الكتاب فى انجلترا يكتبون على طريقة تشيكوف. والحقيقة أن تشيكوف كاتب قصة ممتاز ، لكنه لم يكن معصوما عن الخطأ . ولقد فشل مقلدوه فى استيحاء خاصيته البارزة فى أقاصيصه ، وأعنى خاصية الغموض وعدم الاكتراث . غير أن الأقصوصة عندى هى موضوع واحد محبوك، ذو بداية ونهاية . ولعل هذا كان السبب فى ان فرنسا قدرت أقاصيصى أكثر مما قدرتها انجلترا)) .

وسومرست موم مولع بالأسفار منذ صغره. فهو يذكر كيف أنه أعد برنامجا ضخما لتعلم اللغات الأسبانية والايطالية واليونانية القديمة والعربية كى يقرأ امهات الكتب فى كل منها ، **وكيف أنه كان** يرجو انفسه **أن يقيم فى القاهرة** زمنا حتى **يتمكن من اللغة العربية ليقرا بها** كتاب ((**الف ليلة وليلة**)) **الذى** قراه مترجما **وأعجب به** . وقد أفادته هذه الأسفار رغم ما اعترضه ـ فى كثير منها ـ من أخطار ومتاعب . لكنه يعترف انها جعلت منه رجلا آخر وعلمته التسامح والاحتمال واستقلال النفس ، كما امدته جادة قصصه ، وهى مادة غزيرة لا يعدم القارىء لها ان يجد ظلالا كثيفة من ايطاليا واسبانيا وأمريكا والصين وبورما والهند وجزر الباسفيك وغيرها من البقاع التى زارها موم واقام بها .

واوم ـ عدا مقالاته ودراساته الكثيرة ـ ثلاث مجلدات من القصص القصيرة ، ونحو ١٢ رواية أشهرها : ((ليزا اوف لامبث)) ، ((الرق البشرى))، ((حد الموسى)) ، ((القمر وست بنسات)) ، وكذلك أربع مسرحيات

مشـــهورة منها : « الرســـالة » ، « الدائرة » .

نعود بعد هـذا التحقيق المسهب الذى كتبه ستيفن كولتر اثر زيارته لفيللا ماركيز التى تطل على الريفييرا الفرنسية ، حيث يقيم الآن الكاتب الشيخ ، وحيث يقضى هذا الشتاء لأول مرة فى حياته . وفى هـــذا التحقيق صورة حية لمرحلة الشيخوخة كما يمر بها كاتب معمر ذاع صيته فى العالم منذ نصف قرن ، وبيع من كتبه حتى الآن اكثر من أربعين مليون نسخة .

وننقل لك فيما يلى نص حديث كولتر مع شىء من الاختصار :

« **يقضى موم هذا الشتاء لاول مرة فى حياته بفيللا ماركيز على شـــاطىء الريفييرا الفرنسية ، حيث اعتـاد أن يجلس فى غرفة الاستقبال الرئيسـية على أريكة كبيرة خضراء اللون ، وقد تغضن وجهه وحفل بالتجاعيد ، بينما ترتسم على شفتيه ابتســامة توحى للنـاظر بانه امام رجل شرقى معمر ، ولا غرو فروح الشرق متغلغلة فى موم.** وقد حل عيد ميلاده التسعين وراح يستقبل زواره ومهنئيه ويقدم اليهم يده على الطريقة الفرنسية ، ويحجل بعض الشىء حين يمشى ، لكنه لا يتوكا على عصا . وهو يرتدى سترة قديمة بنية اللون مما يستعمله الرياضيون ، وبنطلونا من الفانلة ، وتنســدل حول عنقه كوفية حمــــراء ، تلمح تحتها قميصا بلا ياقة ، لكنه اعتــاد أن يغير ملابسه وقت تناول الطعام .

ورغم أن موم فى التســعين الا انه يبدو رجلا حساسا لم يفقد ذكاءه او مرحه او اعتداده بنفسه . وهو يبـذل كل ما بوســـعه حتى لا يخيب ظن زواره . كما انه لم يزل يرد على ٥٠٠ خطاب فى الاسبوع من قرائه فى جميع أنحاء العالم ــ واكثرهم من الشبان ــ يتولى هو بنفسه التوقيع عليها .

وقد تحدثت معه عن أسفاره التى قام بها فى اوربا فى الصـيف الماضى ، وفجأة قال متعجبا :

« لـــكننى أحب الشرق . اننى لا أستريح ولا اســـعد الا حين أكون فى الشرق . والشىء الوحيد الذى يمنعنى من أن أكون هناك الآن هو اننى ... فى الستين ... »

وعندئذ تلعثم الرجل فصـاح آلان سيرل صـــديقه ورفيق حيـــاته : « ... **التسعين** »

فقال موم : « **... التسعين ... ثمة اماكن احب الاقامة فيها ، واعرف اننى لو فعلت وذهبت اليها سأموت.. أريد أن أذهب الى كابرى لاننى بدأت حياتى هناك .. ان أطبائى يقولون : اذا أردت أن تذهب فلك ما شـــئت لكنك لن تعـــود .. ياله من موقف صعب ! »** .

قلت ان من العجيب ان أسمع رجلا فى التسعين يظل راغبا فى ان يفعل هذا وذاك ، فضحك موم قائلا :

« لكننى سعيد اذ رأيت كل هاتيك الأماكن منذ ستين عاما . . لقد طفت بالعالم كله ، ولقد كان الناس فى جميع انحاء العالم يبذلون كل ما بوســعهم كى يجعلوا الحياة هنيئة من أجلى» .. وعندئذ تحشرج صوته وبدا مؤثرا ..

وحين سألته عن أي مؤلفاته يريد ان يذكره النـــاس به ، قال : « **كعك وخمر** »

قلت : لماذا هذا الكتاب ؟

قال : لانني اســـتمتعت بكتابته للغاية .

.. كانت الحجرة الكبيرة في فيللا ماركيز عامرة بالشمس ، وبأشـياء اخـــرى بديعة ، منها ساعات اثرية وطيور من الصين اليابان ومخمل من جنوا وصقر ضـخم يقف على المدفأة وسجاد من الاوبيســون مفروش على الارض .. وفي هذه الحجرة يقضي موم معظم وقته . ويومه بسـيط . ففي الثامنة يحتسي القهوة في السرير ، ثم يتمشى في الحديقة اذا كان الجو ملائما ، كما أنه يحب المطالعة في الصباح ، وقد اعتاد ان يشرب كأسا من الويسكي في الحادية عشرة ، وأخرى من المارتيني « نوع من البراندي » قبل الغداء .. ثم ينام بعد تناول الغداء ويستيقظ بعد الظهر ، ويخرج للتريض ، ثم يعود فيقرا مرة أخرى حتى الســـادسة مساء ، ويتنـــاول كأسا أخرى من الويسكي ، ثم يتعشى مبكرا ، وما أن تحل الساعة الثـامنة والنصف حتى يكون في سريره .

سألت موم عن الكاتب الذي امتعه كثيرا في شيخوخته ، فقال :

« **جوته ، أوه ، نعم ، بالألمانية . لقد تعلمت الالمانية في هيدلبرج . فقد ذهبت الى هناك حين مات أبواي وكنت و .. و .. و ..** »

وعندئذ تعثر لسانه ، ورفع ذقنـه محاولا أن يتمالك نفســـه حتى تزول التأتأة . ثم قال : « ... وحيدا » . وهو يخشى ثلاثة حروف لايجيد النطق بها وهي : اللام والميم والباء المشددة . ثم استطرد قائلا :

« **لقد كانت تأتأتي تعـذبني طوال حياتي . أنت لا تدرى كم من القصص حبســتها في نفسي لانني خشيت أن تفسدها تأتأتي** » .

.. ثم سألته عن رأيه في حياته ، وهل تمكن من السيطرة على مصيره أم لا ، وعندئذ نظر الى وقال بحماس:

« **أوه ، لا ـ أوه ، لا ـ أوه ، لا . كان كل ما في حياتي من باب القسمة والنصيب . لقـد لعب الحظ دورا عظيما في حياتي ، خيرا وشرا** » !

وعقب سيرل بقوله : « **انه يقول انه كان يرتكب الخطأ تلو الخطأ** » . **فقال موم:« لا استطيع ان اسمع. فهو يعرف عني اكثر مما اعرف** »

وعندئذ اشرق وجهه .

ان ضعف سمعه يغمه ويحزنه : فهو قد جمـــع ثروة كبيرة عن طريق السمع . وهو مصـاب ايضا بضعف الذاكرة . فانت اذا ذكرت له قصة من تأليفه الآن تســاءل وقال : « لا ادرى ما تقول .. ماذا تقصـد ؟ » ـ فهو يسال سيرل مثلا :

« **متى كتبت قصة الامطار يا آلان؟»**

وقد ذكر آلان في معرض حديثه عن صديقه أنه أصبح موضوع عـــدد من الدراسات الجامعية ، وأن عدة درجات علمية منحت لدراسات عنه في جامعة طوكيو وييل وهارفارد . ثم روى نادرة

ضحك لها موم ، وملخصها أن امرأة التقت بموم ذات مرة فى مصعد ، فقالت له : « انت سومرست موم » ، انى اعرفك من صورك » فقال موم : « أرجو أن أكون أحسن مما عليه فى الصور » . وعندئذ قالت المرأة : « أوه ، لا ، انك أسوأ » !

.. وبعد فترة قال موم فجأة :

« سألتنى الآن أين اريد أن أدفن . واقول لك انى أريد ان ادفن فى كانتربرى » (الكاتدرائية المشهورة) وعندئذ استدار الان سيرل ناحيتى قائلا : « **لا أدرى ما السبب ، فهناك قضى صباه ولم ينعم بالسعادة** » واستطرد موم : «**لكن أحدهم اعترض على أن أدفن هناك** » .

وعندئذ تدخل سيرل ونفى واقعة الاعتراض ، لكن موم ظل متشككا برهة ، ثم قال متسائلا : « **أمتأكد أنت يا الان ؟** » . واجاب سيرل بالايجاب ، بينما كان موم ينظر اليه فى شغف وهو ينهض ويمد عنقه . ثم جلس واخلد الى الصمت . وكان يبدو أنه نسينا تماما . ولعله كان يسترجع أمرا قديما غاب عنه . وبعد برهة عاد فابتسم قائلا :

« آه لو تحقق لى ما أرجوه ودفنت بكانتربرى ، عندئذ سأكون سعيدا غاية السعادة » .

وبهذه العبارة انهى الصحفى الانجليزى تحقيقه الذى حاول ان يرسم فيه صورة لشيخوخة رجل شغل عالم الأدب ــ وما يزال ــ بثراء انتاجه وتنوعه . لكن ، هل روت الأعوام التسعون ظمأ موم ؟ .. لقد أجاب هو نفسه من قبل فى خاتمة كتابه السابق بقوله :

« لا أود أن أعيش حياتى مرة ثانية ، فقد شقيت فيها أكثر مما سعدت » !

زوايا وأنباء :

● وليام ماكبيس ثاكرى (١٨١١ ــ ١٨٦٣) من كبار كتاب القصة الانجليز فى القرن الماضى . . قالت عنه زميلته الروائية جورج اليوت عام ١٨٥٧ انه من أعظم الروائيين فى قصرها . وقد كان أول روائى انجليزى يتأثر ببلزاك ويحتذى طريقته فى الكتابة ، اذ يصور الحياة الاجتماعية فى عصره بطريقة واقعية مفصلة ، وكان يعتبر فن القصة متعة شعبية ينبغى أن تكون ذات مغزى اخلاقى . لكنه مع ذلك كله عاش زمنا غير معترف به . فقد هاجمه النقاد فى هذا القرن هجوما عنيفا ، وأسقطه البعض من عداد الكتاب ذوى المستوى الأدبى الرفيع والأسلوب الجزل الرصين ، بدعوى أنه مسف فى واقعيته، وأن أسلوبه حفل بالسوقية والابتذال.

ومنذ أسابيع قام جيوفرى تيلوتصن بالاشتراك مع زوجته باعادة طبع رواية

ثاكرى المعروفة : « سوق التباهى » ، وزودها بالرسوم والشروح والصور ، وصدرها بمقدمة طويلة ، كما نقحا أسلوبها . وقد صدرت هذه الطبعة عن دار ميثوين للنشر التى صدر عنها أيضا كتاب بعنوان : « ثاكرى الروائى » استقل بتأليفه تيلوتصن .

● **صدرت** عن دار كاب المجموعة الكاملة لقصص وروايات الكاتبة الامريكية **كاترين آن بورتر** . وقد ولدت كاترين عام ١٨٩٤ بولاية تكساس ، وعملت بالصحافة والتدريس ، كما قامت بسياحة طويلة فى أمريكا والمكسيك وأوربا خرجت منها بعدد من القصص والمقالات .

ولكاترين أسلوب خاص فى كتابة القصة يميزها من معاصريها كهمنجواى وفوكنر وفرجينيا وولف . وقد لخصت مذهبها فى الكتابة بقولها :

« ان أى عمل فنى حقيقى ينبغى أن يكسبك الاحساس بالهادئة ، وطهارة عقلك وخيالك ، ولا يتأتى ذلك الا من خلال نهاية تكون محتمة الوقوع والتصديق ... ولست أبدأ قصة لا أعرف نهايتها . فأنا دائما أبدأ بكتابة السطور الأخيرة أو الفقرة الأخيرة أو الصفحة الاخيرة ، ثم أعود الى البداية فاكتبها . انى أعرف الى أين أذهب . أعرف هدفى . أما طريقة الوصول الى هذا الهدف فهى من فضل الله على . » !

● **صرح الروائى الانجليزى جراهام جرين بأنه مشغول الآن بكتابة رواية تدور أحداثها فى الكونغو وهايتى ، وقد فرغ من اختيار عنوان لها ، وهو « قضية خاسرة » . أما زميله انجوس ويلسون فلم يضع بعد عنوان روايته الجديدة التى يكتبها الآن ، لكنه يقول انها تدور حول فكرة الانحلال وتأثيره على امرأة نشأت وتربت فى الريف ثم انتقلت لتعيش فى المدينة .**

● **السراى** .. عنوان رواية جديدة صدرت للكاتب الفرنسى كلود سيمون الذى يعده بعض النقاد أعظم موهبة قصصية ظهرت فى فرنسا بعد الحرب الأخيرة . وقد أصدر من قبل روايتين، أما « السراى » فتدور أحداثها فى اسبانيا .

● **لم تكد بريطانيا تفرغ من فضيحة عام ١٩٦٣ التى راح ضحيتها عدد من الساسة والوزراء حتى صدرت للكاتب بول جونسون رواية جديدة عن دار ماك جيبون بعنوان: «انجلترا الطروب» ، وقد تناول فيها موضوعا مشابها لموضوع كريستين كيلر .**

● **صدرت** عن دار الدولة لنشر القصة والشعر فى موسكو العدد الخامس من مجموعة « **منتخب الشرق** » ، ويضم قصصا وروايات وقصائد لواحد وعشرين أديبا من مختلف أقطار آسيا وأفريقيا ، **ومن بينها الجمهورية العربية المتحدة وسوريا واندونيسيا .**

● **فى العدد الأخير من مجلة « الأدب السوفييتى» مجموعة لم يسبق نشرها من الرسائل الخاصة التى كان الكاتب القصصى مكسيم جوركى يتبادلها مع زملائه من الكتاب . وقد ذكر المحرر فى تقديمه للرسائل أن جوركى خلف**

حصيلة ضخمة منها ، وأن المعروف من رسائله حتى الآن يربو على ألفي رسالة ، اذ كان حريصا على الرد على كل رسالة تصله مهما يكن شأن صاحبها أو مكانته . ولم يكن في أوج شهرته يبخل على مراسله بالنصيحة والرأى والنقد ، فقد كان بالنسبة لزملائه بمثابة المعلم والصديق ، يتقبل منهم النقد بصدر رحب ، ويبثهم نصائحه وآراءه في أعمالهم بكل ما عرف عنه من صراحة واخلاص . هذا وقد صدر مؤخرا المجلد السبعون من سلسلة « التراث الادبى » التى تنشرها الدلة في موسكو ، ويضم نحو ٥٥٠ رسالة لجوركى لم يسبق نشرها . ونقتطف هذه الفقرة من احداها ، وقد بعث بها الى زميل له يدعى ميخائيل بريشفين بتاريخ ١١ فبراير عام ١٩٢٦ ففيها لخص رأيه في نفسه وفي عملين من انتاجه .. يقول :

« فى هذا العام ، أو فى العام القادم ، تحل ذكرى مرور خمسة وثلاثين عاما على اشتغالى بالكتابة ، الا أننى لا أعرف حتى الآن كيف أكتب ، فما زلت أتعلم وانى أرسل لك مع هذا كتابا آخر لى (هو اسرة ارتامونوف كما جاء فى الهامش) ، كتبته عقب صدور مجموعة قصصى ، فأرجو أن تطالعه . ذلك لأننى أحببته حين كنت اكتبه ، لكننى حين نشرته لم أستطع أن أقرأه ... »

● **صدرت** عن دار ماك جيبون مجموعة قصصية بعنوان : « **احسن القصص القصيرة في أمريكا** » ، وتضم قصصا لآرثر ميللر واردين شو وجون ابديك ، والجدير بالذكر ان ثلاثتهم من كتاب المسرح المعروفين .

● **أصدرت دار فابر الانجليزية مجموعة قصصية بعنوان : « قصص من جنوب أفريقيا » وقد جمعها وقدم لها الكاتب الافريقى دافيد رايت** ، وتضم ١٧ قصة لكتاب من ابناء جنوب القارة . وقد علق الناقد كيثواترهاوس على المجموعة فقال ان قصصها تكاد تنحصر فى أربعة موضوعات رئيسية هى : اعتزاز المستوطن القديم بنفسه ، سخرية ابن البلد الذى يعيش فى المدن الكبيرة ، الاحساس بالوحدة الذى يعانيه المواطنون فى مناطق الرعى ، التوتر الناتج عن التمييز العنصرى .

● يحاول بعض الكتاب الشبان ، فى امريكا لفت الانظار اليهم بتناول قصص الشذوذ الجنسى . وقد كانت آخر « عينة » لهذا الطراز قصة بعنوان : « **مدينة الليل** » ، وفيها تسجيل حى لرحلة داخل عالم الشذوذ الجنسى فى المدن الامريكية الكبيرة ، ومؤلفها كاتب شاب لم يتجاوز الثلاثين يدعى **جون ريشى** ، وقد لقى هجوما عنيفا من قبل النقاد الذين اجمعوا على انكتابته مقززة ومكشوفة ، وانها ليست من الفن فى شىء .



يقدمه : عاشور عليش .. مأمون غريب

الباب الذهبي :

بقلم : ابراهيم المصرى • فى ١٩٠

الكاتب الفنان ابراهيم المصرى صاحب تجارب عديدة فى كتابة القصة ، وهو من روادها الاول ، ومن أكثر كتابها اطلاعا عليها فى الآداب الاوربية • • ومجموعته الاخيرة « الباب الذهبى » تحمل خصائصه كلها ، وتكشف عن موهبته الفذة فى تحليل العواطف البشرية فى اطار من التحليل النفسى العميق ، وشاعرية الأسلوب وانسيابه

والمصرى فى كتابة القصة ينحو نحوا دراميا، فهو يهتم اهتماما كبيرا بالصراع الدرامى ، ويركز قواه كلها فى تصويره والتعبير عنه ، وما من قصة من قصص ابراهيم المصرى فى هذه المجموعة الا وهى تحمل معها نوعا من الصراع الانسانى ، ففى قصة « الباب الذهبى » القصة الاولى فى المجموعة ، يصور لنا ابراهيم المصرى قصة الزواج غير المتكافئ وصراع الطبقات • فبطل القصة من الجيل القديم ولكنه يقع فى غرام سيدة عصرية وهو فى سبيل هذا الحب يصارع نفسه ويصارع ماضيه كله ، كى يفوز بها • استمع الى ابراهيم المصرى وهو يقدم لك بطل قصته فيرسم له لوحة دقيقة معبرة فيقول : كان عبد المقصود افندى رجلا متوسط القامة ، غائر العينين ، متكرش البطن ، قصير الذراعين، يرتدى الردنجوت على الدوام ، ويمشى مشية متباطئة ثقيلة، ويهز رأسه أمام الاشخاص والاشياء كأنه لايزال يتفرج على العالم وسبحته فى يده، وجريدة الاهرام تحت ابطه ، والسيجارة التى لفها بنفسه بين شفتيه ، ونظارته مثبتة فوق أنفه الكبير يتطلع بها الى الناس كأنه يراهم لاول مرة ، وكان طيب القلب ، ساذج النفس محبا للسكينة وديعا، مسامحا ، لايضمر شرا لانسان ، ولا يغتاب أحدا ولا يلحق الأذى بأحد ومع ذلك فقد كان مغلق العقل ، بليد الذهن ، فيما عدا ابتكار النكت • كان خامد عاطفة الفضول ، يشوب أخلاقه نوع من الانانية الصافية يحب نفسه ، ويعيش مع نفسه، ويكتفى بنفسه فقط ، لايتكلف النظر فى جوهر الاشياء ، ولا تسترعيه غرائبها ، ولا يحفل منها بغير النظرة المبتهجة العابرة خشية أن ينغص حياته بيده ، ويخلق لنفسه المشاكل والاضطرابات ، ويجهد ذهنه بأخطار وشواغل لاتستحق ان يضحى العاقل من أجلها بصحته وراحته ومتاع هذه الدنيا •

عبد المقصود افندى هذا الذى فقد زوجته الست جميلة والذى نشأ فى حى

السيدة زينب ، والذى ظل عزبا أربع سنوات منذ وفاتها ، يحلم بالزواج من جديد ٠٠ يحلم بالدخول من الباب الذهبى مرة أخرى ، ويلتقى « بعواطف هانم» فى مكتب أحد أصدقائه المحامين ويقارن بينها وبين الست جميلة ، ولم يستطع الا أن يسلم بأنها شىء آخر ، شىء رائع مهذب ، شىء ناعم مصقول ، تحفة عصرية بديعة الصنع نادرة المثال ويحبها بكل وجوده ، وبكل حرمانه ٠٠ ويتزوج منها ٠٠ وتفرض المرأة الجديدة شخصيتها على كل شىء ، وتغير من كل شىء ، ويتطور عبد المقصود افندى الى عبد المقصود بك ، وينتقل من السيدة زينب الى الزمالك ، ومن الانسان « الهلهلى » الى الانسان الأنيق الذكى ٠٠ تطور الى أكثر مما كانت تطمع فيه (عواطف هانم) ٠ ويتكشف لعبدالمقصود زيف الحياة العصرية التى تعيشها زوجته مع أصدقائها وصديقاتها ، ويحاول عبد المقصود أن يردها الى صوابها ، ولكنها تقول له :

ــ لا ياحبيبى ٠٠ أنا لاأستطيع أن أعيش كما كانت تعيش الست جميلة ، لا أستطيع أن أغير أخلاقى ولا حياتى ٠٠ ولقد غيرتك لتكون مثلى ، لالأصبح أنا مثلك ٠

ويبدأ الصراع بين حاضر الرجل وماضيه ، فيعود الى بيته هاجرا زوجته وفى اللحظة التى يعود فيها اليها ليسترجعها يفاجئها ترقص بين أحضان أحد أصدقائها كان شيئا لم يكن ، فيثور لكرامته ، ويطلقها طلاقا بائنا قاطعا لا رجوع فيه ٠

ولما أتم كل شىء وخرج ــ يقصد عند المأذون ــ بكى ، بكى طويلا ، ولم يستطع أن يعود الى بيته فى حى السيدة ولا الى بيته فى حى الزمالك ٠ لم يشأ أن يعود الى عالمه القديم ، ولا الى عالمه الجديد ، بل سلك طريقا آخر ، وانطلق يمشى كمن يبحث عن شىء آخر ، وظل هكذا طول الليل يمشى على غير هدى ٠

وتضم مجموعة الكتاب الذهبى اثنتى عشرة قصة تمثل أنواعا من الصراع النفسى الذى لاتخلو منه أى نفس بشرية ففى قصة «مائدة الشيطان» صراع الرجل الشريف مع الفقر ورغبته فى الاثراء السريع ولو عن طريق القمار ٠ وفى قصة «بعد سبع سنوات» صراع بين رجل شاب باع شبابه لامرأة فى سبيل مالها وبين حبه القديم الذى ضحا به فى سبيل حياة الثراء ٠

وفى قصة «الطائر الصريع» يعبر المصرى عن ثورة المرأة المتعلمة المتحررة ضد التقاليد ، ورغبتها فى الحياة الزوجية كانسانة وشريكة حياة ٠ ٠ وفى رأيى أن قصة «ذات الزهرة الحمراء» هى أجمل قصص المجموعة ، وهى قصة عاطفية انسانية تكشف عن نفسية المرأة وغلبة الغيرة على الشعور الانسانى عندها ٠

ان مجموعة «الباب الذهبى» من الاضافات الهامة فى مكتبة القصة ، وهى تعبر عن نماذج بشرية من مجتمعنا ٠٠ صورها وعبر عنها ابراهيم المصرى ، فى دقة ، وفى نبض حى ، تجعلها قريبة جدا من نفوسنا ، أو تجعلنا نرى نفوسنا فى أبطالها ٠

حكايات افريقية :

بقلم : سليمان مظهر • فى ٣٧٥

صفحة • الناشر دار النهضة العربية •

يجيء هذا الكتاب فى وقته تماما بعد أن صحت القارة السمراء من نومهـا العميق ، وتوحدت كلمة رؤسائها على النضال فى سبيل الحرية والكفاح المشترك ضد الاستعمار والاستغلال •

ودعم الروابط الثقافية ، بين دول القارة السمراء ، من أصل وسائل هـذا النضال المشترك ، والتعرف الى آداب هذه الدول يجيء فى المرتبة الاولى من وسائل التقارب بين شعوبها، والكشف عن حضارة هذه الشعوب ودورهـا الخلاق فى الادب الانسانى عامة، والادب الافريقى بصفة خاصة ، وعلى الاخص بعد مؤتمر أديس أبابا •

و «حكايات أفريقية» من الكتب الجادة المثمرة ، التى تسعى الى تحقيق هـذا الهدف ، فهو يضم ست حكايات من الجزائر ، وحكايتين من كينيا ، وحكاية من نيجيريا ، وحكايتين من غانا ، وحكاية من الصومال ، وأخرى من السودان ، وثالثة من الكميرون •

والحكايات أو الاساطير هى التعبير الادبى الاول للشعوب والجمـاعات ، وفيها تتضح خصائص هـذه الشعوب وتقاليدها وعاداتها ، وان كانت تجتمع كلها عند انتصار الخير على الشر ، وتمجيد البطولة ، وكفاح الشعب أو الجماهير الكادحة ضد الظلم ، وضـد الحـكام الظالمين ، وتكريم الاخـلاق النبيـلة والمثاليات الرفيعة •

يقول الاستاذ سعد زغلول أحدالذين تعمقوا فى دراسة الادب الافريقى فى تقديمه للكتاب :

لقد كانت للشعوب الافريقية ـمثلها فى ذلك كمثل معظم الشعوب الاخرى ـ أساطيرها وحكاياتها التى عاشت فى أرض القارة الافريقية زمانا طويلا تعتمد فى حفظها على توارث الاجيال لها عن طريق النقل والمشافهة فقط ، حيث لم يكن لأكثر هذه الشعوب لغات مدونة تستطيع حفظ هذا التراث الشعبى •

وقديما زعم الاستعماريون أن أفريقيا قارة بلا حضارة وبلا تاريخ ، ومن ثم فهى قارة بلا آداب• لماذا ؟ لانالافريقيين لم يعرفوا الكتابة ، وكانت لغاتهـم للحديث فقط•

ولقد حاول الاستعماريون من وراء ترويج هذه الدعوىأن يفصلواالافريقيين عن ماضيهم وتاريخهم وتراثهم ، وان يوهمهم بأن الاسـتعمار هو السبيل الوحيـد لوضعهم على عتبـات الحضـارة الانسانية •

الى أن يقول فى موضع آخر : على أن كل المحاولات الاستعمارية المغرضة ، لم تنجح فى طمس معالم التراث الافريقى الى الابد ، فان الكثيرين من المخلصين من أبناء القارة المهتمين بدراسـة التراث الافريقى يعملون جهدهم على جمـع ما بقى من هذا التراث ليكون صورة حية للضمير الافريقى ، وللفـكر الافريقى ، فى مرحلة من التاريخ تحتاج منا نحن أبناء هذه القارة المجيدة الى كشف كل

الأستار التى أسدلها الاستعماريون على تاريخ القارة وحضاراتها •

والواقع أن الكتاب استطاع فعلا أن يلقى الاضواء على الحضارة الافريقية القديمة ممثلة فى أساطيرها وحكاياتها ، كما استطاع مؤلف الكتاب الاستاذ سليمان مظهر الذى سبق له أن قدم للمكتبة العربية كتاب « أساطير من الشرق » و « أساطير من الغرب » أن يعرض الاساطير الافريقية فى صورة قشيبة ، أمينة ، تقرب فى جلاء وفى وضوح كاملين آداب الشعوب الافريقية الى ضمير الشعب العربى الافريقى وثقافته •

اننى أطالب بالمزيد من الاهتمام بهذا النبع الثرى الذى سوف يزيد أدبنا اثراء ونضوجا وعمقا ، وفهما للقارة التى أخذت تصحو من سباتها العميق ، فى نضال مشترك ، نحو النور ونحو الحياة •

عذراء دنشواى :

بقلم : محمود طاهر حقى • فى ٨٠

صفحة • من سلسلة المكتبة العربية • الناشر الدار القومية للطبع والنشر •

صدرت هذه الرواية فى طبعتها الاولى فى شهر يوليو سنة ١٩٠٩ ، هاهى اليوم يعاد طبعها فى عام ١٩٦٣ كجزء من السياسة التى يتبعها المجلس الأعلى للآداب والعلوم والفنون فى احياء كتب الرواد الأوائل فى فن القصة •

والرواية تمثل فترةمن تاريخناالغالى الذى اقترن بفظاعة اجرام المحتلين فى بلادنا • وهى تصور حادثة دنشواى تصويرا دقيقا كله صدق ، وفى أسلوب روائى ، وبلغة أقرب الى لغة جماهير الشعب •

يقول الاستاذ يحيى حقى فى مقدمة الكتاب ، ان عذراء دنشواى هى أول رواية مصرية مؤلفة تباع منها آلاف مؤلفة من النسخ فور صدورها ، وأعيد طبعها عدة مرات فى فترة وجيزة وقرأها الناس باعتبارها رواية لا كتابا فى التاريخ ، فهى بذلك تمثل أول غزو على نطاق واسع من فن القصة لجمهور القراء ، فهى فى نظر الاستاذ يحيى حقى التى هيأت أذهان عامة القراء لتقبل الفن القصصى ، وهى التى أعدت المسرح الذى ظهرت عليه القصة الحديثة اليوم ، كما أن الرواية فضلا عن واقعيتها ، تعتبر أول رواية مصرية تتحدث عن الفلاحين وتتخذ الفلاح لاول مرة موضوعا لها •

ويعتبر الاستاذ يحيى حقى رواية عذراء دنشواى هى البذرة التى مهدت للمرحوم محمد حسين هيكل أن يكتب فى سنة ١٩١٢ رواية «زينب» ويفرق يحيى حقى بين الروايتين فيصف عذراء دنشواى بأنها تمسكت بأهداب الواقعية على حين غرقت « زينب » فى رومانسية شاعرية •

والواقع أن الرواية كما قدمها يحيى حقى تفتقر الى الشكل الفنى الحديث للرواية ، الا اننا ـ كما يقول الاستاذ يحيى حقى ـ نستطيع أن نجد فى هذه الرواية رغم سذاجتها بوادر احساس غريزى بمقومات الفن القصصى فى مفهومه الحديث ، وبتنوع أساليب المعالجة بالتنقل بين الوصف والحوار والمنولوج

بقى أن تعرف عن صاحب الرواية الاستاذ محمود طاهر حقى أنه كتبها فى سنة ١٩٠٦ وكان عمره فى ذلك الوقت ٢١ سنة ، ولد فى دمياط سنة ١٨٨٤ وألف أكثر من مسرحية ، وله مجموعتان من القصص القصيرة ، الأولى باسم « الغاديات الرائحات » نشرت سنة ١٩٤٨ و « البسمة الساخرة » ونشرت سنة ١٩٥١ • وعندما كتب ابن أخيه الكاتب الكبير يحى حقى هذه المقدمة كان راقدا على فراش المرض بعد جراحة بليغة أجريت له رغم شيخوخته •

وقد اختاره الله الى جواره فى أوائل الشهر الماضى ويقول الاستاذ يحيى عنه « وكما كنت أراه فى شبابه يقابل الحياة حلوها ومرها بثغر بسام وهمة تتضعضع أراه اليوم لا يتخلى عن هذه الابتسامة وهذا التجلد • شهدته يدخل فى نعمة موفورة ثم يمر بأزمة عارضة فاذا هو هو لا يتغير • لا يبطره غنى ولا يكربه ضيق • لم أر رجلا مثله عشقته الحياة لأنه عشقها » رحمه الله واسبغ عليه فيض رحمته

الذئاب الجائعة :

بقلم : محمود البدوى • فى ١٥٧

صفحة من سلسلة الكتاب الماسى • الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر

القارىء لمحمود البدوى ، يستشعر أول ما يستشعر الصدق الفنى لهذا الكاتب الذى يكتب عن الواقع وعن الحياة • ومعظم قصصه تحكى تجاربه فى عالم النفس ، وتروى انطباعاته عن الأماكن التى زارها ، والناس الذين التقى بهم •

وقد استفاد البدوى كثيرا من أسفاره الطويلة المتعددة التى قام بها لمعظم بلدان أوربا ولدول الشرق الأقصى • كما كانت لنشأته الريفية فى أعماق الصعيد أثرها الواضح فى انتاجه • فقصصه تجمع بين حياة الريف الساذجة ومدنية القرن العشرين ، وأبطاله نماذج متنوعة من البشر الذين احتك بهم سواء فى قريته او فى العالم الفسيح الذى تجول فيه ، وان كان كلها تتميز بطابع البدوى الذى يتمثل فى بساطة التعبير ، والتركيز فى التصوير مع لمحات فنية ولقطات نفسية تدل على أصالة وعمق ••

ففى قصة الذئاب الجائعة يصور محمود البدوى حياة اللصوص وقطاع الطرق فى الريف ، أولئك الذين يعتكفون فى الجبال ، ويسطون على المزارع فى ظلمة الليل ويستشعرون بلذة المغامرة بعد كل حادث ، يقول البدوى على لسان هؤلاء اللصوص : كنا نحمل الحقد والضغينة للمجتمع الانسانى الذى طردنا من كنفه وشردنا فى الارض وقطع بنا الاسباب ، وكانت قسوتنا وغلظ أكبادنا على قدر ما أصابنا فى مستهل حياتنا من ضنك العيش وشظفه وبلاء الايام ومحنتنا •

ويروى البدوى قصة هؤلاء الأشقياء كما وقعت ذات ليلة ، فقد داهموا احدى المزارع لاحد الاغنياء الجشعين ، وبعدان استولوا على غنمها ومواشيها وبينما هم فى طريقهم الى الفرار بها ، دوت

الأعيرة النارية تطاردهم ، فأصابت واحدا منهم ، ودارت معركة رهيبة بين اللصوص والحراس ، اضطر بعدها اللصوص الى الهرب وحمل زميلهم القتيل معهم ، وقاسوا الامرين حتى بلغوا الجبل الذى يختبئون فيه ، وهناك حفروا له حفرة ليدفنوه فيها ، وكان التعب قد بلغ بهم مبلغه ، وثار حقدهم كله على هذا الزميل الذى كلفهم موته فوق ما يطيقونه ٠٠

ويختتم البدوى القصة بقوله على لسان الاشقياء : كان النور قد شعشع على الكون ، وبدت المقابر المتناثرة على سفح الجبل ، وحلقت الغربان فى الجو وتطلعنا قمة الجبل ، ولمحنا عن بعد ذئابا تنحدر عن قمته ، وخيل الينا انها ترقبنا عن بعد ، ما أشبهنا بهذه الذئاب انها تسعى الآن لتأكل انسانا أو حيوانا فاذا لم تجد أكلت نفسها !٠

بحثنا عن فأن لنحفر لرفيقنا حفرة فلم نجد ٠ وأخذنا نعمل فى التراب بأيدينا وأطراف بنادقنا حتى حفرنا له حفرة ، وواريناه ونفضنا عن أيدينا الغبار ، وكانت الذئاب لاتزال تنحدر عن التل ، وتتجه نحونا ، أو تتجه نحو المقبرة الجديدة ! وكانت ترقبنا بعيون جائعة !

أما قصة « فى القرية » فهى تصور قطاعا هاما من قطاع الحياة فى الريف ، وأعنى بها حياة عمال التراحيل ، فقد عبر عنهم البدوى تعبيرا مباشرا أخاذا أبان فيه عن مدى القسوة فى حياتهم ، وما يعانونه من شظف العيش ولذعة الحرمان ٠

وفى قصة «الأعمى» يروى البدوى حياة رجل يعمل مؤذنا لمسجد القرية ، فقد بصره ، وأحبه أهل القرية جميعا ٠ وكان الاطفال يعاكسونه فى الطريق فيبتسم لهم ولا يطاوعه قلبه على أذاهم ٠ الى أن ألقت به الاقدار أمام «جميلة» أنضر زهرة فى القرية ، زوجة وشابة حسناء ، وتطوع ليساعدها فى ملء جرتها من البئر ، وتوطدت بينهما صداقة بريئة ، الا أن الأعمى كان يستشعر شعورا جارفا غامضا كلما سمع صوتها أو لامس ثوبها أو يدها ٠٠ وفى ليلة قام ليوصلها قرب بيتها ، وفى الطريق حملها حملا الى الحقل واغتصبها ، وعند الفجر صعد الى المئذنة ليؤذن للفجر بعد ليلة رهيبة قضاها فى حمى عصفت بكيانه كله ، ولكن صوته لم يخرج من حلقه ، وعاود المحاولة مرات دون جدوى فعهد الى خادم المسجد بالأذان وخرج هو الى الحقول ، وفى الحقول نام ، واستيقظ على أصوات الاطفال الذين تحلقوا حوله ولاول مرة يصيبه حجر يشق جبهته من أصغر طفل ، فيثور جنونه ، ويدخل فى معركة من الاطفال الذين أوسعوه طعنا وحجارة ، حتى الكلب الصغير نشب أنيابه فى ثوبه من أمام فمزقه حتى بانت عورته ٠٠ وفر الأعمى من القرية كلها ٠٠ وفى صباح اليوم التالى وجدت جثته فى الطين !

لقد ختمت المجموعة اثنتى عشرة قصة لايسع القارىء لها الا أن يقف أمام كل قصة وقفة طويلة ، ربما بقيت ذكراها معه فترة أطول ٠ انها قصص لا تنسى ٠

أخبار القصة

- **أعضاء لجنة القصة يساهمون فى فى تحرير مجلة القصة .**
- **اقتراح برفع أجر المؤلف القصصى فى الاذاعة والتليفزيون .**
- **نتيجة الفائزين فى مسابقة «الكتاب الاول» تعلن قريبا .**
- **مسابقة القصة لشباب الجامعات تدخل فى دور التصفية .**
- **تكريم محمود تيمور وعلى أحمد باكثير فى جلسة عائلية .**
- **فوج من الفنانين وكتاب القصة فى زيارة للسد العالى .**
- **مجموعة قصصية بالانجليزية والفرنسية لكتاب القصة المصرية .**

● أعضاء لجنة القصة

يساهمون فى تحرير « القصة »

اتخذت لجنة القصة بالمجلس الاعلى للعلوم والآداب والفنون في اجتماعها الاخير يوم ٣٠ يناير الماضي برياسة توفيق الحكيم قرارا بمساهمة جميع أعضائها في تحرير مجلة «القصة» القرار صدر بالاجماع .

***

● رفع أجور

مؤلفى القصة

فى الاذاعة والتليفزيون

من الاقتراحات الهامة التى درستها لجنة القصة بالمجلس الاعلى للفنون والآداب ، اقتراح بضرورة رفع أجور المؤلفين القصصيين بالنسبة للمؤلفات في الاذاعة والتليفزيون . وقد وافقت اللجنة على الاقتراح ورفعت مذكرة بذلك الى المجلس ، تمهيدا لاستصدار قرار في هذا الشان .

***

● الفنانون وكتاب القصة

يزورون السد العالى

نظم المجلس الاعلى للفنون والآداب عدة رحلات الى أسوان للفنانين والادباء وكتاب القصة . الزيارة تستغرق أسبوعا . قسم المدعوون الى عدة أفواج ، يضم الفوج عشرين

مدعوا . الهدف من الرحلة زيارة السد العالى واستلهامه في الاعمال الفنية والقصصية .

***

● وفد عربى يزور الارجنتين

بمناسبة زيارة رئيس اتحاد أدباء الارجنتين لبلادنا في الشهر الماضي ، قرر نادى القصة تبادل الزيارة مع الارجنتين لدعم الروابط الثقافية بين البلدين . نادى القصة يبحث الآن أسماء اعضاء الوفد العربى لزيارة الارجنتين .

***

● بعثات أدبية الى شمال أفريقيا واسبانيا

قدم الاستاذ محمد سعيد العريان اقتراحا الى المجلس الاعلى للفنون والآداب ، بأن ينظم جلس عدة رحلات ثقافية الى بلاد شمال افريقيا واسبانيا . الاقتراح موضع دراسة الآن .

***

نتائج مسابقة الكتاب الأول

أوشكت لجنة القصة بالمجلس الاعلى للفنون والاداب على الانتهاء من قراءة كتب المتسابقين في مسابقة الكتاب الاول . عدد الكتب المقدمة الى المسابقة في فرع القصة ٢٤ كتابا . الكتب الثلاثة الاولى سوف يطبعها المجلس على حسابه الخاص .

***

● مسابقة شباب الجامعات :

مسابقة شباب الجامعات التى ينظمها المجلس الاعلى ، دخلت في دور التصفية . المجلس يمنح ثلاث جوائز للفائزين الاوائل في المسرحية والقصة القصيرة والمقال .

● تكريم تيمور وباكثير في جلسة عائلية

قررت لجنة القصة بالمجلس الاعلى للعلوم والفنون والآداب تكريم الفائزين في جائزة الدولة للآداب عن العام الماضي وهما محمود تيمور الذى فاز بالجائزة التقديرية وعلى احمد باكثير الفائز بالجائزة التشجيعية ، وذلك في حفل عائلى .

***

● الابتسامة الغامضة تفوز بكاس ندوة القبانى :

فازت المجموعة القصصية « الابتسامة الغامضة » لمحمد أبو المعاطى أبو النجا بكأس ندوة القبانى عن سنة ١٩٦٣ . ندوة القبانى تجتمع كل يوم جمعة وتناقش الكتب الجديدة. في العام الماضي فازت بالكأس الدكتورة نعمات أحمد فؤاد عن كتابها « في بلادى الجميلة » .

***

● كتابان جديدان لتوفيق الحكيم

يصدر خلال ايام كتابان جديدان لتوفيق الحكيم عنوانها « رحلة صيد » و «رحلة قطار»

***

● دوريت الصغيرة لديكنز فى ألف صفحة

صدر عن « الالف كتاب » رواية « دوريت الصغيرة » لشارلز ديكنز . الرواية تقع في جزئين . كل جزء في ٥٠٠ صفحة من الحجم الصغير . ترجم الرواية الى العربية حسين القبانى . القبانى تصدر له مجموعتان من تأليفه ، « الشعاع الغارب، وميدالية الشرف »

***

● الابواب المغلقة :

آخر رواية صدرت لامين يوسف غراب عنوانها الابواب « المغلقة » . غراب عاد لكتابة القصة

القصيرة ، واخر مجموعة صدرت له عنوانها « اشياء لا تشترى » .

***

● العيون الزرق :

صبحى الجيال المجموعة الثالثة من قصصه للنشر تحت عنوان « العيون الزرق » . الجيار سبق له أن قدم مجموعتين هما : يستر عرضك وسوق العبيد . اخر انتاج الجيار مترجمة مجموعة قصص قصيرة للكاتب الامريكى « فرانك ستكتون »

***

● بحث عن القصة القصيرة في مصر :

انتهت فترة التفرغ التى منحت للكاتب عباس خضر ، أعد خلالها بحثا عن القصة القصيرة في مصر . كما يصدر لعباس خضر كتاب عنوانه « كتب في الميزان » يتناول بعض الاعمال الروائية التى ظهرت في السنوات الاخيرة .

***

● مجموعة قصصية مصرية بالفرنسية والانجليزية :

يصدر المجلس الأعلى للعلوم والفنون والاداب مجموعة قصصية مصرية بالفرنسية والانجليزية. تضم المجموعة قصصا للكتاب : محمود تيمور ، توفيق الحكيم ، محمود البدرى ، عبد الحميد جودة السحار ، يوسف ادريس ، ثروت أباظة ، يوسف الشارونى ، محمد سعيد العريان ، وعبد الحليم عبد الله . وبعض الكتاب الشبان.

● عند الرحيل :

تصدر قريبا مجموعة قصصية جديدة للدكتور نجيب الكيلانى عنوانها « عند الرحيل » . قصص المجموعة تدور حول مأساة فلسطين .

تم انشاء أول ناد للقصة بالاسكندرية في دار الثقافة بطريق الحرية رقم ١ . رئيس النادى فتحى الابيارى المحرر الادبى لاخبار اليوم بالاسكندرية . يستطيع اى أديب او ناقد او قصاص اسكندرى أن يشترك فيه مجانا . النادى يعقد كل يوم اثنين ندوة في السابعة مساء لمناقشة قصص الموهوبين ، يشترك فيها كبار ادباء القصة في القاهرة والاسكندرية . واشترك محمود تيمور في مناقشة أعمال الموهوبين ، والقى محاضرة عن « فن القصة » .

● ثلاث ندوات يعقدها نادى القصة بالاسكندرية خلال شهر فبراير .. هى « أضواء على القصة النسائية المعاصرة » يشترك فيها حنيفة فتحى . نوال السعداوى . **أحمد صالح.** والندوة الثانية عن « الواقعية والرومانسية في القصة المصرية » يشترك فيها **فتحى الابيارى** . وحسن فتحى **خليل** . مع مناقشة انتاج الموهوبين .

● **الدكتور يوسف عز الدين عيسي ، ونقولا** يوسف يتحدثان في نادى القصة بالاسكندرية يوم ٢ مارس عن « هـ . ج. ويلز » أعماله واتجاهاته القصصية .

● **جمال توكل** يتقدم في برنامجه « ناد المستمعين » كل يوم أحد خلال شهر فبراير ٤ حلقات مع اعضاء نادى القصة والموهوبين بالاسكندرية . يتحدث فيها الدكتور محمد مصطفى هدارة . وناقش الانتاج القصصي الذى قدمه أعضاء النادى ، مدة الحلقة نصف ساعة تذاع في التاسعة مساء .



بين القصة والقراء

محمد فهمي سند جلهوم

يأخذ الاديب على الاستاذ البدوى انه جعل حقول البرسيم تترعرع في ديسمبر الا انالاديب ساق اعتراضه في لغة عنيفة وفي حدة ولا أعتقد أن الموضوع يستحق . والواقع أن هذا الخطأ ليس أساسيا في القصة حتى يستحق كل هذا الاندفاع . ثم لعلك تنسى أن البرسيمالحجازى يظهر في هذا الموعد .

محمد صابر :

ترسل الاشتراكات باسم السيد مدير ادارة المجلات ١٤١ شارع التحرير بريد الدقى .

فاروق لوقا غبريال :

المجلة تفتح صدرها لناشئة الكتاب لاشك في ذلك ولكن لا بد من مراعاة حجم المجلة نفسه ثم الكميات الهائلة التي وردت الينا من القصاصين . كما أننا ملزمون أن نقدم قصصا لكتاب الصف الاول . وانك ستجد فيهذا العدد الذى بين يديك الى أى مدى تفتح المجلة صفحاتها للناشئة .

عزت طنطاوى الخولى :

يأخذ على الاستاذ البدوى المآخذ الذىأخذه محمد فهمى سند ونضيف أن الاستاذ البدوى لم يراع التوقيت في المسافة بين طنطا وبنها . والواقع أن عزت طنطاوى قد ساق نقده فيلغة هينة في غير عنف ولا حدة . وهو يزجىاعجابه الشديد بالاستاذ البدوى . والواقع انمسألة التوقيت هذه يمكن التغاضي عنها فمهما تكن المسافة بين طنطا وبنها ٤٤ كيلومتر الا أن السيارة البطيئة تستطيع أن تقطعها فيالساعات المتطاولة والسيارة الخربة تستطيع الا تقطعها على الاطلاق .

محمد مجدى مصطفى فتحى عثمان :

تستطيع دائما ان ترسل انتاجك الى المجلة.

عباس على شريف :

لقد ذكر رئيس التحرير في مقاله كما ذكر الاستاذ عبد الحليم عبدالله ان المجلة ترحب بالناشئين . أما عن مواضيع النقد فارجو ان تتحقق رغبتك في الاعداد القادمة .

بيومى على قنديل :

نعتقد أن الاتصال الشخصي بيننا يكونأفضل في التفاهم على ما أثرت من موضوعات فيخطابك.